



وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الاجتماعية
قسم علم الاجتماع

الموروث الحضري وصراع التسميات في القصبات الجديدة

"القصبات الوهمية" في ضواحي الجزائر: إعادة بناء رمزي والصراع في التسميات بعد الترحيل

دراسة ميدانية للسكان المرحلين من القصبة نحو الثنية وبرج الكيفان

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الطور الثالث

تخصص علم الاجتماع الحضري

تحت إشراف:

أ.د. مشتة ياسين

من اعداد الطالب:

لعبادي طارق

السنة الجامعية 2024-2025

كلمة شكر و تقدير

بدايةً، أتوجه بالشكر والحمد لله عز وجل على توفيقه وإعانتته في اتمام انجاز هذا العمل. أما بعد :

أتقدم بعميق الشكر والامتنان إلى الأستاذ الدكتور مشته ياسين، الذي تفضل مشكوراً باستكمال الإشراف على هذه الأطروحة وتقديم دعمه وتوجيهاته السديدة التي كان لها الفضل الأكبر في إنجاز هذا العمل وإخراجه في صورته النهائية.

كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور العربي اشبودان على إشرافه وتوجيهاته القيمة في المراحل الأولى من إعداد هذه الأطروحة. لقد كان لتوجيهاته الأولية أثر بالغ في وضع الأسس المتينة لهذا العمل.

كما أود أن أعرب عن امتناني العميق لأعضاء لجنة المناقشة الموقرين كل باسمه و مقامه الكريم لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الأطروحة وإثرائها بملاحظاتهم النقدية البناءة.

أود أن أعرب عن خالص شكري وتقديري الجزيل إلى الدكتورة مرزوق سميرة ، التي تفضلت مشكورةً بتقديم دعمها وتوجيهاتها القيمة التي كان لها الفضل في إتمام هذا العمل.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر لأساتذتي الكرام الذين ساهموا في تكويني الأكاديمي، وعلى رأسهم الاستاذ الدكتور صفار زيتون مدني ، وجميع الأساتذة والمؤطرين الأكاديميين في قسم علم الاجتماع بجامعة الجزائر

2 أبو القاسم سعد الله

أتقدم بالشكر لكل السكان القدماء للقصبة العتيقة سواء الذين لازالو قاطنين بها او الذين رحلو الى برج الكيفان و الثنية وبالخصوص الحاج ملوج زوبير، إذ لو لا مساهمتهم لما وفقنا لانجاز الجانب الميداني للبحث.

أخيراً، أتوجه بالشكر لكل من ساهم في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد، وأخص بالذكر عائلتي وأصدقائي على دعمهم المعنوي المتواصل وصبرهم وتشجيعهم الذي كان الدافع الأقوى لي في تجاوز التحديات والصعاب.

أتمنى أن يكون هذا العمل إضافة متواضعة للمعرفة في مجال علم الاجتماع الحضري .

الإهداء

إلى روح والدي الطاهرة رحمه الله وإلى الوالدة الكريمة أطال الله في عمرها.
إلى رفيقة دربي التي كانت ولا تزال السند والعون منذ أولى خطوات هذا البحث.
إلى أبنائي الأعزاء مصدر سعادتي و فخري حفظهم الله و رعاهم.

الفهرس

المقدمة.....

الباب الأول الجانب النظري للبحث

الفصل الأول الإطار المنهجي للبحث

- 1 - أسباب اختيار الموضوع 17
- 2 - أهداف الدراسة 17
- 3 - الإشكالية 18
- 4 - فرضيات البحث 21
- 5 - تحديد مفاهيم البحث 22
- 6 - منهجية البحث و تقنيات جمع البيانات 26
- 7 - السياق البحثي و العينة المستهدفة 30
- 8 - الدراسات السابقة 31
- خلاصة الفصل 36

الفصل الثاني

مدخل معرفي حول التراث

- 1 - مفهوم التراث بين الماضي و الحاضر 39
- 2 - الهندسة المعمارية و التراث 42
- 3 - أشكال التراث: مقارنة تحليلية لأقسامه 45
- 1.3 التراث الحضاري 45
- 2.3 التراث القومي 46
- 4 - أنواع التراث حسب تصنيف اريكسون 46

- 5- القائمة الأصلية لمواقع التراث العالمي للجزائر 49
- 6 - القائمة الإرشادية التمهيدية لمواقع التراث العالمي في الجزائر 52
- 7 - التراث في الإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي 53
- 8 - الأهمية الثقافية و الاجتماعية للتراث في المجتمع المعاصر 55
- خلاصة الفصل 57

الفصل الثالث

الموروث الحضري و علاقته بالهوية و الذاكرة

- 1 - الهوية و التراث أيه علاقة 60
- 2 - الميراث و الانتقال في سوسيولوجية PierreBourdieu 62
- 3 - الموروث الحضري رهان صراعات في المجال الحضري 63
- 4 - الموروث الحضري و استمراريته في الحاضر 64
- 5 - مكانة التراث الشعبي "الأسطورة و الخرافة و الحكاية" في الموروث الحضري 65

الفصل الرابع

مدخل سوسيولوجي حول مفهوم المدينة

- 1 - مفهوم المدينة بين النظريات التقليدية و المعاصرة 70
- 2 - الخلفية التاريخية للنمو الحضري في الجزائر 72
- 3 - تصورات حول النمو الحضري 73
- 4 - مراحل النمو الحضري للمدن الجزائرية 76
- 5 - عوامل النمو الحضري 77
- خلاصة الفصل 78

الفصل الخامس

مدخل سوسيولوجي حول مفهوم الحي

- 1 - الحي رؤية تكاملية بين التحليل الاجتماعي والتصميم المعماري 81
- 2 - الحي كمجال اجتماعي بين الفردية والجماعية 83
- 3 - علم الطوبونيميا: التعريف، الفروع و الأبعاد الأكاديمية 87
- 4 - أهمية التسمية في الحفاظ على الهوية 89
- 5 - الهوية و المكان في سياق " القصبة العتيقة " 91
- خلاصة الفصل 94

الفصل السادس

إستراتيجية الاندماج في المجال الجديد

- 1 - مفهوم الاندماج في مجال العلوم الاجتماعية 96
- 2 - تعريف الاندماج الاجتماعي و مظاهره 96
- 3 - مفاهيم ذات صلة بالاندماج 99
- 4 - الاندماج الاجتماعي في المجال الحضري 100
- 5 - بعض التناولات النظرية السابقة حول الاندماج الاجتماعي 102
- خلاصة الفصل 103

الباب الثاني الجانب الميداني للبحث

الفصل الاول

تقديم ميدان البحث

- تمهيد 107
- 1 - دوافع اختيار الحيين للبحث 107
- 2 - التعريف ببلديات البحث 109
- 1.2- لمحة عن بلدية الثنية 109

115	2.2- لمحة عن بلدية برج الكيفان
119	3 - التعريف بمجال البحث
119	1.3- التعريف بحي القصبة بالثنية
121	2.3- التعريف بحي القصبة الضفة الخضراء بلدية برج الكيفان
123	4 - قراءة في خصائص عينة البحث
128	خلاصة الفصل

الفصل الثاني

لمحة عن القصبة العتيقة

131	تمهيد
132	1 - الموقع و الديمغرافيا
134	2 - اختلاف التسميات عبر الزمن لمدينة القصبة
135	3 - الموروث الحضري و دوره في ترسيخ ذاكرة القصباجي
146	4 - ترسيخ هوية القصباجي من خلال الفترة الاستعمارية
148	5 - العمران و الهندسة المعمارية
149	خلاصة الفصل

الفصل الثالث

التحليل السوسيولوجي للفرضية الأولى

152	1 - أثار الترحيل الإجباري على العلاقات الاجتماعية
153	1.1 - انخفاض التفاعل بين الجيران
155	2.1 - ضعف الترابط الأسري التقليدي
156	3.1 - تراجع الدعم الاجتماعي غير الرسمي

4.1	نقص المشاركة المجتمعية	158
2 -	تأثير النسيج العمراني على التلاحم الاجتماعي	161
1.2	فقدان الهوية الثقافية والمعمارية	161
2.2	انعزال السكان	165
3.2	غياب الفضاءات العامة	168
4.2	بعد المرافق والخدمات	171
	خلاصة الفصل	174

الفصل الرابع

التحليل السوسيولوجي للفرضية الثانية

1 -	إعادة إنتاج الممارسات الاجتماعية	177
1.1	استمرارية بعض العادات الاجتماعية	178
2.1	استمرارية التواصل بين السكان	180
3.1	محاولة الحفاظ على الأدوار الاجتماعية	182
4.1	إحياء البعض من الأنشطة الثقافية التقليدية	185
2 -	التسمية كأداة للهوية الثقافية	188
1.2	اختراع تسمية جديدة تعكس الهوية الأصلية	189
2.2	ترسيخ الانتماء المكاني	191
3.2	إضفاء طابع رمزي على التسمية	195
4.2	استعمال أسماء الأماكن الأصلية في الأنشطة اليومية	197
3 -	تعزيز الهوية الجماعية في الحي الجديد	200

1.3.	بناء هوية جماعية جديدة مستوحاة من الماضي	200
2.3.	استمرارية الشبكات الاجتماعية بين السكان	203
3.3.	تعزيز الشعور بالانتماء للمجتمع الجديد	208
	خلاصة الفصل	212

الفصل الخامس

التحليل السوسيولوجي للفرضية الثالثة

1 -	الارتباط العميق بالموروث الاجتماعي	215
1.1 -	الحفاظ على شبكات العلاقات القديمة	217
2.1 -	التواصل بلغة الأم و الأمثال	219
3.1 -	التمسك بالأدوار الاجتماعية القديمة	221
4.1 -	رفض تبني أنماط الحياة الجديدة.	222
2 -	التعلق بالقصة و تأثيره على الانتماء للحي الجديد	225
1.2 -	إعادة تسمية الحي الجديد	225
2.2 -	رفض بناء هوية جديدة	230
3.2 -	محاولات الرجوع إلى القصة	232
4.2 -	الحنين إلى الحي القديم	234
3 -	التعايش والتكيف الظاهري	237
1.3 -	التعامل الضروري مع الجيران الجدد دون تواصل عميق	237
2.3 -	استخدام المرافق الجديدة دون شعور بالانتماء	240
3.3 -	تقبل البناء العمودي مع الشعور بالغربة	242

245	4.3- المشاركة السطحية في الأنشطة الاجتماعية
247	خلاصة الفصل
250	الاستنتاج العام
258	الخاتمة
215	المراجع
274	قائمة الجداول
274	قائمة الخرائط
275	قائمة المنحنيات بيانية
276	قائمة الصور
	الملاحق

المقدمة

تعد المدينة من أهم الظواهر الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية التي عكست تطور الحضارة الإنسانية عبر التاريخ فهي ليست مجرد تجمع عمراني أو جغرافي بل هي فضاء معقد يجمع بين التنوع السكاني الحركة الاجتماعية و التطور الاقتصادي و لقد ظلت المدن منذ نشأتها مركزا للحضارة و محركا للتقدم فهي تحمل في طياتها رموز الذاكرة الجماعية و تشكل أحياءها المختلفة روح الهوية الحضرية حيث يبرز الطابع المميز لكل حي من خلال التنوع في الوظائف و المهام و كذا أساليب العيش.

و في ظل النمو المتسارع الذي تشهده المدن نتيجة التحولات المختلفة سواء من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية تواجه بعض الأحياء تحديا جوهريا يتمثل في سياسات "الترحيل الإجبارية" التي اتخذتها الدولة الجزائرية انطلاقا من أوائل الثمانينيات بأحياء القصبة العتيقة حيث فرضت على سكانها معادرة دويراتهم و أحيائهم إلى أحياء جديدة بعيدة عن أصالة الأحياء و ملامحها التقليدية و جوهرها الثقافي و التاريخي.

فهذه الأحياء العتيقة التي شكلت لسنوات طويلة صورة متناسقة للهوية المعمارية و الاجتماعية للمدينة و التي تحمل في طياتها رموزا منغرسه في عمق الثقافة المحلية شهدت في الامس القريب ضغوط متعددة على سكانها للانتقال إلى أحياء جديدة تحمل طابعا مختلفا من جميع النواحي ، حيث نلاحظ في الأحياء الجديدة هيمنة الوظيفة على الطابع و تم تجاهل الروابط الاجتماعية و التصميم الهندسي الذي تتميز به الأحياء بالقصبة القديمة و أزقتها، ان هذا الترحيل الإجباري لا يعتبر تغييرا مكانيا فقط بل هو تغيير يمس الهوية الفردية و الجماعية لسكانها الأصليين، هنا يجد السكان أنفسهم بعد انتقالهم الى الأحياء الجديدة " بالثنية و برج الكيفان" مضطرين لإعادة تعريف انتمائهم فيعيدون تسمية هذه الأحياء باسم مستوحى من حيهم العريق " القصبة " كوسيلة للحفاظ على ذاكرتهم الجماعية من الاندثار و لترسيخ هويتهم الحضرية و استمراريتها في المكان و الزمان و ذلك امتداد للماضي في الحاضر.

يلعب الحي دور بارز و محوري في بناء الهوية الفردية و الجماعية للأفراد و الجماعات فهو يعكس ثقافة الأفراد (السكان) وعاداتهم و تقاليدهم ما يجعله جزء لا يتجزأ من الهوية الجماعية حيث يرى " بى يار بورديو" أن الحي يعكس رأس المال الاجتماعي و كذا الثقافي للأفراد المتواجدين فيه فهو يشكل شبكة من العلاقات الاجتماعية التي تدعم التضامن و التعاون بين الأفراد و ينقل القيم و الموروث

الحضري الذي يجسد هوية المجتمع كما يعتبر الحي أيضا مرجعا حيا للذاكرة الجماعية للأفراد و يتجلى ذلك من خلال بعض الأماكن ذات رموز و التي تلعب دور مهم في ترسيخ هاته الذاكرة كالأسواق التقليدية و الأزقة الضيقة و المساجد و الدويرات .

ترتبط الهوية بالمكان ارتباطا وثيقا حيث يعتبر المكان عنصرا مهما في تشكيل الهوية الفردية والجماعية لسكانها فهي تعبر عن العلاقة المتبادلة بين الساكن و المكان فهي ليست مجرد مسألة جغرافية أو مادية بل هي تجسيد للموروث الثقافي و الرموز الاجتماعية التي تتجذر في المكان و هذا ما أشار اليه بعض الباحثون مثل " إدوارد ريلف وميشيل لوسو " حيث يعتبرون ان الهوية المكانية هي مزيج من الخصوصية التي يتميز بها المكان و العلاقة الرمزية التي ينسجها الأفراد و الجماعات مع هذا المكان ، و في هذا السياق يعتبر حي "القصبة" نموذجا حيا لفهم الهوية المكانية ودورها في حفظ الذاكرة الجماعية حيث يعكس ارتباط سكانه بماضيهم ورغبتهم في ترسيخ هويتهم في فضاء جديد من خلال اعادة تسمية الاحياء باسم ذات دلالات عميقة ألى و هي " القصبة " .

في إطار هذه الدراسة سعينا إلى معالجة الإشكالية من خلال دمج البعدين النظري والميداني من البحث حيث تم تنظيم العمل في هيكلية منهجية تتوزع على عدة فصول يتناول كل فصل جانبا محددا من البحث بما يسمح لنا بفهم شامل و عميق للإشكالية المطروحة فهذا التقسيم المنهجي يمكننا من ربط الأطر النظرية بالممارسات العملية مما يسهم في إثراء البحث وفتح آفاق أخرى جديدة للتحليل.

ففي الفصل الأول من الدراسة ركزنا على الجانب المنهجي باعتباره أحد الركائز الأساسية لضمان الدقة العلمية في الدراسة حيث تناولنا في هذا الفصل صياغة الإشكالية بشكل دقيق و واضح إلى جانب تحديد المفاهيم الأساسية التي تشكل إطارا نظريا للدراسة و لقد حاولنا استعراض المنهجية وتقنيات البحث المعتمدة في الدراسة مع تقديم وصف شامل لمجتمع الدراسة والعينة المختارة بما يضمن تمثيلا للظاهرة المدروسة.

في الفصل الثاني بدأنا أولا بتقديم مدخلا معرفيا حول التراث حيث تضمن الفصل خمسة عناوين رئيسية تناولت مختلف أبعاد هذا الموضوع ، انطلقنا بتحديد مفهوم التراث بين الماضي و الحاضر و ذلك من خلال استعراض التعريفات المختلفة لها ثم انتقلنا إلى تحليل أقسام التراث وأنواعه ، كما استعرضنا الأهمية التاريخية و الثقافية و الاجتماعية للتراث في المجتمع المعاصر حيث يعتبر ركيزة أساسية في بناء هوية المجتمعات والحفاظ على خصوصيتها الثقافية و يهدف هذا الفصل إلى بناء قاعدة معرفية متينة تسهم في تأطير الموضوع ضمن سياقه العلمي مما يدعم تحليلنا في الفصول اللاحقة.

في الفصل الثالث تناولنا الموروث الحضري و علاقته بالهوية حيث يربط تناولنا مفهوم الموروث الحضري بين الماضي و الحاضر، الموروث بين المعايير الحضرية و الهويات المحلية، الموروث الحضري و علاقته بالفرد و المجتمع و أخيرا واقع الموروث الحضري بين الأصيل و المنقول.

في الفصل الرابع استعرضنا مدخل سوسيولوجي حول مفهوم المدينة، خصائص المدن القديمة و الحديثة، المدينة كمجال للعلاقات الاجتماعية، سبل امتلاك المجال داخل المدينة و لهدف من هذا الفصل هو بناء فهم شامل لطبيعة المدينة ودورها في حياة المجتمعات.

الفصل الخامس ناقشنا مفهوم الحي برؤية تكاملية تحليلية بين التحليل الاجتماعي و التصميم المعماري وجهة نظر علماء الاجتماع و كذا الحي كمجال اجتماعي بين الفردية و الجماعية .

كما سلطنا الضوء على إعادة تسمية الأماكن كأداة لتجسيد الهوية و الذاكرة الجماعية بدأنا أولا بتعريف علم الطوبونيميا : الفروع و الأبعاد الأكاديمية فأهمية التسمية في الحفاظ على الهوية الثقافية، الهوية والمكان في سياق القصة العتيقة .

في الفصل السادس تطرقنا الى إستراتيجية الاندماج في المجال الجديد و مفهومه في مجال العلوم الاجتماعية و مظاهره و المتمثلة في الاندماج الاجتماعي ،الاندماج الثقافي و الاندماج الحضري، كما تعمقنا في هذا العنصر باعتباره مفهوم جوهري في موضوع الدراسة فتناولنا الاندماج الاجتماعي في المجال الحضري، الحي مجال للاندماج الحضري أو الإقصاء الاجتماعي و أخيرا بعض التناولات النظرية السابقة حول الاندماج الاجتماعي.

أما فيما يخص الجانب الميداني من الدراسة فلقد قمنا بمعالجة الموضوع عبر خمسة فصول تحليلية حيث شكل العمل الميداني محورا أساسا لفهم ظاهرة صراع التسميات في القصبات الوهمية، فمن خلال هذا الجانب حاولنا تحليل المعطيات الميدانية واستخلاص النتائج التي تساهم في تقديم نظرة كاملة للإشكالية المطروحة.

في الفصل الأول قمنا بتقديم ميدان البحث ، دوافع اختيار ميدان البحث ،التعريف ببلديات البحث و بمجال البحث و قراءة في خصائص عينة البحث.

في الفصل الثاني قدمنا لمحة شاملة حول مدينة " القصبة "حيث تطرقنا الى الموقع الجغرافي الاستراتيجي، خصائصها الديمغرافية بالإضافة إلى استعراض موروثها الحضري بشقيه المادي و اللا

مادي، العمران و الهندسة المعمارية (النمط المعماري كالزخارف ،النقوش،وسط الدار،القوس ...) ،حركية سكان القصبة و مراحل تعميرها.

في الفصل الثالث استعرضنا التحليل السوسيولوجي للفرضية الأولى حيث قمنا بدراسة أثار الترحيل الإجباري على العلاقات الاجتماعية و لقد تضمن هذا الفصل عدة عناوين رئيسية كانخفاض التفاعل بين الجيران ، ضعف الترابط الأسري التقليدي، تراجع الدعم الاجتماعي غير الرسمي، نقص المشاركة المجتمعية، تأثير النسيج العمراني على التلاحم الاجتماعي، فقدان الهوية الثقافية والمعمارية، انعزال السكان و غياب الفضاءات العامة.

في الفصل الرابع قمنا بتحليل الفرضية الثانية للبحث و تضمن ثلاثة محاور اساسية و المتمثلة في أولا إعادة إنتاج الممارسات الاجتماعية، ثانيا التسمية كأداة للهوية الثقافية، ثالثا و أخيرا تعزيز الهوية الجماعية في الحي الجديد

في الفصل الخامس و كان آخر فصل للجانب الميداني حيث قمنا بتحليل الفرضية الثالثة للبحث و المتمحورة حول الانغراس القوي للسكان الأصليين بالقصبة و لقد تضمن ثلاثة محاور سنستعرضها على الترتيب الارتباط العميق بالموروث الاجتماعي ، التعلق بالقصبة و تأثيره على الانتماء للحي الجديد و أخيرا التعايش والتكيف الظاهري.

في نهاية الدراسة تم تقديم خاتمة للبحث تضمنت تلخيصا شاملا لأهم النتائج التي توصلنا إليها مع إبراز مدى تحقيق أهداف الدراسة والإجابة عن الإشكالية المطروحة كما اشتملت الخاتمة على توصيات علمية و عملية تسهم في معالجة الجوانب المتعلقة بالموضوع إضافة إلى اقتراح بعض المحاور للبحوث المستقبلية لتوسيع دائرة المعرفة و الاطلاع في هذا المجال.

الباب الأول

الجانب النظري للبحث

الفصل الأول

الإطار المنهجي للبحث

1. أسباب اختيار الموضوع
2. أهداف الدراسة
3. الإشكالية
4. فرضيات البحث
5. تحديد مفاهيم البحث
6. منهجية البحث و تقنيات جمع البيانات
7. السياق البحثي و العينة المستهدفة
8. الدراسات السابقة

خلاصة الفصل

1 - أسباب اختيار الموضوع:

يعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى عدة أسباب جوهرية نذكر من أبرزها:

1. أهمية " أحياء القصبة " التاريخية والتراثية و التي تمثل جزءا من الذاكرة الجماعية للمجتمع .
2. رغبة الباحث في تسليط الضوء على آثار الترحيل الاجباري على السكان و على المجتمعات و بالخصوص من الجانب الثقافي و الاجتماعي.
3. استكشاف مدى استمرارية الهوية رغم التغير المجالي و الاجتماعي.
4. إبراز قدرة " سكان القصبة " الأصليين و المتجذرين على الصمود و التكيف و من ثم الاندماج و محاولة إعادة تشكيل مجالهم الجديد و ترسيخ هوياتهم بالأحياء الجديدة.

2 - أهداف الدراسة:

تعرف قصبة الجزائر العتيقة بتراثها العريق و بسكانها المتجذرين في المنطقة، و التحول الاجتماعي و الجغرافي البارز و المتمثل في ترحيل هذه المجموعة الى مناطق أخرى ضمن الضاحية ليست عملية سهلة و تحتاج الى دراسة معمقة ذات اهداف واضحة، نحاول من خلال هذه الدراسة:

1. تحليل الآليات المتبعة من قبل السكان القدماء للتكيف و الاندماج في المجال الجديد.
2. دراسة كيفية اختراع تسميات جديدة و انشاء فضاءات الهوية في الاحياء الجديدة .
3. استكشاف دور الموروث الحضري و الاجتماعي في الحفاظ على الهوية الجماعية.
4. إبراز قدرة القدماء في الصمود و التكيف و إعادة تشكيل فضاءاتهم وهوياتهم في المجال الجديد.

3 - الإشكالية:

إن المدينة ليست مجرد ميكانيزم مادي و بناء منظّم فهي تشارك في عمليات حياة الناس الذين يعيشون فيها: فهي نتاج للطبيعة البشرية¹. و كلما زادت مدة نشأتها زادت أقدميتها و أهميتها في نظر ساكنيها، فهي تغذي مخيالهم الحضري، أحيانا بطريقة أسطورية، إذ أنّ مسألة الانتماء إلى المدينة و بصفة أخص إلى ذلك الجزء الأصغر منها أي "الحي" تظهر مدى انغراس سكانها و تمسكهم بهويتهم الخاصة و محاولة استمرارهم في نمطهم الحضري القديم، و إظهار رموز تحضرهم في المجال الجديد.

تعتبر قصبة الجزائر مركزا تاريخيا هاما، و نموذجا عريقا للنسيج العمراني التقليدي، تضم مجموعة من الأحياء تعبّر عن مجال يحوي ذاكرة تاريخية و جماعية عملت على ترسيخ الهوية الحضرية لسكانها. فالقصبة ليست مهمّة لأنها قديمة، و لكن كونها شكّلت في الماضي القريب وسيلة تشغيل و إدارة لمجمّع حضري، و هي من الأمثلة النادرة لممارسة محلية فعالة².

إن التغيرات المعمارية و الحضرية التي سادت في العقدين الأوليين من الاستعمار يعكس تردّد أخذ القرار حول مصير القصبة، فالعشرات من المشاريع الجاهزة، البعض منها أنجز و بعضها في محلّ الانجاز، و أخرى لا تزال في مرحلة الدراسة، هذه الانجازات سمحت للسكان الأجانب بالدخول في الهندسة المعمارية المستوردة و المفروضة، و التي شوّهت النمط المعماري الخاص بالقصبة في كثير من الأحيان³. فعلى الرّغم من أن القصبة كانت محاطة بمدينة أوروبية إلا أنها تمكّنت من المحافظة و التمسك بهويتها الحضرية. فبعد فترة الاستعمار عرفت القصبة حركية مستمرة و سريعة، جعلت نسيجها الحضري مهدّدا بالاندثار و الاضمحلال. و ما زاد الطينة بلّة، اتّخاذ السلطات العمومية سياسة إعادة الإسكان و الترحيل الجماعي للعائلات الأصلية (سنة 1985) إلى أحياء لا تمدّ بصلة للنسيج الحضري القصباجي، فهذه المجموعة من السكان وجدت نفسها مجبرة على التخلي عن مجالها القديم و كل ما يربطها به من ذكريات مع الزمان و المكان و الذاكرة و محاولة إختراع رموز استدلال جديدة خاصة بها في المجال الجديد.

نحاول من خلال بحثنا هذا تسليط الضوء على أحياء ذات مساكن عمودية شهدت استقبال سكان من القصبة العريقة و المتمثلة في حي " عين الله" و حي " عين النعجة" و حي "الثنية" و "حي الضفة

¹Shin Ji-Eun : Une approche écosophique de l'espace urbain , sociétér 1/2013(n°119),p19-28

URL : www.cairn.info/revue-sociétér-2013-1-page-19.htm.

² KHATTABI LAHCENE : La reconquête d'un centre ancien ,le cas de la Médina de Nédroma, Mémoire Pour l'obtention du Diplôme de Magister en Architecture, Soutenu le : 14 Juin 2010. Département d'Architecture, Université Abou Bakr Belkaïd – Tlemcen.

³ Djaffar Lesbet : La casbah d'Alger ,Vide social et gestion urbaine , Alger ,OPU,1985, p7.

الخضراء"، أسماء أحياء أطلقتهم البلديات المعنية، و لكن هذه الأخيرة لم يتم التداول بها، حيث اتخذت هذه الأحياء تسميات أخرى أطلقت من قبل الوافدين الجدد حتى يتمكنوا من الاندماج و التكيف مع المجال الجديد، فهذه التسمية تلعب دور في تكوين الهوية المجتمعية لمجموعة من الناس و التي تحدد كينونتهم الاجتماعية بمجموعة من الخصائص و المقومات التي تجعلهم يختلفون أو يشعرون باختلافهم عن غيرهم، فالمهم في هذا التحديد هو كون جميع هؤلاء الأفراد (الوافدين الجدد) يستمدون انتماءهم الجمعي من مصدر واحد مشترك يحدد هويتهم الخاصة و إن دلّ هذا على شيء إنما يدل على رفض هذه المجموعات الجديدة السكن في أحياء ذات طابع معماري مختلف لا يعكس ميولاتهم و انتماءاتهم الحضرية، بالإضافة إلى رفض استئصالهم من المركز أين كانت لهم جذور و أماكن و رموز خاصة بهم و ذاكرة جماعية مكوّنة مع أصدقائهم و جيرانهم و حيّهم القديم، و غرسهم في بيئة جديدة مخالفة لنمط معيشتهم القديم، "...الأحياء كانت لتختفي، إن لم تكن تتوافق لحاجيات عميقة و لاندجاب بيولوجي و ثقافي"¹

ويتجلى هذا النفور و الرفض من خلال تغيير تسمية الأحياء الجديدة من أسمائها المعروفة إداريا إلى اسم واحد مشترك يعكس انتمائهم الهوياتي ألى و هي تسمية "حي القصة" ، فلتسمية دور كبير في هيكلة حياتنا و في التدليل على أهم ملامح موروثنا الحضاري، و خصوصية هويتنا الثقافية الاجتماعية.² فالهوية ليست فقط نتاج للتمثلات و لكنها أيضا نتاج لممارسات مكانية، أي بمجرد وجودي و تنقلي إلى أماكن جديدة فهذا يسمح بتغيير المجالات الغربية إلى مجالات مألوفة أي ذات هوية³.
إن تساؤلاتنا تتدرج ضمن إشكالية مزدوجة:

- أولا إشكالية إعادة التسميات، و ننطلق بتتبع المرحلين من خلال مسيرتهم السكنية لاكتشاف مدى تقبلهم لهذا الترحيل و كيف تم إنشاء تسميات مغايرة للتسميات الموجودة قصد تكوين هوية خاصة بهم و أماكن للالتقاء تجمعهم و تغذي ذاكرتهم القديمة، حيث تعدى ذلك إلى تغيير تسمية المجمع السكني كوسيلة للتعبير عن رفضهم الغير مباشر و الحتمي.

- ثانيا إشكالية الحفاظ على الموروث الحضري القديم، الذي حصرناه في مفاهيم واضحة (العادات و التقاليد و الممارسات الاجتماعية)، و محاولة اكتشاف مدى تمسك السكان الأصليين المرحلين برصيدهم الثقافي القديم (الأصيل)، عند مجموعة من السكان في أحياء مختلفة من العاصمة تعدت

¹Jean-Marie Marconot : *La fin des villes, la durée des quartiers..* Natures Sciences Sociétés, 2003, 11, pp.266-275. (halshs-00851482)

² Dib, Fatiha : *Les prénoms arabes*, Paris, Edition L'HARMATTAN, 1995, pp11. بالتصرف.

³ Mathis Stock : *Construire l'identité e par la pratique des lieux*. De Biase A. & Alessandro Cr. " Chez nous ". Territoires et identité'es dans les mondes contemporains, Editions de la Villette, 2006, pp.142-159.

مدة إقامتهم العشرين سنة، (الحراش، عين الله، الكاليتوس، الثنية، الضفة الخضراء...) و التعرف إلى مصير العلاقات الجوارية، و مدى تمسك السكان بمدلولها العميق و تجسيدها في الواقع (تبادل الزيارات، التعاون بين الجيران، حضور الأعراس...) وبما أن العلاقات تنسج مع الأفراد و كذا مع المجال، فهل تعرّضت للتغيير جرّاء الترحيل، حيث أنّ هناك "ما يؤهل هذه العلاقات، هذه المؤانسة التي تتعلّق أساسا بالمجال، و بالأماكن"¹.

- إن هاتين الإشكاليتين يمكن ربطهما و إدراجهما تحت سؤال واحد حول مفهوم الاندماج الاجتماعي و طرح تساؤل عن مدى اندماج المجموعات المرحلة في أحياء جديدة لا تمد بصلة للمجال القديم لا من ناحية الهندسة المعمارية و لا من ناحية النسيج الحضري، و درجة تجسيدها لتلك الممارسات الاجتماعية، حيث يتميز الاندماج الاجتماعي "بنوعية و تكرار العلاقات التي تربط الأفراد داخل الجماعة إلى حدّ التزامهم بقيمتها و معاييرها"². أم انه حدث اصطدام بين الثقافة القديمة و الجديدة ما أنتج نوع من الانعزال على المستوى المجالي و مستوى الذاكرة، حيث يقول شومبر دولو: "يمكن للسكان الجدد أن يندمجوا و يصبحوا من الجماعة الجديدة أو لا يندمجوا فيعبرون عن ذلك بالرفض و الهامشية"³.

و كان المنطلق في بلورة السؤال الرئيسي الذي تتبني عليه الإشكالية هو على النحو التالي:

❖ ما هو واقع الحياة الاجتماعية في الفضاءات العمرانية التي عرفت استقبال سكان القصبة؟

و قد جرى تفكيك هذا السؤال الرئيسي إلى أسئلة فرعية تحاول كل منها تغطية بعدا أساسيا في الإشكالية.

❖ كيف يتم تفاعل سكان القصبة مع الإطار المبني و الصورة العمرانية المنتجة ؟

❖ ماهي المقاييس المعتمدة من طرف السكان لإعطاء تسميات جديدة مخالفة للأصلية؟

❖ هل إعادة تسمية الأحياء يتيح الإرادة للتكيف و الاندماج مع المحيط الجديد؟

❖ لماذا سعى سكان القصبة إلى إنتاج تسميات و معالم خاصة بهم ؟

¹ Membrado, Monique : **Les formes du voisinage à la vieillesse**, Empan, 2003/4 no52, 2003. p.100-106.
CAIRN.INFO, shs.cairn.info/revue-empan-2003-4-page-100?lang=fr.

² Cusson.M, Alexandre Morin : **Déviance, Intégration spatiale** , L'espace géographique3/2002(tome31), Université Laval. Québec, 2008, p77.78.

³ Chambart De Lawe : **La fin des villes**, Calnan, Levy, Paris, 1982, p43.

❖ هل إعادة إنتاج تسميات للمجمعات السكنية من قبل السكان المرحلين (سكان القصبة) لعب دوره و بالتالي كان هنالك اندماج و ذوبان، أم هو عبارة عن مسلك أوجده هذه الجماعات للهروب من الواقع المعاش، و استعمالها كمرادف فقط و في نفس الوقت استراتيجية لفرض هويتها الجماعية ؟

و من جهة أخرى، محاولة اكتشاف ما مدى استمرارية الموروث الحضري الأصيل في هذه الأحياء؟ هل تمّ نقل كل ما يخص العادات و التقاليد و الممارسات الاجتماعية القديمة قصد إعادة غرسها في المجال الجديد، أم انه حدث انقطاع بين ما هو قديم و جديد، و بقي التغيير واضح و جليّ على مستوى التسمية فقط.

4 - فرضيات البحث:

انطلاقا من أهمية موضوع بحثنا حول "الموروث الحضري وصراع التسميات في القصبات الجديدة" تم صياغة ثلاث فرضيات تسعى إلى اختبار جوانب مختلفة من دراستنا، نحاول من خلالها تقديم فهم أعمق للعلاقات بين المتغيرات المختلفة المؤثرة في هذه الظاهرة و التي سيتم اختبارها في الجانب الميداني من البحث بهدف استكشاف تصورات جديدة قد تنثري هذه الدراسة.

حيث تطرقنا في الفرضية الأولى الى ان عدم مراعاة النسيج الحضري للسكان الأصليين يؤدي الى تفكك الروابط الاجتماعية بين المرحلين (السكان الأصليين)، و هذا سيدفع هذه المجموعة الى تطوير الممارسات القديمة في الأحياء الجديدة و إعادة تسمية هذه الأحياء لطبع هويتهم الحضرية و هذا كان مضمون فرضيتنا الثانية ، أما الفرضية الأخيرة فقد حاولنا من خلالها معرفة مدى اندماج السكان الاصليين بالمجال الجديد و هي مقدمة كالتالي:

1- الترحيل الإجباري للسكان الأصليين دون مراعاة للنسيج العمراني و الحضري بالأحياء الجديدة عمل على تشتيت و تفكيك التلاحم الاجتماعي بين السكان.

2- محاولة السكان الأصليين إعادة إنتاج ممارسات اجتماعية و اختراع تسميات تطبع هويتهم الخاصة بالمجال الجديد.

3- الانغراس القوي للسكان الأصليين بالقصبة و تمسكهم بها عرقل عملية الاندماج الاجتماعي بالمجال الجديد.

5 - تحديد مفاهيم البحث:

في إطار البحث العلمي يعتبر تقديم شرح بعض المفاهيم الأساسية في الدراسة خطوة مهمة لتحقيق الدقة و الوضوح لمنع الالتباس بين مدلول بعض المصطلحات لدى القارئ ، و هذه جملة من المفاهيم التي تشكل منطلقات في دراستنا.

❖ التراث:

المصطلح :حدود التراث ومقوماته :إذا كان الباحثون يتفقون على أن التراث ينتمي إلى الزمن الماضي، فإنهم يختلفون بعد ذلك في تحديد هذا الماضي، فبعضهم يرى أن التراث هو كل ما وصل إلينا من الزمن الماضي البعيد، ويعرف التراث على هذا الأساس بأنه "كل ما ورثناه تاريخياً". وبأنه " كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة" و أما بعض الباحثين فيرى أن التراث هو ما جاءنا من الماضي البعيد و القريب أيضا .

واختلف الباحثون حول تحديد مقومات التراث، كما اختلفوا حول تحديد الفترة الزمنية التي ينتمي إليها، فالدكتور محمد عابد الجابري يعرف التراث بأنه "الجانب الفكري في الحضارة العربية الإسلامية: العقيدة، الشريعة، واللغة و الأدب و الفن، و الكلام، و الفلسفة، والتصوف" ، أما الدكتور فهمي جدعان فيوسع مفهوم التراث ليضم إلى الجانب الفكري الجانبين الاجتماعي كالعادات والتقاليد....، والمادي كالعمران¹ .

❖ الهوية:

يعرف أ. ميكشيلي أن الهوية هي " مجموعة المعايير التي تسمح بإعطاء تعريف اجتماعي للفرد أو الجماعة، و يعني بهذا التي تسمح له بتحديد موقعه في المجتمع"²

و " يمكن أن تفهم الهوية باعتبارها ديناميات التطور، التي من خلالها الفاعل الاجتماعي، فرد أو جماعة، يعطي معنى لكيانه، و هو يفعل ذلك من خلال ربط الماضي و الحاضر و المستقبل³.

¹ محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص 19-20. www.books4arab.com

² A. Mucchielli : L'identité, Paris, Presses Universitaires de France, P127.

³ Vinsonneau Geneviève : Le développement des notions de culture et d'identité , un itinéraire ambigu , Carrefours de l'éducation 2/2002 (n° 14), p. 2-20. [Cairn.info](http:// Cairn.info)

❖ الذاكرة الجماعية :

تتكون الذاكرة الجماعية لمجتمع ما، أو لفترة من تاريخه، أو لحدث معين، من مجموعة التمثيلات التي يشترك فيها غالبية أولئك الذين يصنعون هذا التاريخ: الأفراد والجماعات. و تنتظم هذه التمثيلات حول محور رئيسي يمنحها معنى يسمح لها بالعمل كأساس للمجتمع المعني. هذا الشرط التأسيسي للذاكرة، الذي سبق أن أكد عليه موريس هالبواكس في عمله الرائد "الذاكرة الجماعية"، و هو إنقاذ الماضي من النسيان وتأسيسه كمرجع للهوية المجتمعية، يحول التذكر إلى ضرورة للبقاء، تجعل حالته الأخلاقية ونطاقه الجماعي من واجب الذاكرة "ممارسة ضرورية لأي تأكيد للانتماء إلى مجموعة"¹.

❖ الحي:

الحي، الذي يفهم على أنه جزء من الإقليم الحضري ذو مظهر خاص وسمات مميزة تمنحه وحدة و فردية أو كشكل من أشكال تنظيم المكان والزمان في المدينة، ونقطة التقاء بين الحياة الاجتماعية و المجال الحضري القائم على التقارب، و الذي تضعف قوته الهيكلية بمرور الزمن، هو كيان يصعب تحديده للغاية. ونادرا ما يتطابق مع الحدود الإدارية للأحياء التي تحددها الإدارات البلدية.²

❖ الاندماج الحضري:

يتخذ الاندماج الحضري بعدا ثقافيا و هو يمثل المثل الجماعية العليا و القيم الحضرية المشتركة التي تنظم الحياة الجماعية في إطارها، القائمة أساسا على التجاور و التعايش و التعاون و الاحترام المتبادل و بعدا اجتماعيا و هو الدخول في علاقات اعتماد متبادل مع الآخرين من خلال تبادل المنافع في إطار مؤسسات رسمية قائمة أساسا على تقسيم العمل.³

¹ Vidal-Beneyto, J. (2003). La construction de la mémoire collective Du franquisme à la démocratie. Diogenes, 201(1), 17-28. <https://doi.org/10.3917/dio.201.0017>.

² <https://unt.univ-cotedazur.fr/uoh/espaces-publics-places/la-place-et-le-quartier/>

³ د.محمد بومخلوف: التوطن الصناعي و قضايا المعاصرة الفكرية والتنظيمية و العمرانية و التنمية، الحضرة، دار الأمة، 2001، ص 49 - 50.

❖ التجذير السوسولوجي:

التمثيلات الاجتماعية هي أيضا نتيجة لعملية تجذير بالنسبة لدواز "Doise" " فإن التجذير هو "البحث عن معنى للتركيبية الخاصة من المفاهيم التي تشكل محتواها". وبالتالي، فإن التمثيل الاجتماعي متجذر في المعتقدات أو القيم العامة التي تنظم علاقاتنا الرمزية مع الآخرين، أو في العلاقات بين المواقع أو الفئات الاجتماعية، أو في الانتماءات أو المواقع الاجتماعية¹.

❖ التكيف:

مسألة التكيف ما هي إلا قدرة الجماعات البشرية من أجل البقاء وإيجاد أنماط ملائمة لإسقاطها في المستقبل². و هي " العملية التي تقتضي تعديلا في أشكال العلاقات القائمة بين الأفراد و الجماعات بهدف التخفيف أو تجنب الخوف من التوترات و النزاعات سواء كانت العملية واعية أو غير واعية"³

❖ الممارسات الاجتماعية:

تجد نظرية الممارسات الاجتماعية جذورها في أعمال بورديو و مفهومه عن "الهابيتوس"، الذي يُعرّف بأنه مجموعة من الاستعدادات للفعل، التي تخلق وتديم من خلال إنجاز ممارسة في فضاء اجتماعي ثقافي معين. تشكل هذه الاستعدادات شكلا من أشكال المعرفة التي تؤثر على الممارسات أو تهيء لها. ينخرط "الهابيتوس" في "حضور الماضي" لتشكيل وتجسيد المعرفة و بالتالي، يمكن اعتبار "الهابيتوس" تاريخا مُجسدا⁴.

¹ Negura, L. et Lungu, O. (2011). "Les thémata et l'ancrage sociologique de la nostalgie d'un passé historique. Le cas de l'ostalgie" Les Cahiers Internationaux de Psychologie Sociale, Numéro 89-90(1), 87-105. <https://doi.org/10.3917/cips.089.0087>.

² Valantin Jean-Michel : **Les pirates somaliens et nous : histoire d'une adaptation sociale à des inégalités environnementales imposées**, Annales des Mines - Responsabilité et environnement, 2015/3 (N° 79), p. 36-39. URL : <http://www.cairn.info/www.snd11.arn.dz/revue-responsabilite-et-environnement-2015-3-page-36.htm>

³ Alain Birou, Vocabulaire des sciences sociales éditions ouvrières, Paris, 1966, p7.

⁴ Wilhite, H. (2014). Perspectives issues des pratiques sociales et de la théorie de l'apprentissage social pour une consommation énergétique durable. Flux, 96(2), 24-30. <https://doi.org/10.3917/flux.096.0024>.

❖ صراع التسميات (تعريف اجرائي):

صراع التسميات في سياق أطروحتنا هو نزاع اجتماعي و رمزي من قبل السكان القدماء المرحلون حول تسمية الأحياء الجديدة بتداعيات الماضي التي تحمل دلالات ثقافية و اجتماعية و تاريخية عريقة محاولة بذلك الاستمرار في الهوية من خلال تجسيد الذاكرة و بناء معاني و رموز بالمجال الجديد.

❖ اختراع التسميات (تعريف اجرائي):

لا يقصد من اختراع التسميات انشاء تسميات جديدة لا وجود لها و انما اختراع صلة جديدة تربط المرحلون رمزيا باسم " القصبة" الذي يحمل معنى عميق محاولة منهم إحياء جزء من ماضيهم في المجال الجديد.

❖ السكان الأصليون (تعريف اجرائي):

هم مجموعة من السكان يعتبرون من الأوائل الذين عاشوا بأحياء القصبة و نسجوا مع مرور الزمن روابط اجتماعية و تاريخية مع أحيائهم و التي أصبحت جزء لا يتجزأ من هويتهم الحضرية، و يعرفون بتمسكهم بعاداتهم و تقاليدهم و قيمهم و ثقافتهم و يتناقلونها عبر الأجيال.

❖ الترحيل الاجباري (تعريف اجرائي):

هو اجبار مجموعة من السكان على مغادرة مناطق عيشهم و بيوتهم الى مناطق أخرى دون اختيارهم.

❖ القصبات الوهمية (تعريف اجرائي):

القصبات مفردا قصبة و تعني الجزء الأعلى من المدينة، و في سياق بحثنا نقصد بالقصبات الوهمية الأحياء التي رحل اليها السكان القدماء و بمجرد وصولهم غيروا التسمية الإدارية بتسمية "القصبة" التي تعبر عن موروث حضري و هوية جماعية و بذلك أنتجوا قصبات متعددة وهمية مخيالية في مناطق مختلفة من الجزائر.

6- منهجية البحث و تقنيات جمع البيانات:

إن أي دراسة و بحث علمي يستلزم اختيار منهج خاص يفرضه طبيعة الموضوع و تستلزمه الإشكالية المطروحة قصد الوصول إلى الأهداف المرجوة، حيث يعتمد كل باحث على منهج يلائم موضوع بحثه، فهو "يشير إلى مجموعة من القواعد التي يتم وضعها بقصد الوصول إلى الحقيقة في العلم"¹. فلقد وقع اختيارنا على ميدانين نعتبرهما ذات أهمية لأنهما يستوفيان شروط البحث و يتمثل الميدان الأول في أحياء عرفت استقبال سكان مرحلين من القصبة، الواقع ببلدية الثنية" و الثاني الواقع بحي " الضفة الخضراء " ببلدية برج الكيفان بالجزائر العاصمة و اللذان يحملان نفس الطابع المعماري و نفس التسمية و التي أطلقت من قبل السكان القدماء و الأصليين للقصبة العتيقة و المتمثلة في تسمية " أحياء القصبة" إلا أنهما يختلفان في الموقع.

يمكن تصنيف هذه الدراسة ضمن الدراسات التحليلية التي تهدف إلى تقديم وصف دقيق للظواهر المدروسة من خلال جمع البيانات الميدانية و تحليلها بشكل منهجي فلقد فرضت طبيعة بحثنا اتباع منهج معين يتناسب مع طبيعة البيانات التي نقوم بدراستها و هدفنا في فهم الظاهرة التي ندرسها بشكل شامل و لذلك فقد تم اختيار "المنهج الوصفي التحليلي" الذي يعد الأداة المثلى لجمع و تحليل المعلومات الميدانية بشكل دقيق حيث يعتمد هذا المنهج على وصف الظاهرة المدروسة و تحليل العلاقات بين متغيراتها المختلفة دون تدخل في سيرها الطبيعي كما يتيح للباحث التفاعل المباشر مع الواقع المدروس و ذلك من خلال استخدام أدوات مثل المقابلات الشخصية و الاستبيانات اضافة ل تحليل المحتوى، و هذا يمكننا من استكشاف التوجهات السائدة في المجتمع المدروس " القصبة" مما يساعد في تقديم تحليل دقيق و موضوعي للمعلومات التي تم جمعها من ميدان بحثنا .

1.6- الإطار التحليلي للدراسة:

بعد الانتهاء من وضع إشكالية البحث وصياغة الفرضيات التي ستوجه مسار الدراسة وصلنا الآن إلى مرحلة جد حاسمة و معقدة و المتمثلة في مرحلة تحليل المعطيات وطريقة جمعها، و تعتبر تعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل البحث العلمي حيث تعتمد دقة النتائج التي سيتم التوصل إليها على كيفية و طريقة جمع و تحليل البيانات.

¹ عمار بوخوش، محمد محمود: مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص 89.

اعتمدنا في هذه المرحلة على "منهج تحليل المحتوى" و نجده مناسباً لدراسة الظواهر الاجتماعية المعقدة التي تتضمن جوانب مختلفة نوعية و كمية.

تمثلت أولى الخطوات التي قمنا بها في جمع البيانات باستعمال المقابلات الميدانية مع سكان "القصبة" العتيقة حيث خاطبنا مجموعة متنوعة من الأفراد من مختلف الفئات العمرية و الاجتماعية و من الجنسين لضمان تنوع الآراء و المعلومات حيث تم توجيه أسئلة مفتوحة تساعد في الحصول على إجابات تفصيلية حول "الموروث الحضري و صراع التسميات" في القصبات الجديدة و إعادة بناء رمزي و الصراع في التسميات بعد الترحيل.

ثم بعد ذلك قمنا بتسجيل المقابلات بشكل دقيق و حرصنا على عدم ضياع أي فكرة أو معلومة من المعلومات القيمة التي حصلنا عليها حيث استعنا بمسجلة و أحيانا التسجيل يكون عن طريق الهاتف النقال ، فبعد هذه المرحلة تم تفريغ المعطيات التي جمعناها و تم تبويبها بشكل منهجي حيث تم تصنيف الإجابات بناء على الموضوعات الأساسية التي تم تحديدها مسبقاً في موضوع البحث.

ثم كمرحلة أخرى شرعنا في إجراء التحليل الكمي و النوعي للبيانات ففي ما يخص التحليل الكمي قمنا بحساب عدد المرات التي تم فيها ذكر موضوع معين ، أما بالنسبة للتحليل النوعي فقد ركزنا على فهم الأنماط والعلاقات بين البيانات المختلفة .

2.6- مرجعية التحليل في المعطيات المدروسة:

في إطار هذا البحث اعتمدنا وحدة " الكلمة و المفردة " كوحدة للتحليل نظراً لما توفره من دقة في تتبع التكرارات والأنماط اللغوية الدالة على توجهات الخطاب ومضامينه حيث تعد الكلمة أصغر وحدة لغوية تحمل دلالة مستقلة واختيار "الكلمة" كوحدة تحليل سيمكننا من معرفة التكرار اللفظي للمفاهيم الأساسية المرتبطة بموضوع بحثنا مما يساهم في الكشف عن البنى الرمزية والمعاني المتداولة داخل الخطابات أو الحوارات التي أجريناها ميدانياً.

ان هذا الاختيار سيساعد في تفكيك الخطاب إلى عناصر دقيقة تسهل علينا تصنيفها ضمن فئات تحليلية محددة سواء كانت اجتماعية، ثقافية أو عمرانية و ذلك وفق ما تقرضه طبيعة موضوع بحثنا. حيث تم التعامل مع كل كلمة أو مفردة بوصفها وحدة تحليلية قائمة بذاتها و تم حسابها وتسجيل تكرارها وربطها بسياقها الدلالي مما يسمح لنا بالوصول إلى مؤشرات كمية ونوعية دقيقة تزيد من مصداقية التحليل.

3.6 - وضع فئات التحليل

بعد أن حددنا وحدة التحليل و هي "الكلمة أو المفردة" في تحليل المحتوى تأتي بعد ذلك مجموعة من الخطوات المنهجية التي يجب علينا تتبعها بطريقة منتظمة و متسلسلة و التي تضمن لنا في الأخير استخراج نتائج علمية دقيقة لموضوع بحثنا و المتمثلة في :

أولاً: و ضع فئات التحليل: حيث يتم هنا تصنيف الكلمات أو المفردات التي تم تحديدها إلى مواضيع رئيسية مثل: محور آثار الترحيل الاجباري على العلاقات الاجتماعية تمثلت فئات هذا المحور أو الموضوع في انخفاض التفاعل ، تراجع الدعم الغير الرسمي ، نقص المشاركة المجتمعية...الخ فهذا يسهل علينا الربط بين المفردات و سياق البحث.

ثانياً: تحديد معايير التكرار : ففي هذه المرحلة قمنا بتحديد ما إذا كان التحليل سيركز على تكرار المفردة أو وجودها من عدمه أو حتى الطريقة التي استخدمت بها في السياق فعلى سبيل المثال كم مرة وردت كلمة " التفاعل " في السياقات التي تعبر عن العلاقات و التواصل و كذا "القصة" كم وردت من مرة في سياق المعبر عن فقدان الهوية.

ثالثاً: الترميز : في هذه المرحلة قمنا بترميز كل ظهور للمفردة المحددة برمز معين يعبر عن الفئة التي تنتمي إليها.

رابعاً : العد و التكميم : في هذه المرحلة قمنا بعد تكرارات المفردات داخل النصوص أو الخطابات قصد تكوين جداول إحصائية تظهر لنا مدى حضور كل فئة دلالية و بالتالي تحديد ما يطغى في الخطابات المدروسة و تحويل ما هو كمي الى كفي ثم تحويل هذه الأعداد إلى مقاييس قابلة للتحليل مثل التكرار أو النسبة المئوية أو المدى الزمني الذي تكررت فيه المفردة.

خامساً : التحليل و التفسير : هنا وصلنا للمرحلة ما قبل النهائية نقوم فيها بتفسير ما تم جمعه من خلال ربط النتائج الكمية بالسياقات النوعية و ذلك قصد الإجابة على أسئلة البحث أو اختبار الفرضيات.

سادساً : استخلاص النتائج : و هي تعتبر المرحلة الأخيرة حيث تستخرج النتائج العامة و يتم هنا ربطها بالأطر النظرية للبحث مع تقديم مقترحات أو توصيات إذا تطلب الأمر ذلك.

4.6 - أدوات الدراسة:

في إطار بحثنا هذا اعتمدنا على مجموعة من الأدوات البحثية الميدانية التي تساعد في جمع المعلومات وتحليلها بشكل متكامل نذكرها على التوالي : استخدمنا الملاحظة المباشرة و المقابلة الموجهة باعتبارهما من الأدوات الفعالة التي تمكننا من التفاعل المباشر مع السكان في ميدان البحث و محاولة فهم العوامل الاجتماعية ، المعمارية و الثقافية التي تؤثر في الموروث الحضري للقصبة و صراع التسميات بعد الترحيل، كما استعنا بالخرائط و المستندات المختلفة من الهيئات الرسمية .

فطبيعة موضوع بحثنا تستوجب علينا (إن صح القول) الاستعانة بالوسائل المنهجية التالية:

➤ **الملاحظة المباشرة:** تمثل أداة أساسية في جمع البيانات المتعلقة بالعادات و الممارسات اليومية للسكان وتفاعلاتهم داخل القصبة و ذلك من خلال مراقبة النشاطات و الحركية اليومية، فتوثيق المعلومات بشكل مباشر و مرئي يعطي نتائج أكثر واقعية و أكثر مصداقية . فبالنسبة لـ Laplantine (1987) "هي إطار لتحليل السلوكيات الاجتماعية على أساس علاقة إنسانية مشتركة و دائمة من الوجود الإنساني" حيث "يتبنى الباحث هذا التوجه المنهجي عندما يلاحظ بيئة أو يستخدم وثائق موجودة مسبقا، ومن المفترض أن يظل محايدا في منصبه كمراقب".¹ كما أكد "أوجست كونط" أهمية الملاحظة الصارمة للظواهر: "ملاحظة الظواهر هي القاعدة الصلبة الوحيدة للمعرفة البشرية..."² كما أن "كل ما هو ملاحظ محدّد ليكون مسجلا لذلك يجب أن توصف بشكل واضح بإثراء التفاصيل، مع جميع التعليقات حرفيا و جميع الجوانب التي يمكن تصورها للسياق المحدّد بعناية و دقة"³.

➤ **المقابلة الموجهة :** كانت موجهة في غالب الأوقات في ميدان بحثنا ، فمن المهم عند إجراء المقابلات مع سكان القصبة أن نقوم بتوجيه الأسئلة لأن ما لحظناه في ميدان البحث أن الكثير من السكان القدماء و الأصليين ينطلقون في التحدث بمجرد طرح سؤال عن القصبة العتيقة مما يؤدي إلى تدفق كبير من المعلومات من طرفهم حيث يتحدثون عن تجاربهم الشخصية و يقدمون تفاصيل عميقة حول كل زاوية و ركن من هذا المجال دون التطرق إلى النقاط المهمة التي نحتاجها في بحثنا لذلك

¹ Salvador-Juan : Chapitre I – « L'observation compréhensive. Observation directe transparente, vestiges et archives, monographies... », *Méthodes de recherche en sciences socio humaines. Exploration critique des techniques*, Le Sociologue. Presses Universitaires de France, 1999, pp. 19-62.

² Scouarnec Aline : **L'observation des métiers** , définition, méthodologie et "actionnabilité" en GRH. », *Management & Avenir* 1/2004 (n° 1), p. 23-42 URL : www.cairn.info/revue-management-et-avenir-2004-1-page-23.htm.

³ Peretz Henri : **Introduction** , *Les méthodes en sociologie*, Paris, La Découverte , Repères, 2004, 128 pages URL : www.cairn.info/les-methodes-en-sociologie--9782707142627-page-3.htm.

كان من الضروري توجيههم بشكل مستمر و مناسب بين الحين و الآخر لضمان تركيز حديثهم على الموضوعات الرئيسية التي تتعلق ببحثنا وذلك لضمان جمع المعلومات الدقيقة والمفيدة.

➤ **الخرائط و المستندات :** عمدنا في هذه الدراسة إلى الخرائط والمستندات المقدمة من المصالح التقنية في البلديات المعنية جنباً إلى جنب مع البيانات الإحصائية المستقاة من الديوان الوطني للإحصاء، ومكتب الإحصاء لولاية الجزائر، والوكالة الوطنية للقطاعات المحفوظة.

➤ **التصوير الفوتوغرافي:** قمنا بالاستعانة بالمصورة لتوثيق الحالة الآنية للقصة العتيقة و ذلك بالنقاط الصور لمقارنة الأوضاع المختلفة عبر الزمن.

7 - السياق البحثي و العينة المستهدفة:

في إطار هذا البحث حول الموروث الحضري للقصة و صراع التسميات في القصبات الجديدة تم اختيار العينة الغرضية أو تدعى أيضا بالعينة القصدية و نجدها الأنسب لتحقيق أهداف الدراسة حيث تعتمد هذه العينة على اختيار أفراد أو مجموعات محددة وفقا لما يتناسب مع موضوع بحثنا و يتم التركيز على الأشخاص الذين يمتلكون معلومات و تجارب ذات صلة بموضوع بحثنا و دراستنا ف في هذا السياق شملت عينة بحثنا السكان الأصليين للقصة و الذين كانوا ساكنين بأحيائها لمدة طويلة، فهم يعتبرون بالنسبة لنا المصدر الأساسي للمعلومات حول الحياة اليومية و كذا التحديات التي تواجهها المنطقة.

تمثل عينة البحث مجموعا من 98 مبحوثا ، حيث تضمنوا 35 مبحوثا من جنس الاناث و 63 مبحوثا من جنس ذكور يعكس هذا التوزيع تباينا في تمثيل الجنسين حيث نلاحظ أن النسبة الأكبر من المشاركين في المقابلة من الذكور و ذلك بسبب عدة عوامل أبرزها رفض بعض النساء المشاركة في البحث بسبب مخاوفهن من تسجيل أصواتهن و كذا لعوامل ثقافية و اجتماعية فهناك بعض القيود التي قد تفرضها الأعراف الاجتماعية على مشاركة النساء في الأبحاث الميدانية، خاصة في بعض المجتمعات ذات الطابع التقليدي.

أما فيما يخص الفئات العمرية فقد مست تقريبا فئات مختلفة و لكن بنسب ضئيلة و تبقى أكبر نسبة مستجوبة تتراوح بين 55 سنة و ما فوق و هم من قداماء سكان القصة و الذين يملكون معرفة مباشرة

بالعادات والتقاليد بالمنطقة الأصلية وهو ما ساهم في إثراء البحث بالمعلومات الدقيقة حول الموروث الثقافي و التاريخ الاجتماعي والمعماري للمنطقة .

8- الدراسات السابقة :

تعتبر القصبة قلب مدينة الجزائر التاريخي و تعد من أقدم و أهم الأحياء التي تعكس الهوية الثقافية و الحضارية للمدينة و ذلك بفضل معمارها الفريد و تاريخها العريق و مكانتها الرمزية في تاريخ الجزائر العريق، فهي تعتبر شاهدا حيا على تطور المدينة ومرآة للواقع الاجتماعي و الثقافي لمختلف العصور . فلقد حظيت باهتمام كبير من قبل الباحثين في مختلف المجالات و ذلك لأهميتها البالغة التاريخية منها و الثقافية فهي مرجع للتحويلات الاجتماعية الحضرية في الجزائر فالعديد من الدراسات الأكاديمية بمختلف تخصصاتها تطرقت الى تاريخها المعماري (الهندسي) الاجتماعي و كذا السياسي محاولين من خلال هذه الدراسات و الأبحاث تقديم رؤى متعددة عميقة و مختلفة تسهم في فهم الأبعاد المختلفة لهذه المنطقة المتميزة حيث نجد من بين هذه الدراسات :

1.5. على المستوى العالمي:

❖ دراسة الباحث"ر. ليسباس René Lespes تحت عنوان :

« Alger, étude de geographie et d'histoire urbaine (1930) »

هي دراسة جغرافية و تاريخية تناولت تطور مدينة الجزائر مع التركيز على القصبة كمركز حضري تاريخي مهم حيث سلط الضوء "ر. ليسباس " في دراسته على موقع القصبة كقلب المدينة عبر العصور المختلفة و أشار إلى دورها المهم في العهد العثماني و العهد الفينيقي ففي العهد العثماني، تحولت القصبة من معقل دفاعي إلى مركز إداري فمعمارها التقليدي يعكس التأثيرات العثمانية في البناء و كذا التخطيط ، كما درس الباحث أيضا التخطيط العمراني للقصبة و اشار أشار إلى الشوارع الضيقة المتعرجة التي كانت جزء من النظام الدفاعي للمنطقة و ساعدت في حماية أنذاك السكان المقيمين بها. علاوة على ذلك تناول الباحث دور القصبة في تنظيم الحياة الاجتماعية ، التجارية و السياسية في مدينة القصبة. تعد دراسة"ر. ليسباس" مصدرا هاما لفهم التحويلات الجغرافية و الاجتماعية التي مرت بها قصبية الجزائر كما تساهم في توضيح العوامل التي ساعدت على تشكيل هذا المعلم التاريخي الفريد .

❖ دراسة الباحث " André Ravéreau " تحت عنوان:

" La casbaah d'Alger et le site crea la ville" (1989)

القصبة الجزائرية والموقع الذي خلق المدينة" تعتبر هذه الدراسة معمقة حيث تناولت تطور القصبة الجزائرية من خلال التركيز على العلاقة بين الموقع الجغرافي للقصبة والتطور الحضري للمدينة نلاحظ أن "رافيرو"أشار إلى أن الموقع الفريد للقصبة الذي يقع على تلة مرتفعة تطل على البحر لعب دورا كبيرا في تشكيل هوية المدينة الجزائرية وتطورها ، ان هذا الموقع الاستراتيجي منح القصبة حماية طبيعية من الهجمات و جعلها نقطة جذب تجارية و ثقافية منذ القديم.

تناول الباحث" رافيرو " المعمار التقليدي للقصبة و أوضح كيف أنه يعكس تأثيرات حضارية متعددة بداية بالفينيقيين ثم الرومان وصولا إلى العثمانيين و تناول التنظيم المميز للمساحات السكنية و التجارية كما أشار إلى تداخل البيئة المعمارية مع الحياة الاجتماعية و أبرز دور القصبة كمركز اجتماعي وحضري مهم في الجزائر العاصمة حيث لم تكن هذه المدينة مجرد حي سكني بل كانت محرك اقتصادي و ثقافي في المدينة.

و عالج الباحث ايضا التحديات التي تواجه القصبة في العصر الحديث من بينها تدهور البنية المعمارية و مخاطر التوسع العمراني المتسارع و تأثيرات العوامل البيئية كما أكد على ضرورة المحافظة على الهوية المعمارية والتاريخية للقصبة العتيقة في ظل التغيرات المتسارعة. و لقد أكد" رافيرو " على العلاقة القوية بين الإنسان و المكان في القصبة العتيقة اذ تعتبر جزء لا يتجزأ من من الهوية الاجتماعية و الثقافية للسكان

يمكن اعتبار هذه الدراسة مصدرا مهما لفهم تطور مدينة الجزائر و كيفية تأثير الموقع الجغرافي و التحولات المعاصرة على حماية هذا المعلم التاريخي الأصيل .

2.5. على المستوى الوطني:

❖ الدراسة التي قام بها الباحث "جعفر لسبت" بعنوان "القصبة الجزائرية: التسيير الحضري و الفراغ الاجتماعي" سنة 1985 حيث قدمت هذه الدراسة تحليلا معمقا لخصائص قصبة الجزائر من منظور تاريخي و معماري كما تعدّ مرجعا مهما في فهم التحديات التي تواجهها القصبة و تبرز في نفس الوقت العلاقة بين التسيير الحضري والفراغ الاجتماعي في هذا المعلم التاريخي الجزائري.

فالباحث " لسبت " يشير إلى أن القسبة المدينة العريقة كانت تعتبر نموذجا في التسيير الحضري خلال العهد العثماني و كانت تدار بشكل محلي يبرز هوية وثقافة سكان المنطقة و رغم هذا إلا أنها بعد الاستقلال تحولت إلى منطقة تعاني من الفراغ الاجتماعي و ذلك نتيجة تدهور الخدمات و البنية التحتية هذا أدى بطريقة مباشرة إلى تهيش السكان، و نشير ايضا الى أن الباحث سلت الضوء أيضا على التحديات المعمارية التي تواجهها القسبة إذ أصبحت العديد من المباني غير صالحة للسكن مما يؤدي الى صعوبة عمليات الترميم ويهدد استمرارية و ثبات هذا المعلم التاريخي المميز ، فلقد أوصى الباحث من خلال هذه الدراسة بضرورة إشراك السكان المحليين في عمليات الترميم والتطوير و كذا تبني سياسات حضرية تأخذ الاعتبار الخصوصيات الثقافية و الاجتماعية للقسبة بهدف إعادة تأهيل هذا التراث المعماري التاريخي العريق.

❖ الدراسة التي قام بها" الأستاذ العربي إيشبودان " حول قسبة الجزائر تتجسد في أطروحته للدكتوراه التي نوقشت عام 1995 بعنوان " مدينة الجزائر كنظام اجتماعي حضري" بجامعة السوربون ف باريس حيث تطرق هذا الباحث الى العديد من الدراسات و البحوث التي تناولت قسبة الجزائر من زوايا مختلفة متعددة سواء في مجال علم الاجتماع الحضري أو في دراسات تاريخية و معمارية ، فلقد قدمت دراسته تحليلا معمما لهذا المعلم التاريخي المتميز و تناوله من عدة جوانب و لقد ركز على الاجتماعية و التاريخية و الحضرية منها، و يرى الباحث "إيشبودان" أن القسبة كانت تمثل نموذج حضري فريد يعكس هوية ثقافية غنية اذ كانت العلاقات الاجتماعية تتداخل مع البيئة المعمارية، ومن ناحية أخرى تناول تأثير الاستعمار الفرنسي على القسبة العريقة مبرزا الخسائر الكبيرة و التأثيرات العميقة الناتجة عن عملية تدمير المعالم المعمارية و تهجير السكان و أثر هذا بطريقة سلبية على الهوية الثقافية لهذه المنطقة.

بالاضافة إلى أن الباحث ركز على صعوبات إعادة الترميم و الحفاظ على المعالم التراثية بالقسبة العتيقة حيث أكد على ضرورة

اتباع استراتيجية متكاملة تتضمن الحفاظ على الموروث المعماري والاجتماعي مع تحسين ظروف حياة السكان المحليين للمنطقة كما أوضح كذلك أهمية مشاركة المجتمع المحلي في عمليات الترميم لضمان استمرارية التراث و حمايته ، لقد قدم الباحث رؤية شاملة متكاملة للحفاظ على القسبة كجزء من التاريخ الحضري و الاجتماعي لمدينة الجزائر مؤكدا على أهمية الربط بين التراث و الواقع الاجتماعي لضمان صمود هذا المعلم التاريخي العريق.

❖ دراسة الباحثة "زكية رجاعي" بعنوان **مدينة الجزائر (القصة) وأثر الموقع في تأسيسها** 2015، حيث تستعرض الدراسة تاريخ تسميات مدينة الجزائر و بالخصوص القصة عبر العصور المختلفة حيث يعتبر هذا الموضوع ذو أهمية خاصة لأنه يوضح تطور المدينة من حيث الهوية الثقافية والتاريخية و ذلك وفقا للمراحل الزمنية التي مرت به، كما ركزت الباحثة على طريقة تأثير التسميات على بناء هوية المدينة حيث ترى أن كل مرحلة تاريخية تركت بصمتها على التسمية و بهذا تكون التسميات مرآة توضح تطور المدينة عبر العصور المختلفة.

ففي بداية الدراسة تشير الباحثة إلى أن الجزائر كانت تعرف في العصور الفينيقية باسم "آرغل" وهو اسم يعكس الجغرافيا الطبيعية للمدينة التي كانت تتسم بالطابع البحري و مع وصول الفينيقيين ثم الرومان إلى المنطقة أصبحت هذه المدينة تعرف باسم "إيكوسيوم" و ظل هذا الاسم يستخدم حتى العهد الروماني و هو يعكس التغيرات الاجتماعية و كذا العمرانية التي أسسها الرومان اما في العهد العثماني فلقد تحولت التسمية إلى اسم "الجزائر" و التي أصبحت التسمية الرسمية المعترف بها و هي تعكس البعد الاجتماعي و أيضا السياسي للمدينة في تلك المرحلة من التاريخ، بالإضافة الى أن هذه الدراسة تناولت تأثير الموقع الجغرافي للقصة على تسمياتها المختلفة عبر العصور ف الموقع الفريد للقصة المرتفع عن سطح البحر لعب دور كبير في تحديد التسمية وسماتها المعمارية فالتسمية تعتبر جزء مهم من الهوية الثقافية للمدينة الجزائرية مما يوضح خصائص المكان من الجوانب التاريخية والاجتماعية تؤكد الباحثة في دراستها على أهمية التسميات في فهم السياقات الاجتماعية ، الجغرافية و التاريخية لمدينة القصة كما تساعد كذلك على فهم أعمق للهوية الثقافية والحضرية للقصة و بالتالي إمكانية الحفاظ على التراث المعماري والتاريخي لهذه المنطقة الهامة.

❖ دراسة الباحثة "مرزوق سميرة" بعنوان **"التمسك بالهوية والروابط العائلية عند سكان القصة القدماء"** أطروحة دكتوراه عام 2017 بجامعة الجزائر 2 حيث تركز الباحثة على الجوانب الاجتماعية و الثقافية لسكان حي القصة و تستعرض كيفية تمسكهم بهويتهم الثقافية و التراثية رغم التحولات العمرانية والاجتماعية التي شهدتها المدينة العتيقة حيث تهدف الدراسة إلى فهم تأثير التغيرات في أسلوب الحياة خاصة في ظل الحروب و الاستعمار على قدرة السكان في المحافظة على قيم و تقاليد المنطقة المعروفة بها.

كما تسلط هذه الدراسة الضوء على أهمية الروابط العائلية في الحفاظ على الهوية الثقافية اذ تعتبر العائلة حجر

الزاوية في تعزيز التماسك الاجتماعي داخل الحي ونقل التقاليد و الممارسات الاجتماعية بين الأجيال بالإضافة الى ماذكر تتناول الدراسة التحديات الصعوبات الاجتماعية و الاقتصادية التي واجهها السكان بسبب التوسع العمراني السريع و تركيزها على التهجير الاجباري من الأحياء الاصلية و العريقة الى أحياء لا تمت بصلة للمنطقة القديمة لا من ناحية العمران و لا من ناحية المجال و عالجت الباحثة مدى تأثير هذه التحولات على أسلوب الحياة داخل القسبة و تلقي الدراسة الضوء أيضا إلى أن المكان القسبة يُعتبر عنصر أساسي في تقوية الهوية الثقافية و ترسيخها بحيث يتميز بتاريخ عريق و جزء من من الذاكرة الجماعية للسكان. الأصليين.

و تتناول أيضا هذه الدراسة التحولات الديموغرافية التي طرأت على سكان القسبة الأصليين وو مدى تأثيرها على مفهوم الانتماء في الحي، يمكن اعتبار هذه الدراسة مرجع مهم لفهم تأثير العوامل الاجتماعية و الاقتصادية على الهوية الثقافية للمجتمعات الحضرية فهي تبرز أهمية الروابط العائلية والاجتماعية في الحفاظ على الهوية الثقافية في ظل التغيرات الحضرية السريعة و تسلط الضوء على قيمة الحفاظ على التراث الحضري في مواجهة العولمة والتحول العمرانية مشيرة بذلك إلى أن السكان المحليين للقسبة العتيقة يمكنهم أن يكونوا حماة لهذا التراث من خلال تمسكهم بالهوية.

خلاصة الفصل

سعيًا من خلال هذا الفصل إلى بناء الإطار المنهجي الذي يقوم عليه البحث و الذي يعتبر جد مهم في دراستنا حيث تم فيه تحديد الإجراءات المنهجية التي ستتبع للوصول لتحقيق أهداف موضوع البحث و أيضا الإجابة على التساؤلات المطروحة في الإشكالية، حيث انطلقنا من وضع الإشكالية في إطارها المحدد و صياغتها بطريقة دقيقة و تم صياغة ثلاث فرضيات ممكنة لاختبارها لتفسير موضوع الدراسة كما اخترنا المنهج الذي يناسب بحثنا و المتمثل في "المنهج الوصفي التحليلي" الذي يعد الأداة المثل لجمع و تحليل المعلومات الميدانية بشكل دقيق و تم تقنين المنهج بمجموعة من التقنيات و أدوات البحث مثل " المقابلة وجه لوجه و الملاحظة المباشرة" تحليل المحتوى و التي تناسب تحليل معطياتنا حيث تم التفصيل في الاطار المنهجي الذي سنستند اليه أثناء معالجتنا للبيانات دون ان ننسى تعريف بعض المفاهيم بالاعتماد على المراجع و بعضها كان تعريفا اجرائيا و ذلك قصد ضمان توحيد ما ترمي اليه هذه المفاهيم من معنى لتوضيحها للقارئ و تجنب كل التباس ممكن بينها.

كما ذكرنا سابقا فلقد حاولنا في هذا الفصل وضع البحث في ايطاره المنهجي الواضح و الدقيق باعتباره أساس الدراسة و سيتم الاعتماد عليه في كل مراحل بحثنا خاصة في تحليل البيانات و استنتاج النتائج النهائية ما سيمكننا من استخلاص و تقديم إجابات تركز على أسس علمية لإشكالية بحثنا المطروحة و محاولة توسيع المعرفة في مجال علم الاجتماع الحضري.

الفصل الثاني

مدخل معرفي حول التراث

« le patrimoine en vient à définir moins ce que l'on possède, ce que l'on a qu'il ne circonscrit ce que l'on est, sans l'avoir su, ou même sans avoir pu le savoir » (Hartog, 2003:165)

الفصل الثاني

مدخل معرفي حول التراث

1 - مفهوم التراث بين الماضي و الحاضر

2 - الهندسة المعمارية والتراث

3 - أشكال التراث: مقاربة تحليلية لأقسامه

1.3-التراث الحضاري

2.3- التراث القومي

3.3 التراث الشعبي

4- أنواع التراث حسب تصنيف اريكسون

1.4- التراث الاجتماعي

2.4- التراث النشأوي

3.4- التراث المادي

4.4- التراث الأدبي

5- القائمة الأصلية لمواقع التراث العالمي للجزائر

6 - القائمة الإرشادية التمهيدية لمواقع التراث العالمي في الجزائر

7 - التراث في الإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي

8 - الأهمية التاريخية و الثقافية و الاجتماعية للتراث في المجتمع المعاصر

خلاصة الفصل

1 - مفهوم التراث بين الماضي و الحاضر:

ليس هناك تعريفاً جامعاً موحّداً لمصطلح التراث حيث ليس هناك اتفاق على تعريف واحد بسيط معمول به في جميع البلدان، و إنما لكل بلد نظريته الخاصة للمفهوم الذي يتماشى و بلده و كذا يتماشى و تخصص الباحث الذي يعرّف التراث.

اختلف معنى التراث عند المؤرخين و الاجتماعيين و الفلاسفة و الأدباء في تعريفهم فمنهم من يقول بأنّه مجموع الآراء و الأنماط و العادات الحضارية المتنقلة من جيل إلى جيل¹. و منهم من يقول كما ذكره Barrère التراث هو "مجموعة العناصر المادية و غير المادية التي تسهم في الحفاظ على هوية و استقلالية صاحبها في الزمان و المكان من خلال التكيف مع البيئة المتطورة"². و تكتب باللغة الفرنسية "HERITAGE" تعني: "الميراث مادياً كان أم روحياً فنقول: التراث الاجتماعي و التراث الثقافي"³.

أجريت بحوث لأكثر من عشرين عاماً في الجغرافيا أظهرت اهتماماً كبيراً في موضوع التراث منها (Di Méo et al., 1993 ; Graham *et al.*, 2000 ; Gravari-Barbas et Guichard-Anguis, 2003 ; Veschambre, 2007 ; Giraud-Labalte *et al.*, 2009 ; Hertzog, 2011). تعريف عام من (1985) F. Choay أن التراث هو "يتألف من جميع الأصول الموروثة عن الأجداد" يمكن أن يوحي بأن أيّ عنصر يشكل جزءاً من سلسلة زمنية مؤقتة - أي أنه يتمتع بواقع تاريخي - هو عنصر معين ، ملكية موروثة بشكل صارم. التراث هو أيضاً بناء لأنه مسجل، أو حتى أكثر من ذلك، لأنه يكشف عن البعد الزمني. بعبارة أخرى ، إنه جزء من التاريخ البشري .

هذه العملية المعروفة باسم "التتريث" *patrimonialisation* ، تتضمن الممتلكات (الأشياء ، والأشخاص ، والمواقع ، والمواقع التاريخية ، والمباني ، والآثار ، وما إلى ذلك) من خلال تنفيذ عملية معقدة مرتبطة ، غالباً بطريقة مشتركة و غير حصرية ، مع نسيان (من جانب المجتمعات البشرية) والتخلي (من جانب

¹ ادوارد شيلز: التراث تأصيل و تحليل من منظور علم الاجتماع، ترجمة أحمد الجوهري وآخرون، مطبوعات مركز البحوث و الدراسات الاجتماعية، القاهرة، 2004، ص38.

² هذا التعريف هو الذي قدمه هـ. أولانيون في الوثيقة التي تم الاستشهاد بها. التعريفات الأخرى المقترحة في نفس الوثيقة مشابهة إلى حد كبير. يوضح د. بارتلمي، في حالة الزراعة، أن التراث "مخصص للحفاظ عليه و لاستمراره داخل المجموعات المرتبطة به". من جانبه، يبرز ج. بارزير أن التراث الوطني يتضمن "المؤسسات التي تم نقلها". فيما يتعلق بالتراث الطبيعي فقط، يرى ف. د. فيفيان و م. نيدو أنه ينبغي "إدارته بطريقة تضمن نقله للأجيال القادمة مع الحفاظ على جودته". وأخيراً، يضيف ميكود أن التراث هو "صورة يهدف إلى إرساء الديمومة. إنه ليس مجرد تشكيلة من الأشياء، بل هو أداة للتنسيق". أنظر :

Billaudot, Bernard. « Le territoire et son patrimoine », Géographie, économie, société, vol. Vol. 7, no. 1, 2005, pp. 83-107.

³ جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1 ، ج2 ، 1971، ص571.

المالكين أو المستخدمين) ، والتدمير (عن طريق الحرب ، والوقت) ، و الاختيار (بواسطة المؤسسات)، والمطالبة (من قبل مجموعات معينة) ، و الاعتراف بالجميع أو جزء من المجتمع. من الناحية المادية ، يتكون التراث من عناصر مختلفة يتم تكريمها أو إحياء ذكرى أعمالها (أحداث جماعية مثل العرض في 11 نوفمبر في أوروبا أو 14 يوليو في فرنسا) ، من خلال المعالم الأثرية (مثل البانثيون) ، الأماكن (الذاكرة) أو المتاحف. غالباً ما يكون القاسم المشترك لعناصر التراث هو التاريخ. يعطي التراث انطباعاً عن كونه شكلاً حديثاً من السرد الملحمي أو المأساوي، ولكن من نفس السرد الذي يتحدث عن المجتمع، عن الآخرين... وكذلك عن نفسه¹. فالتراث هو "ما خلفه لنا السلف من أثار علمية و فنية و أدبية مما يعد نفيساً بالنسبة إلى تقاليد العصر الحاضر وروحه"².

و مصطلح التراث يمكن أن يعني أشياء كثيرة و هو في أبسط معانيه مجرد النقل، فهو الشيء الذي ينقل من جيل إلى الجيل الذي يليه، أو من الماضي إلى الحاضر. و لا ينص ذلك على تحديد لما ينقل أو يتوارث، أو ملاسبات عملية النقل و مصاحبتها، أو ما إذا كان الشيء المتوارث عنصراً مادياً، أو تكويناً ثقافياً.

كما أن التعريف الأول لا ينص على العمر الزمني لعملية التوارث و لا أسلوب هذا الانتقال: أي أنه يتم شفاهة أو كتابة. ثم أن درجة التعمد العقلاني الذي يدخل في صنع هذا الموروث، و تقديمه، و تقبله ليست لها علاقة بما إذا كانت تراثاً فمفهوم التراث بالصورة التي يحددها مثل هذا التعريف لا يقول لنا ما إذا كانت هناك شواهد مقبولة على كون هذا التراث حقيقياً أم أن التراث يتم تقبله دون حاجة إلى إثبات صدقه: كما لا يقول لنا إن كان هناك فرق بين التراث المجهول المؤلف أو المجهول المبدع و التراث المنسوب إلى أشخاص محددين معروفين بالاسم.

إن المعيار الحاسم في التراث أنه مصنوع من أفعال بشر، و هو يتوارث – من خلال الفكر و الخيال – من جيل إلى الجيل الذي يليه.

و التراث الذي ينتقل من جيل إلى جيل يتضمن الأشياء المادية، و المعتقدات المتعلقة بكافة الأشياء المعروفة، و صور الأشخاص و الأحداث، و الممارسات، و النظم فهو يشتمل على منشآت مبنية، و أثار، و مناظر و تنظيمات طبيعية، و تماثيل، و رسوم، و كتب، و أدوات، و معدات. انه يضم كل ما يملكه أي مجتمع في فترة معينة مما كان موجوداً قبل أن يوجد أصحابه الحاليون و الذي ليس مجرد ثمرة

¹ Hérítier, Stéphane : **Le patrimoine comme chronogenèse**. Réflexions sur l'espace et le temps , *Annales de géographie*, vol. 689, no. 1, 2013, pp. 3-23.

² إبراهيم منصور محمد الياسين: **إستحياء التراث في الشعر عصر الطوائف والمرابطين**، عالم الكتب الحديث، أردن، ط3، 2006م، ص6 .

للمعاملات الفيزيائية (الطبيعية) التي تجري في العالم الخارجي، أو أنه مجرد نتيجة للضرورة الايكولوجية و الفسيولوجية¹. تراثنا هو ذكرى تاريخنا ورمز هويتنا الوطنية²

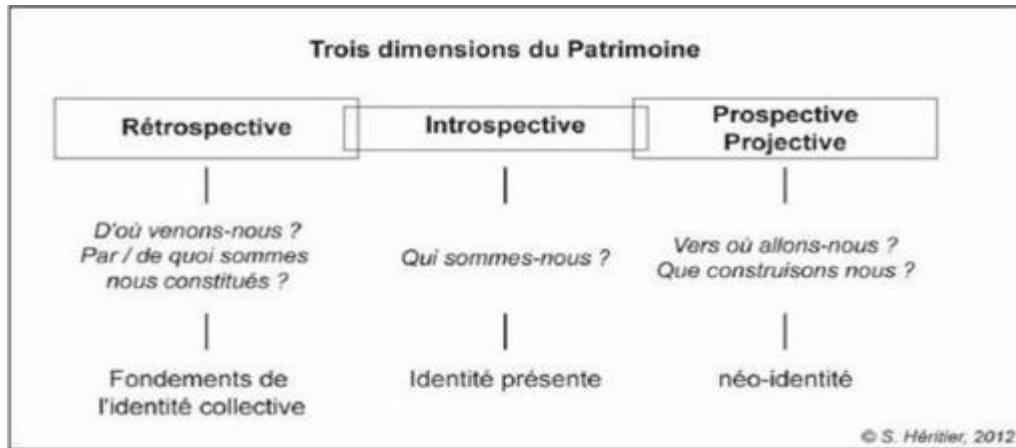
-ومثل أي شكل من أشكال السرد، فإنه يحتوي على ثلاثة أبعاد :

الشكل 1 الأول rétrospective استعادي للأحداث ، يسمح للمجتمع بالاعتماد على العناصر الموروثة من الماضي ، ليرجع إلى الأزمنة الماضية لفهم أشكال أو أماكن أو أشياء معينة اكتسبت وضعاً رمزياً.

الثاني استنباطي introspective في حالة ما البناء التراثي يستجوب الحاضر على أساس العلاقة بالوقت الماضي.

الثالث هو المحتمل (أو الإسقاطي) ... يبدو أن هذه الأبعاد الثلاثة للسرد أساسية لفهم المعنى العميق للتراث ، كما كتب (2008) G. Di Méo: "التراث هو خطاب ، يشارك في مبدأ السرد (يحتاج إلى الرواة) الذي يحكي الأساطير الأصلية ، واصفا الملاحم التأسيسية واللحظات التاريخية العظيمة لمجموعة أو إقليم. يعطي لكل حقيقة اجتماعية اتساق زمني (مدة) و مجالي. انه يدعو إلى التطلع إلى المستقبل ، لصياغة مشروع جماعي³. حيث يعبر عن "كل ما هو موروث في مجتمع معين من الأجيال الغابرة :العادات، الأخلاق، و الآداب و التعبيرات والتنظيمات⁴.

- توضيح الأبعاد الثلاثة للتراث (اقتراح إرشادي - **approche heuristique**)



عنوان الجدول: ترابط الأبعاد الثلاثة للتراث (مقاربة استكشافية)

¹ إدوارد شيلز ترجمة محمد الجوهري وآخرون : التراث تأصيل و تحليل من منظور علم الاجتماع، مركز البحوث و الدراسات الاجتماعية ،القاهرة، 2004، ص38.

² مقتطف من التعريف الوارد في قانون سنة 1993 حول التراث الأثري، كما أورده F. Hartog (2003: صفحة 164)

³ Héritier, Le patrimoine, p.34

⁴ عبد الله العروي : ثقافتنا في ضوء التاريخ، المركز الثقافي العربي، المغرب، بيروت ، ط2 ، 1988، ص 192 .

كما تم تقنينه من قبل اليونسكو، تم الاتفاق على تعريف التراث بأنه "إرث الماضي الذي نتمتع به اليوم وننقله إلى الأجيال القادمة". - فهو يشكل نظاما للخطابات والممارسات التي تبين من نحن للآخرين ولأنفسنا. إن "التراث" هو ليس أقل من مورد لصنع الهوية، التي لها وجهان، أحدهما داخلي والآخر خارجي. وبعبارة أخرى ، ليس الواقع التراثي شيئاً بحد ذاته بل هو بناء اجتماعي للوقت يمكن أن يتخذ أشكالاً مختلفة اعتماداً على السياق الثقافي. سمة من سمات نهج التراث العلاقة بالماضي لا زالت متكررة. و حتى متقنة و مرتبطة جوهرياً¹

لكن ما هو هذا التراث؟ في الوقت الذي توفر فيه اليونسكو إطاراً عاماً للتعريف، فإن طبيعتها المعيارية لا تجعل من الممكن الوصول مباشرة إلى الفهم إذا كانت اليونسكو توفر إطاراً عاماً للتعريف، فإن طبيعته المعيارية لا تسمح بالوصول مباشرة إلى الفهم. ويشهد التكيف الدائم للمعايير (تضاعفها) على هذا التباين بين الوضوح الذي يجب أن يعترف به المرء والسياق الذي يفرضها التراث. كان أولاً وقبل كل شيء اهتمام أوروبي، الذي انتشر بعد ذلك إلى بقية العالم.²

2 - الهندسة المعمارية و التراث:

بتحليل القيم الحضارية عبر التاريخ، نجد تسلسل الفكر المعماري يرتبط ارتباطاً وثيقاً مع تطور الفكر الإنساني بشكل عام، وذلك كون الحضارة الإنسانية سلسلة متصلة من الخبرات المعرفية و التجارب المتراكمة، و أن نشوء الحضارات و تقدّمها مشروط بمدى اتصال المجتمعات بالخبرات و الثقافات السابقة، و دائماً ما كانت العمارة الوجه المعبر عن الحضارات الإنسانية، حيث يقول د. ثروت عكاشة في كتابه (القيم الجمالية في العمارة الإسلامية) " عن الآثار و مشاهد الحياة اليومية التي تعج بالحركة حولها عسى أن يدرك القارئ عقب عصر ولى، و لم يخلف لنا إلا آثار ستظل باقية على الدهر بعظمة أمة ذات أسلوب و حضارة متميزتين".

فالعمارة التراثية بمقوماتها المادية و المعنوية، هي رؤية حضارة صادقة تعكس الازدهار و التطور الحياتي و العلمي و الفني، لمن عايشها و تستمر كتراث معماري و ارث صادق، و معالم تحتذي بها الأجيال، و من هنا يبرز واجب الحفاظ على هذا الإرث الحضاري المعماري ، و البحث في أسرار جماله المادي و الوظيفي و تأثيره الحسي، و الممتع بجماليات التكوين و النراغ، فمفهوم التراث المعماري لا يتعلّق

¹ Coëffé, Vincent, et Jean-René Morice : **Introduction** , L'Information géographique, vol. vol. 81, no. 2, 2017, pp. 8-11.

² Retailé, Denis : **Patrimoine** , L'Information géographique, vol. vol. 70, no. 2, 2006, pp. 1-1.

بمجموعة العناصر المعمارية القديمة التي قد نراها في أحد الصروح المعمارية في البلدة القديمة فقط، بل هي تجارب متسلسلة و خبرات متراكمة عن دراية و علم أخرجت عمارة ذات قيم تحترم الخصوصية البيئية و الثقافية و الاجتماعية، و الجمالية و السياسية، فكانت الوثيقة بين العصر و المكان، مستنبطة من مكنونات الطبيعة بحيث تتناغم فيها القيم الثقافية الإنسانية، مع الطبيعة و المكان لتنتج تكوينات معمارية ذات قيم تراثية بصبغة و هوية واضحة، و تحقق الغاية المادية و الحسية بأصالة و تجارب متراكمة، و احترام و استغلال لإمكانات و مقومات العصر¹.

و لقد ناقش " محمود وحيد محمود صيدم " في دراسته لنيل درجة الماجستير موضوع التراث حيث يذكر في بحثه أن التراث يمثل الأساس الحضري للمجتمعات الأصيلة و كل ما يربطها بماضيها و أن التراث يعتبر محفز لاستمرار تقدم الحضارة حيث يؤكد الباحث أن التراث يكتسب أولوية لدى المجتمعات العريقة تفوق قضايا مثل الاقتصاد و التعليم و الفنون و علم الاجتماع و يعلل ذلك كون أن التراث كل المحيط المادي و كذلك المعنوي الذي يشكل حياة المجتمع ، و يحذر الباحث بذكره انه بدون التراث يصبح المجتمع مجرد من الإنجازات المميزة و الهوية الواضحة و هذا يجعله ذا قاعدة ثقافية ضعيفة تؤدي إلى صراعات داخلية بين أفراده و جماعاته و يصبح هشاً أمام المؤثرات الخارجية و يعاني من حالة من التيه . و يختتم الباحث دراسته في هذا الجزء بالتأكيد على ضرورة الحفاظ على الذاكرة الشعبية و رموزها الحضارية و التراثية تحسباً لتحول هذه المجتمعات إلى مجرد تجمعات بشرية فاقدة للذاكرة الجمعية و التاريخ و الحضارة².

ان الكاتب في هذا الجزء من دراسته يؤكد على الدور الهام و الجوهرى للتراث باعتباره الركيزة الحضارية التي تستند إليها المجتمعات وتستمد منها هويتها و يستمر تقدمها كما أن الباحث " محمود وحيد... " يشدد على أن الحفاظ على الذاكرة الشعبية و رموزها التراثية ضروري لحماية المجتمعات من التفكك والضياع الثقافي و يشدد على أولوية التراث في بناء مجتمع أصيل و قوي.

بالنظر إلى "قصة الجزائر" العريقة بجذورها التاريخية العميقة و الى كل ما تتميز به من هندسة معمارية فريدة و عادات و تقاليد عميقة و تراث ثقافي و اجتماعي ثري فإن ما تحدث عنه الباحث حول موضوع دراسته يكتسب أهمية استثنائية حيث ان تراث "القصة" ليس مجرد مبان قديمة و حكايات من

¹ م.محمود وحيد محمود صيدم: إحياء القيمة المعمارية التراثية في العمارة المحلية المعاصرة-حالة دراسية -مدينة غزة- دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الهندسة المعمارية،الجامعة الإسلامية غزة،فلسطين/ 1434هـ- 2013م،ص 14-15. بالتصريف

² نفس المرجع السابق،ص 15-16.

الماضي و انما تمثل القاعدة الحضارية التي نشأت عليها هذه المدينة العريقة و شكلت هويتها الحضارية و الجمعية المتميزة عبر العصور .

فالمحافظة على هذا التراث المعماري العريق يمثل أولوية تتجاوز الكثير من الاعتبارات الأخرى كونها تشكل جوهر الهوية والمرجعية الحضارية للجزائر العاصمة و سكانها و بفقدان و اندثار هذا التراث قد ستفقد الجزائر جزء من ماضيها و روحها و ذاكرتها الجماعية و بهذا ستصبح أكثر عرضة للتأثيرات الخارجية و التي قد تهدد طابعها الأصيل لذلك فان إحياء الذاكرة الشعبية "للقصة " بكل رموزها الحضارية و التراثية و ممارساتها و تراثها الشفوي ...و إعادة ترميمها معماریا تعتبر من الضروريات الحتمية و من الأولويات لضمان بقاء هذه المدينة التاريخية العريقة محافظة على جوهرها الأصيل واستمرارها الثقافي و الحضاري للأجيال القادمة.

كما لاحظ السينولوجي¹ Simon Leys ، "يبدو أن احترام القيم الروحية والأخلاقية للقدامى قد ترافق في كثير من الأحيان مع لا مبالاة و إهمال غريب (في بعض الأحيان يذهب إلى أبعد من أيقونات تحضيرية صافية). إلى التراث المادي للماضي ... هذا الماضي في آن واحد نشيط روحيا وغير مرئي جسديا ". "مدنها القديمة، مثل "سوز هو"، كانت خالية من الزمن كأشياء مادية بحتة... ماضيهم كان ماضي الكلمات وليس الحجارة ... الحضارة الصينية لم تؤسس تاريخها في المباني ... التجسيد الدائم الوحيد للحظات الإنسانية الأبدية هو تجسيدها الأدبي. في بداية القرن العشرين، عندما تم تأسيس الجمهورية، بدأت السلطات الصينية بصياغة قانون لحماية التراث الذي يفهم في جوهرها المادي، في حين كان ينظر إليه سابقا في المقام الأول في ذاكرتها، وذلك بسبب وجود وعي قوي لدور التاريخ وأهمية التقاليد.

تم تطبيق مفهوم التراث تدريجيا في جميع أنحاء العالم على جميع أنواع الحقائق المادية وغير المادية: الأشياء اليومية والتقاليد الشعبية والممارسات الاجتماعية وفنون الطهي. في مجال الإبداع: السينما ، الفنون المسرحية ، الموسيقى ، الأدب. إلى البيئة ، حيث يشار إليها على أنها تراث طبيعي. قدمت اليابان ، في عام 1950 ، فكرة "الكنز الوطني الحي" ، الذي يهدف ، من خلال تعيين الحرفيين أو الفنانين المتميزين المتقنين في ممارستهم ، للحفاظ على نقل الخبرات ، وبالتالي تهيئة فكرة "التراث الثقافي غير المادي" التي تروج لها منظمة اليونسكو². قالتراث المعماري القديم لا يقدر بثمن في المجتمعات المعاصرة سواء النامية منها أو المتقدمة و أحسن مثال في الجزائر "القصة العتيقة" هذه الشمعة التي لا تزال مضيئة

¹ * تعني عالم بالحضارة الصينية. le sinologue سينولوجي

² Béghain, Patrice : **Introduction** , Patrimoine, politique et société. Sous la direction de Béghain Patrice. Presses de Sciences Po (P.F.N.S.P.), 2012, pp. 5-9.

تقاوم الانهيار و الزوال، فكل ما تحويه من تراث مادي و لا مادي أي معنوي يعكس لنا وجه الحضارة الماضية، حيث يذكر م.محمود وحيد محمود صيدم في دراسته المشار اليها سابقا أن "العمارة التراثية بمقوماتها المادية و المعنوية، هي رؤية حضارة صادقة تعكس الازدهار و التطور الحياتي و العلمي و الفني، لمن عايشها و تستمر كتراث معماري و ارث صادق".

3 - أشكال التراث: مقارنة تحليلية لأقسامه

"التراث" هو ذلك النسيج المتنوع من الموروثات التي تتناقلها الأجيال فيما بينها مكونة بذلك هوية المجتمعات و ذاكرتها الحية الأصلية "فالتراث" ليس مجرد بقايا من الماضي تناقلته الأيدي جيلا عن آخر بل هو عنصر مؤثر بقوة يشكل حاضرا و يوجه مستقبلا و حتى نتمكن من تبسيط فهم هذا المفهوم العميق لـ " التراث" سنستعرض أقسامه و نحاول ابراز جوانبه المتعددة من خلال الدراسات المختلفة و في نفس الوقت نحاول إقامة مقارنة تحليلية بربط ما ذكر بمجتمع بحثنا .

" إذا كان هناك موضوع مستعرض للعلوم الاجتماعية، فهو التراث بالمعنى الذي كان سائدا لمدة ثلاثين عاما، ليشير إلى التراث المادي أو غير المادي، المعروف به من قبل المجتمعات، من أجل أن ينتقل إلى الأجيال القادمة. كما حددها أول الجغرافيين الناطقين بالفرنسية للتظهير حول التراث (...) ، فإن تجديد مفهوم التراث لا يقتصر على التوسع التيبولوجي (من القلعة إلى المصنع) ، التسلسل الزمني (من الآثار إلى تراث القرن العشرين) ولكن أيضا المجالي (من صليب الحجر إلى المناظر الطبيعية) ، الذي يفتح وجهات نظر مثيرة للغاية من أجل الانضباط الذي يدخل عبر الفضاء لدراسة المجتمع وتحولاته¹. و لقد قسّم التراث إلى أقسام و أشكال و أنواع من قبل الباحثين و المختصين و لكل نوع قيمته الخاصة التي تميّزه عن غيره و يبقى في الأخير التراث كل ما وصل إلينا من الأجيال السابقة و يعمل على ترسيخ هويتنا في الحاضر و من أشكال و أقسام التراث نذكر ما يلي:

1.3 التراث الحضاري:

و هو يشمل ما خلفه لنا الأسلاف من تراث حضاري قديم مثل الآثار بكل أنواعها و يشمل التراث البابلي و السومري و الآشوري بكل عادياتها من مسكوكات و جرار و أوان و رسوم و نقوش...و هو ما يسمى بـ (الآثار القديمة).

¹ Veschambre, Vincent : **Patrimoine , un objet révélateur des évolutions de la géographie et de sa place dans les sciences sociales** , Annales de géographie, vol. 656, no. 4, 2007, pp. 361-381.

2.3 التراث القومي:

و هو التراث الذي يشمل فترة الزمنية الذي ظهر فيه القوميات أشكالها كافة و أخذت لها نظاما معيناً و حافظت عليه و ظهرت على أثرها الأمم و القوميات و اعتزت بتراتها و علمائها من مفكرين وشعراء ومغنين وأطباء، حيث ظهرت في الفترة القوميات الرومانية والفارسية واللاغريقية والعربية واتخذت لها أشكال القومية المستقلة لغة وأرضاً وشعباً وعليها بني التاريخ الحديث لكل أمة.

3.3 التراث الشعبي:

وهو مكمل للنوعين الأوليين الحضاري والقومي، حيث أصبحت لكل مجموعة أو بيئة صفاتها التي تتميز بها من عادات و تقاليد و صناعات و ملابس..الخ. ولكن علماء الاجتماع (الانثروبولوجيا) كانوا أكثر دقة وعلمية حيث قسموا التراث إلى فروع وأقسام لتأخذ حصتها من الدراسة الدقيقة جداً...

4 - أنواع التراث حسب تصنيف أريكسون:

يقدم لنا إريكسون من خلال تصنيفه "للتراث" رؤية متكاملة و متداخلة لهذا المفهوم العميق و الغني حيث نلاحظ أن " أريكسن " يميز بين التراث الاجتماعي ، النشأوي، المادي و التراث الأدبي و هي كالتالي:

1.4 التراث الاجتماعي :

الذي يمثل الحياة اليومية المباشرة وتفاعلاتها الأفقية المتنوعة حيث ان هذا النوع من "التراث" يكون حيوي ومعاش بكل تفاصيله.

2.4 التراث "النشأوي" :

هذا النوع من التراث يكون مكملًا للتراث الاجتماعي حيث يركز على انتقال هذا التراث الحي من جيل إلى جيل أو حتى من مراحل إلى أخرى حيث ان هذه الحركية و الانتقال يجعله في تفاعل مستمر مع التراث الاجتماعي .

3.4 التراث المادي :

يتمثل التراث المادي في كل ما أنتجته الحضارة و يتضمن جميع المصنوعات و الكنوز المادية الملموسة.

4.4 التراث الأدبي :

يشير "إريكسون" بشكل خاص إلى ك التراث الأدبي باعتباره قسم مميز من هذا التراث المادي و هو مرتبط بظهوره فن الكتابة و تدوين الأفكار الإبداعات.

كما يوسع "إريكسون" مفهوم " التراث" ليشمل "التراث الغير المادي" و الذي يضم التعابير الثقافية الحية مثل " الأغاني، الرقصات...حيث ان هذه الممارسات ليست مجرد تسلية و انما حاملة لقيم عريقة و ذاكرة جماعية مرسخة يتم تناقلها عن طريق الأداء و كذلك المشاركة بالإضافة الى مختلف أشكال الإبداع الشعبي من أشعار ، قصص ، حكايات و أساطير...

وفي ختام تحليله يؤكد "إريكسون" على ان " التراث" ليس مجرد نصوص و مؤلفات تاريخية قديمة بل تعتبر كيان حي يتجسد في في الثقافة الشعبية الثرية و التي تمثل الجزء الأكبر من التراث الحي. تصبح هذه الفكرة الأساسية التي تحدث عنها "إريكسون" شديدة الوضوح عند النظر إلى "قصبة الجزائر" حيث نجد أن تراث القصبة لم يبق منحصرا فقط بين جدرانها القديمة أو مسجل في الكتب التاريخية فقط و انما هو تعدى ذلك فهو يعبر عن هوية سكانه و يعتبر جوهر حي يكتض بالحركة في أزقتها الضيقة المتعرجة و نستشفه من خلال حكايات سكانها المتوارثة من جيل لآخر و التي لم يؤثر فيها الزمن و كذا في اللباس التقليدي الذي لا تزال بعض النسوة متمسكن به و يرتدينه ليومنا هذا بالإضافة الى الأغاني الشعبية و ألحانها التي تحيا كلما سنحت الفرصة خاصة في المناسبات و الافراح و السهرات الرمضانية ، فهذه الثقافة الشعبية المتنوعة بروحها الأصيلة تمثل الروح الحية "لتراث القصبة" و المكون الجوهري لهويتها الحضارية ،

ان "القصبة" ليست مجرد موقع تاريخي بل هي منبع حي للتراث الشعبي الذي يظهر للعيان في كل ركن من احيائها و زاوية من زواياها .

5.4 التراث الثقافي غير المادي

يعني الممارسات والتمثلات والتعبيرات والمعرفة والدراية – وكذلك الأدوات والأشياء والمصنوعات والأماكن الثقافية المرتبطة بها – والتي تعترف بها الجماعات والمجموعات والأفراد ، إن لزم الأمر ، كجزء من تراثهم الثقافي.

هذا التراث الثقافي غير المادي، الذي ينتقل من جيل إلى جيل، يتم إعادة إنشائه باستمرار من قبل المجتمعات المحلية و المجموعات حسب بيئتها وتفاعلها مع الطبيعة وتاريخها وتعطيها إحساساً بالهوية و الاستمرارية، مما يساعد على تعزيز احترام التنوع الثقافي والإبداع البشري.

هذا التعريف يدل على استعداد المجتمع الدولي لتوسيع مفهوم التراث. كان الهدف من توسيع التعريف دمج الاعتراف بنمط الحياة باعتباره ناقلاً أساسياً للهوية تماماً مثل الموقع التاريخي... لجنة التراث غير المادي يدرك التفاعل بين الثقافة والبيئة، والصلة بين الطبيعة والمجتمع تصبح مقدسة وتستحق الحماية... الاعتراف بأن البيئة جزء من الثقافة هو الإدراك بأن الناس يعتمدون على البيئة¹.

يعتبر الحفاظ على التراث غير المادي هو حماية الهويات الثقافية، وبالتالي التنوع الثقافي للبشرية. ويشمل التراث غير المادي على سبيل المثال لا الحصر المهرجانات التقليدية والتقاليد الشفهية والملاحم، والعادات، وأساليب المعيشة، والحرف التقليدية، وما إلى ذلك. فقد أصبح واحداً من أولويات اليونسكو في المجال الثقافي.

لقد اتسع نطاق مفهوم التراث الثقافي بشكل كبير خلال القرن الماضي، وقد ساهم اليونسكو بشكل كبير في تحقيق هذا التوسع، والذي يشمل حالياً المناظر الطبيعية، الآثار الصناعية، وأشكال أخرى مختلفة لها صلة بمفهوم التراث العالمي أو التراث المشترك بين البشر. ولم يحصل هذا النمط الهش من التراث بشكل خاص على الرعاية الدائمة بشكل كاف والذي غالباً ما يتعرض لتهديد الانقراض².

¹ Martel, Andr anne : **Le patrimoine commun de l'humanit ** : solution possible   l'anthropocentrisme en droit international de l'environnement?, M moire. Montr al (Qu bec, Canada), Universit  du Qu bec   Montr al, Ma trise en droit international, 2012, p94-95-96.

² www.unesco.org/new/ar/cairo/culture/intangible-cultural-heritage/ منظمة الأمم المتحدة | التراث الثقافي غير المادي | للتربية والعلم والثقافة- شوهـد في جانفي 2019 الساعة 9:01 صباحاً.

5- القائمة الأصلية لمواقع التراث العالمي للجزائر¹:

وهذه مواقع التراث الإنساني العالمي في الجزائر، على قائمة منظمة اليونسكو، مرتبة حسب تاريخ إدراجها كالتالي:

الوصف	سنة التسجيل	الرقم	معياري الاختيار	الموقع	الصورة	الاسم
يعود تاريخ إنجاز وبناء قلعة بني حماد إلى سنة 1007 إلى 1008 م على يدحماد بن بلكين، وتعد أحد معالم الحضارة الإسلامية بالجزائر وامتدادا لدولة حماد بن بلكين.	1980	102	ثقافي	ولاية المسيلة		قلعة بني حماد
تتكون كهوف طاسيلي من صخور بركانية ورملية تعرف بـ "الغابات الحجرية". وتوجد الكهوف فوق هضبة مرتفعة يجاورها جرف عميق، وتحتوي جدران الكهوف على مجموعة من النقوش التي تعود لحضارة قديمة.	1982	179	مختلط: ثقافي + طبيعي	ولاية إليزي وولاية تمنراست		طاسيلي ناچر

¹ <https://ar.wikipedia.org/>

وادي مزاب		ولاية غرداية	ثقافي	188	1982	تأسس في القرن العاشر الميلادي على يد الأباطين حول مبانيهم التي تم تصميمها بشكل هندسي معماري بسيط وعملي لتكون متكيفة مع البيئة من حولها.
جميلة		ولاية سطيف	ثقافي	191	1982	جميلة أو سويكول تقع على ارتفاع 900 م فوق سطح البحر، وتحتوي على ساحات وهياكل وكنائس وأقواس ومنازل على الطراز الروماني.
تيازة		ولاية تيارت	ثقافي	193	1982	مركز تجاري قديم، احتلها الرومان لجعلوها قاعدة إستراتيجية بغرض فتح الممالك الموريتانية. كما أنها تشمل عدداً من الآثار الفينيقية والرومانية والبيزنطية والمسيحية القديمة.

تيمقاد 	ولاية باتنة	ثقافي	194	1982	نشأت عام 100 م على يد الأمبراطور تراجان كمستوطنة عسكرية. لها فناء مربع وتصميمها قائم على الأعمدة التي يشرف عليها الكارديو والديكومانوس وهما الطريقان الرئيسيان اللذان يعبران المدينة.
قصة الجزائر 	ولاية الجزائر	ثقافي	565	1982	تشرف القصبة على الجزر الصغيرة حيث تم إنشاء مركز تجاري منذ القرن الرابع ق. م. وهي تضم بقايا قلعة ومساجد قديمة وقصور عثمانية، بالإضافة إلى بنية حضرية تقليدية.

6- القائمة الإرشادية التمهيدية لمواقع التراث العالمي في الجزائر:¹

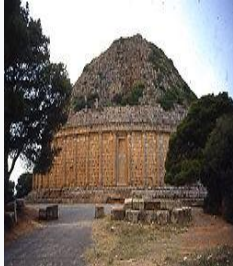
القائمة الإرشادية المؤقتة لمواقع التراث العالمي أو الإرشادية فقط أو المؤقتة فقط، أو القائمة التمهيدية أو قائمة الانتظار بالإنجليزية (Tentative List) .

وهي جرد لخصائص موقع ما لكل دولة على حدى التي تعترف كل دولة طرف أن تنتظر في ترشيحها. وهي خطوة ضرورية لولوج اللائحة الرسمية لمواقع التراث العالمي حسب اليونسكو، يتم المصادقة عليها من طرف لجنة التراث العالمي.

وهذه القائمة الإرشادية التمهيدية لمواقع التراث العالمي في الجزائر مرتبة حسب تاريخ إدراج الموقع التراثي كالتالي:

سنة التسجيل يل	رقم الإسناد	التصني ف	الموقع	الصورة	الاسم
2002	1772	ثقافي	العرق الغربي الكبير		الواحات التي تعتمد على الفقارات (قنوات الري) والقصور في العرق الغربي الكبير
2002	1773	ثقافي	ولاية تبسة وعنابة		المواقع والطرق التي سلكها أوغسطينوس في المغرب الأوسط.
2002	1774	ثقافي	ولاية تلمسان		ندرومة وجبال طرارة

¹ <https://ar.wikipedia.org/>

واد سوف.		الوادي	ثقافي	1775	2002
المدافن الملكية لنوميديا وموريطانية والآثار الجنائزية لما قبل الفتح الإسلامي		ولاية تيبازة	ثقافي	1776	2002
منطقة الأوراس مراكز الواحات في تضاريس غوفي والقنطرة		ولاية بسكرة	مختلط	1777	0022

7- التراث في الإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي¹

بالرجوع إلى (الإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي) التي وضعتها المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة - ايسيسكو- و التي اعتمدها مؤتمر القمة الإسلامي السادس المنعقد في داكار سنة 1991م، و التي تم اعتماد صيغتها المعدلة في المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الثقافة المنعقد في الجزائر سنة 2004م، تضع تحديدا منهجيا موضوعيا و مدلولا دقيقا لمفهوم التراث. فالتراث - حسب هذا المفهوم الذي اعتمدته الإستراتيجية- يعدّ مظهرا من مظاهر الإبداع الجماعي للأمة خلال تاريخها الطويل، كما يعدّ التراث أفضل تعبير عن الهوية الثقافية للأمة و ذاتيتها الثقافية و يشمل التراث أشكالا متعددة ثقافية و فنية و فكرية متوارثة من ماضي الأمة القريب و البعيد. و هو عطاء من صنع الإنسان، يختلف باختلاف الأزمنة و الأماكن، و هو في مفهومه العام يخصّ التراث المادي و ما يشمل من مبان أثرية، أو ما تكشفه الحفريات و ما تضمنه المتاحف من آثار ممثلة لعصور مختلفة، و يضم أيضا التراث الفكري النابع من نتاج العلماء و الكتاب و المفكرين و المبدعين، كلّ في عصره.

¹ عبد العزيز بن عثمان التويجري: التراث و الهوية، مطبعة الايسيسكو الرباط، المملكة المغربية، 1432هـ/2011م، ص25-26.

كما أن هناك تراثا اجتماعيا يتمثل في العادات و الأعراف و التقاليد السائدة في المجتمع و مدى تأثيرها في أفرادهِ. و لذلك كانت له علاقة وطيدة بالممارسات الثقافية و نظرتها إلى المستقبل، و الربط بين حاضر الأمة و بين ماضيها.

و جاء في هذه الإستراتيجية أيضا : " إذا كنا نؤمن بأن المصدر الأساس للتراث الإسلامي هو القرآن الكريم و السنة النبوية الصحيحة، اللذان فجرا عطاءات علمية و فكرية و ثقافية، فإننا ننزه تراثنا عن حصر مدلوله في مجرد الصيانة المنظمة للآثار، و تبويبها في قوائم، و عرضها، أو في مجرد مواصلة الاحتفالات التقليدية، أو في الارتباط العاطفي بآثار الماضي. ذلك أن التراث يعدّ من أهم الوسائل الفعالة في ترسيخ الهوية الثقافية"¹

و في ضوء ما تقدمه الإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي من رؤية شمولية و عميقة لمفهوم التراث يتبين لنا أن مفهوم "التراث" يتجاوز النظرة السطحية و المتمثلة في مجرد الحفاظ على الآثار أو احياء الممارسات و الاحتفالات بل يتعدى ذلك ليعبر عن الهوية الثقافية للأمة المنغرس في أعماق التاريخ ، فالتراث ليس كما يراه البعض يعبر عن ماضي مجتمع بل هو مصدر للوعي يربط حاضرنّا بماضيّنا و يعمل على تشكيل مستقبل أكثر وعيا بثقافتنا و هويتنا

وأخيرا يمكن القول ان الحفاظ على التراث و تفعيل دوره في الحياة الثقافية و الفكرية يمثلان ركيزة اساسية لضمان استمرارية الهوية الحضارية للعالم الإسلامي وحمايتها من التحديات المعاصرة. في أجزاء عديدة من العالم الإسلامي ، كان هناك تدمير للمباني والأصول الثقافية قبل الإسلام: في أفغانستان ، في عام 2001 ، أثناء إطلاق النار على تماثيل بوذا في باميان (تم نحتها قبل 1500 عام) ؛ في تونس ، في متحف باردو ، في مارس 2015 ، كان نهب الآثار الفينيقية - القرطاجية ...". ويتعلق هذا الاستئصال أيضا المساجد - الأضرحة ومراكز المساجد السنية ، فضلاً عن المساجد الشيعية. في مالي ، تدمير أضرحة القديسين المسلمين والمخطوطات في تومبوكتو في مايو وديسمبر 2013 ؛ في ليبيا ، هدم أضرحة الأكثر شعبية للشيخ الطريقة الصوفية في طرابلس؛ ضريح عبد السلام الأسمر في زليتن ، في تونس ، نفذ التخريب في ضريح سيدي بن يوسف في الحمامات ونحو ستين آخرين ؛ في مدينة الكويت...²

¹ نفس المرجع السابق، ص26.

² Lochon, Christian : L' État islamique et le patrimoine architectural arabe civil et religieux , Les Cahiers de l'Orient, vol. 124, no. 4, 2016, pp. 103-126.

على الدول الإسلامية تكثيف جهودها و التعاون فيما بينها للحفاظ على هذا الإرث العظيم الذي يجسد روح الأمة وتاريخها الطويل و هذا ما يميزها عن غيرها من الأمم ، إن الحفاظ على هذا التراث يتطلب توحيد الجهود على مستوى الحكومات ، المؤسسات الثقافية و التعليمية وذلك من خلال برامج مشتركة لحماية المعالم التاريخية لنقلها للأجيال القادمة و ذلك بهدف ترسيخ الذاكرة الجماعية و استمرارها في المستقبل.

8- الأهمية الثقافية و الاجتماعية للتراث في المجتمع المعاصر :

في يومنا هذا هناك أكثر من سبب يجعلنا نشجع الباحث في علم الاجتماع على دراسة الثقافة و ذلك من أجل فهم أفضل لطبيعة و مظاهر سلوك الأفراد والمجتمعات... أعطى علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الاجتماع تعاريف متعددة لمفهوم الثقافة ، مما يثبت شيئين على الأقل:

- إما أنه من الصعب تعريف الثقافة عن طريق المعايير الوضعية للعلوم الاجتماعية .
- إما تلك الثقافة هي ظاهرة معقدة في حد ذاتها.

أما بالنسبة لعالم الأنثروبولوجيا الأمريكي ليزلي وايت ، فهو يربط مفهوم الثقافة عند الإنسان بقدرته على إعطاء معنى للأشياء ، ما يؤهله كقدرة على الترميز ، مما يسمح للإنسان بفهم معنى الأشياء ، إنشاء الرموز واستخدامها¹.

في السنوات الماضية ، ضاعفت العلوم الإنسانية والاجتماعية الدراسات حول التراث. ومما لا شك فيه تطورت على نطاق أكثر في التاريخ والأنثروبولوجيا...تاريخ التراث هو إلى حد كبير تاريخ لطريقة التي يبني بها المجتمع تراثه².

للتراث أهمية بالغة في حياتنا اليومية و خاصة في يومنا هذا و يظهر ذلك في مستويات متعددة تتنوع بين ما يتعلق بالهوية و الانتماء و التنوع الثقافي و التنمية الاقتصادية و الثقافية و كذا التبادل المعرفي حول التراث.

لقد تطرقنا فيما سبق و من خلال بحثنا هذا الى التراث و لكن بالإشارة اليه دون التعمق في أهميته المعاصرة فهو أولاً يعمل على الحفاظ على الهوية فالتراث (نقصد هنا التراث بشقيه المادي و اللامادي)

¹ Dhaouadi, Mahmoud : **Un autre regard sur la culture** , un point de vue islamique , *Revue internationale des sciences sociales*, vol. 193-194, no. 3, 2007, pp. 523-538.

² Poulot, Dominique : **Histoire, mémoire, patrimoine** , *Une histoire du patrimoine en Occident, XVIII^e-XXI^e siècle. Du monument aux valeurs*, sous la direction de Poulot Dominique. Presses Universitaires de France, 2006, pp. 1-24.

يربط الأفراد بعاداتهم و قيمهم و تاريخهم و يجعلهم يتميزون به و ينمي شعورهم بالانتماء الى مجتمع معين دون غيره فهو يطبع هويتهم الجماعية و الحضرية في وقت أصبح العالم متشابه يصبح " التراث " عبارة عن علامة يتميز بها الفرد عن غيره .

- التراث يعمل على ابراز خصوصيات كل ثقافة من خلال اللغة،القيم، العادات و التقاليد و احياء الطقوس الدينية و الاحتفالات و الممارسات اليومية (العادات الغذائية و كذا أداب المائدة...)،الفنون (الروايات و الحكايات الشعبية و الاساطير و الخرافات المعروفة بها القصة مثلا) و اللباس (اللباس التقليدي و الألوان و الزركشات التي تحمل معاني ثقافية جد عميقة) و محاولة الحفاظ عليها باعتبارها جزء من التراث العالمي.

- التراث يساهم بدرجة عالية في تنمية اقتصاد البلاد و كذلك في التنمية الثقافية خاصة و ان الجزائر تزدهر بمعالم تاريخية متميزة و مدن تقليدية ، الاثار الرومانية ، التراث الصحراوي و التراث غير المادي...فاعادة احيائها عبر تنظيم المعارض و المهرجانات تسهم في المحافظة على التراث و تحويله الى بيئة حيوية للتفاعل و محرك أساسي للمعرفة و التواصل بين افراد المجتمع.

و في الجانب الاقتصادي يمكن استثمار التراث من خلال السياحة بتنظيم مهرجانات و معارض و زيارات ميدانية للمواقع الاثرية بالجزائر ، فهو يعتبر مورد مهم للدخل من خلال جذب السياح من الداخل و الخارج.

ان الاستثمار العقلاني للتراث و المستدام سيتحول من ماض محفور فقط في الذاكرة الى أداة متحركة تخدم الحاضر و تعمل على بناء المستقبل.

خلاصة الفصل

في هذا الفصل تناولنا مدخل معرفي حول التراث في القصة العتيقة بالجزائر لما " للتراث" من أهمية بالغة في حياتنا اليومية (و كذا في دراستنا الحالية) و يظهر ذلك في مستويات متعددة تتنوع بين ما يتعلق بتحديد الهوية و الانتماء و التنوع الثقافي، حيث انطلقنا أولا من تقديم مفهوم التراث بين الماضي و الحاضر حيث توصلنا من خلال جمع المعطيات المعرفية التي تخدم موضوعنا بالاستناد إلى مجموعة من المراجع العلمية و الكتب المتخصصة في هذا المجال و التي تناولت هذا الموضوع من زوايا متعددة أن "التراث" هو ذلك النسيج المتنوع من الموروثات التي تتناقلها الأجيال فيما بينها مكونة بذلك هوية المجتمعات و ذاكرتها الحية الأصيلة "فالتراث" ليس مجرد بقايا من الماضي تناقلته الاجيال جيلا عن آخر بل هو عنصر مؤثر بقوة يشكل حاضرننا و يوجه مستقبلنا و حتى نتمكن من تبسيط فهم هذا المفهوم العميق لـ " التراث" سنستعرض أقسامه و نحاول ابراز جوانبه المتعددة من خلال الدراسات المختلفة و في نفس الوقت نحاول إقامة مقارنة تحليلية بربط ما ذكر بمجتمع بحثنا (و هذا الجانب سنتطرق اليه في الجانب الميداني للبحث). كما تم تسليط الضوء على الهندسة المعمارية و أثرها في تشكيل الهوية و الذاكرة الجماعية للسكان الأصليين للقصة العريقة، فالعمارة التراثية بمقوماتها المادية و المعنوية هي رؤية حضارة صادقة تعكس الازدهار و التطور الحياتي و العلمي و الفني لمن عايشها و تستمر كتراث معماري و ارث صادق، و معالم تحتذي بها الأجيال و من هنا يبرز واجب الحفاظ على هذا الإرث الحضاري المعماري و البحث في أسرار جماله المادي و الوظيفي و تأثيره الحسي .

كما تناولنا أيضا أشكال التراث و انواعه حسب تصنيف اريكسون ، حيث يقدم لنا من خلال تصنيفه "للتراث" رؤية متكاملة و متداخلة لهذا المفهوم العميق و الغني حيث نلاحظ أن " اريكسن" يميز بين التراث الاجتماعي ، النشأوي، المادي و التراث الأدبي .

و استعرضنا قائمة مواقع التراث الإنساني العالمي في الجزائر على قائمة منظمة اليونسكو مرتبة حسب تاريخ إدراجها، ثم ناقشنا التراث في ضوء ما تقدمه الإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي من رؤية عميقة لمفهوم التراث حيث يتبين لنا أن مفهوم "التراث" يتجاوز النظرة السطحية و المتمثلة في مجرد الحفاظ على الآثار أو احياء الممارسات و الاحتفالات بل يتعدى ذلك ليعبر عن الهوية الثقافية للأمة المنغرس في أعماق التاريخ ، فالتراث ليس كما يراه البعض يعبر عن ماضي مجتمع بل هو مصدر للوعي يربط حاضرننا بماضينا و يعمل على اقامة مستقبل اكثر وعيا بثقافتنا و هويتنا.

و أخيرا يمكن القول ان الحفاظ على التراث و تفعيل دوره في الحياة اليومية و المعاصرة ثقافيا و اجتماعيا يمثلان ركيزة اساسية لضمان استمرارية الهوية الحضارية للمدن العتيقة.

الفصل الثالث

الموروث الحضري و علاقته بالهوية و الذاكرة

- 1- الهوية و التراث أية علاقة
- 2- الميراث و الانتقال في سوسيولوجية PierreBourdieu
- 3- الموروث الحضري رهان صراعات في المجال الحضري
- 4- الموروث الحضري و استمراريته في الحاضر
- 5- مكانة التراث الشعبي "الأسطورة و الخرافة و الحكاية" في الموروث الحضري

1- الهوية و التراث أيه علاقة:

تراثنا يشير إلى الحد الذي نمتلكه ، و الذي يمكن لما بعده أن يمتلكه الآخرون: وطني أو مبني أو تاريخي. حضري أو غير مادي ، فإن التراث يضع حدوداً¹. " يمكننا اعتبار، كما يقول Leibniz في المقالات الجديدة، أن الذاكرة هي التي تسمح بالاستمرارية، وبالتالي الهوية"² تظهر كلمة الهوية في المعجم الفلسفي Lalande "للالاند" مع تعريف يستند إلى ثلاثة معاني من صفة "متطابقة"، التي تتحكم في ثلاثة معاني من اسم "الهوية".

(أ) متطابق ما هو فريد من نوعه ولكن متصور أو مفهوم أو مسمى بطرق مختلفة: مثل. نجمة الصباح، مماثلة لنجمة المساء، le Léman ، مماثلة لبحيرة جنيف.

(ب) الفرد متطابق مع نفسه في أنه هو نفسه في لحظات مختلفة من وجوده.

(ج) يمكن اعتبار فكرتين أو أكثر من الأفكار ، على الرغم من كونهما مختلفتين رقمياً ، أنهما تتمتعان بنفس الخصائص أو الصفات.

من خلال الاستنباط، يمكن ربط المعنى أ ل لالاند "الوحدة"، بالمعنى ب "الاستمرارية"، بالمعنى ج "التشابه". المعنيين أ و ب هما في الواقع قريبين جداً أو مكملين على الأقل: إنها مسألة وصف شخص (نجم، بحيرة، كائن حي ...) تشكل وحدة، قادرة على استقبال عدة أنواع من الأسماء، القدرة على المثابة في هذه الوحدة بما يتجاوز التغيرات التي تعتبر غير أساسية ولكنها غير مقصودة. ما يهز هنا المفهوم "المنطقي" للهوية هو تسجيل الكائنات في الزمن³. "الفرق ، الذي يشكل الهوية ، يستند دائماً على ما هو خاص وحصري للكائن ؛ لذلك يجب عليه أن يتحدد بواسطة مميزات تفرده عن غيره"⁴

إن المفكر الفرنسي " اليكس ميكشيلي" اعتبر أن الهوية عبارة عن " منظومة متكاملة من المعطيات المادية و النفسية و المعنوية و الاجتماعية تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي، و تتميز بوحدها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية و الشعور بها. فالهوية هي وحدة المشاعر الداخلية التي تتمثل في وحدة العناصر المادية، و التمايز، و الديمومة، و الجهد المركزي، و هذا يعني أن الهوية هي وحدة من العناصر المادية و النفسية المتكاملة، التي تجعل الشخص يتميز

¹ Morisset, Lucie K : **Le patrimoine et ses limites** , Hermès, La Revue, vol. 63, no. 2, 2012, pp. 57-62.

² Drouin-Hans, Anne-Marie : **Identité** , Le Télémaque, vol. 29, no. 1, 2006, pp. 17-26.

³ Ibid , pp. 17-26

⁴ Imen Ben Jemia : **L'identité en projets , ville, architecture et patrimoine** , Les Cahiers de la recherche architecturale et urbaine [En ligne], 30/31 | 2014, mis en ligne le 14 septembre 2017, consulté le 15 février 2018. URL : <http://journals.openedition.org/crau/412> ; DOI : 10.4000/crau.412

عن سواه، و يشعر بوحدة الذاتيه. و يضيف ايضا أ. ميكشيلي أن الهوية هي " مجموعة المعايير التي تسمح بإعطاء تعريف اجتماعي للفرد أو الجماعة، و يعني بهذا، التي تسمح له بتحديد موقعه في المجتمع"¹ و " يمكن أن تفهم الهوية باعتبارها ديناميات التطور، التي من خلالها الفاعل الاجتماعي، فرد أو جماعة، يعطي معنى لكيانه، و هو يفعل ذلك من خلال ربط الماضي و الحاضر والمستقبل².

تعتبر الهوية و التراث عنصران مترابطان و متلازمان حيث لا يمكن التحدث عن التراث دون ذكر الهوية و لا يمكن التحدث عن الهوية دون الإشارة إلى التراث. فالتراث هو مصدر هويتنا.

فليس التراث هو الماضي بكل ما حفل به من تطورات في المجالات جميعا، و ما شهد من أحداث تعاقبت عبر العصور، و لكنه الحاضر بكل تحولاته و المستقبل بكل احتمالاته. فالتراث يمتد في حياتنا و ينتقل معنا إلى المستقبل. فهو جزء منا لا نستطيع الفكاك منه. و التراث بذلك سمة أصيلة من سمات الهوية، به تكتمل عناصرها و بصبغته تصطبغ. و ما كان التراث محددا بتاريخ معين، فكل ما خلفه الحكماء و المفكرين و العلماء و الفقهاء و الفلاسفة و الشعراء و المؤرخون و المصنفون في شتى حقول المعرفة، يعدّ تراثا فكريا و ثقافيا و علميا. و لذلك فليس هذا التراث الذي هو ذخيرة حية في عقولنا و قلوبنا و وجداننا و في الذاكرة الجماعية لأمتنا، هو الماضي فحسب، و إنما هو الماضي و الحاضر و المستقبل معا³.

فان علاقتنا بأسلافنا و أجدادنا و الاستمرارية في التشارك في كل ما خلفوه و ما تم نقله إلينا، دليل على استمرارية هويتنا. فالحاضر يستمد هويته من الحضارات القديمة و كل ما تحويه من عادات و أفكار و معتقدات. حيث "ليس الرابطة البسيطة للنسب التي تحدد أسلاف معينين كأجداد وبعض الخلفاء كأحفاد ، لكن هذا الرابط العاطفي والفكري في الوقت نفسه ، يشكل وعي الذات ، والذي يتضمن كل من هؤلاء وأولئك في "نحن" الموسعة المتكونة ، من ناحية ، من المعاصرين الذين نتقاسم معهم اسم ، لغة ، إقليم ، تراث ، مجموعة من الرموز ، ماض ، مستقبل ، ومن ناحية أخرى ، الأجيال السابقة و المقبلة ؛ وبالتالي ، فإنه يفرض على الأجداد واجب الذاكرة وعلى المنحدرين واجب التوقع. هذه العلاقة التعريفية ، التي تدمجنا في سلسلة الأجيال ، هل سيتم تكرارها من قبل خلفائنا؟ لفترة طويلة جدا، يبدو أنه لم يكن هناك شك في

¹A. Mucchielli : **L'identité**, Paris, Presses Universitaires de France, P127.

² Vinsonneau Geneviève : **Le développement des notions de culture et d'identité , un itinéraire ambigu** , *Carrefours de l'éducation* 2/2002 (n° 14), p. 2-20. cairn.info

³ عبد العزيز بن عثمان التويجري: **التراث و الهوية**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة-إيسيسكو-1432هـ/2011م، ص7-8. <https://www.isesco.org>.

ذلك...¹فهذا التراث الواسع سينتقل تدريجيا إلى الأجيال القادمة و بذلك ستستمر هويتنا عبر الزمان و المكان.ف"مفهوم الهوية يجيب على السؤال الذي يركز في الأولوية على علاقتنا ليس مع الماضي ولكن مع المستقبل".²

2- الميراث و الانتقال في سوسيولوجية PierreBourdieu :

إذا كانت سوسيولوجية "ب.بورديو" غالبا متهمة بالاحتمية، ذلك لأنه يعطي مكانة بارزة للميراث. ستكون أعمالنا إلى حدّ كبير تتأثر بالإرث الذي نقله لنا محيطنا العائلي. حول هذه النقطة إن عالم الاجتماع و معارضوه انقسموا: تصرفاتنا ، و على نطاق أوسع مصيرنا الاجتماعي ، هل يتم تحديده بالكامل من تراثنا؟ لفهم موقف "ب.بورديو" في هذه المسألة يتطلب تحليل المكانة التي يعطيها للميراث والنقل في نظريته الاجتماعية.

مفهوم الميراث استخدم من طرف عالم الاجتماع هذا بمعنى أوسع بكثير من معناه الشائع: إلى جانب الثروة الاقتصادية، فإننا نرث أيضًا اسم العائلة، ومستوى ثقافيًا، وشبكة من العلاقات... من بين هذه المجموعة من التراث - التي توصف بأنها "رأس مال" - كان "ب.بورديو" مهتمًا على وجه الخصوص للترتيبات الثقافية التي تنتقل داخل الأسرة.

إن أصالة نظريته تؤكد على أهمية التراث الثقافي وليس على التراث الاقتصادي في عمل المجتمعات المعاصرة. "يتم تحليل الميراث من قبل عالم الاجتماع باعتباره ناقل لاستتساخ التسلسل الهرمي الاجتماعي. على مستوى الأسرة ، فإن التراث هو موضوع استراتيجيات يهدف إلى الحفاظ وتحسين الوضع الاجتماعي لأفراد الأسرة. طبيعة هذه الاستراتيجيات تتطور مع مرور الوقت: في المجتمعات ما قبل الرأسمالية، استراتيجيات الزوجية كانت هي الغالبة، بينما في المجتمعات المعاصرة، الاستراتيجيات المدرسية هي المهيمنة. العائلة، يقول "ب.بورديو" أنها "واحدة من الأماكن بامتياز لتراكم رأس المال في إطار أنواعه المختلفة وانتقاله بين الأجيال". و يذهب إلى أبعد من ذلك بقوله "أنها تحافظ على وحدتها من أجل النقل وعن طريق الإرسال، لكي تتمكن من الإرسال لأنها قادرة على الإرسال لضمان وظيفتها في النقل ، تطبق العائلة استراتيجيات تختلف وفقًا للسياق التاريخي والاجتماعي".³ حيث نجد أن العائلات القديمة التي كانت تسكن بالقصبة العتيقة، عملت على نقل التراث من جيل إلى جيل و لم يعرف توقفا، و انتقلت معه كل ما

¹ Pomian, Krzysztof : **Patrimoine et identité nationale** , *Le Débat*, vol. 159, no. 2, 2010, pp. 45-56.

² Ibid., pp.45-56.

³ Jourdain, Anne, et Sidonie Naulin : **Héritage et transmission dans la sociologie de Pierre Bourdieu** , *Idées économiques et sociales*, vol. 166, no. 4, 2011, pp. 6-14.

يخص العادات و التقاليد القديمة، و عملت اليوم و لو في مجموعات قليلة على الاستمرارية في نقل التراث ليس فقط الثقافي منه و لكن أيضا الحضاري و محاولة إعادة استساخ و إعادة إنتاج رموز خاصة بالسكان القدماء المرحلين بالأحياء الجديدة، كدليل على استمرارية التراث الفكري الثقافي و الحضاري في الذاكرة الجماعية للسكان و محاولة تجسيده في الواقع بالأحياء الجديدة حتى تتمكن الأجيال المقبلة على تداوله و نقله و بذلك لن يعرف انقطاعا.

3- الموروث الحضري رهان صراعات في المجال الحضري:

إن وضع التراث الحضري في البداية تحت علامة الخطر قد يبدو متناقضا مسبقا ما هي السياسة الأكثر إجماعاً، في الواقع، نجد أنها الأقل عرضة لظهور أحداث غير متوقعة، المعنية بالحفاظ، إعطاء قيمة، و تعزيز تراث المدينة، و حتى في بعض الأحيان نجد مدينة بأكملها كتراث؟ وبوجه عام ، فإن إدراج أي ابتكار إنساني أو موقع طبيعي في التراث ، سواء كان محليا أو وطنيا أو الأكثر من ذلك عالميا ، لا يمكن إلا أن يشجع الدعم المشترك وإخلاء كل ما قد ينشأ من العداء والصراع ، التتريث ¹ la patrimonialisation يفترض أن تعني علاقة مسالمة بالزمان والمكان. أما بالنسبة للمجال، الذي غالبا ما يتم تقديمه على أنه مكان المواجهة من أجل الاستيلاء عليه، رهان الصراعات من أجل التغلب عليه أو الدفاع عنه ، أو تنظيمه ، أو تحويله ، فإنه سيصبح ، بمجرد أن يتم اعتباره تراثا patrimonialisé ، ملكية مشتركة رمزية لمجموعة موحدة من شأنها أن تشكل جزءا كبيرا من هويته. باختصار، فإن التتريث سيكون مرادفا للتجمع و المصالحة...

لم يعد التراث الحضري يقتصر على "صيانة الحجارة القديمة" وبعض الأنسجة الحضرية القديمة. بين الباحثين والمخططين الحضريين والمديرين وصانعي السياسة الحضرية ، الاتجاه ينمو ليدمج في الخطابات- سواء أكانت علمية أو إعلامية - ليس فقط "التراث التاريخي" ولكن أيضا "التراث العادي" ، وبجوار التراث القديم ، إنجازات حضرية و معمارية حديثة (الأحياء والمجمعات السكنية الاجتماعية ، المصانع ...) ، وكل هذا مع مرجعيات متكررة أكثر فأكثر ، آتية من "فوق" ، إلى البعد الاجتماعي للممارسات التراثية، و الآتية

¹ التتريث هو العملية الاجتماعية-الثقافية، القانونية أو السياسية التي من خلالها يتحول مكان أو مادة أو نوع أو ممارسة إلى عنصر من عناصر التراث الطبيعي أو الثقافي أو الديني، يستحق الحفاظ عليه وترميمه [Patrimonialisation — Wikipédia](https://fr.wikipedia.org/wiki/Patrimonialisation).

<https://fr.wikipedia.org/wiki/Patrimonialisation>

"من الأسفل" إلى التثريث باعتباره الخندق النهائي (ولكن غير مؤكد) من أجل الدفاع عن بعض الأماكن الشعبية المهددة.

إن تعقيد المعاني المعطاة للتراث وغموضها قد تم تسليط الضوء عليها وتحليلها من منظور اجتماعي (Bourdin,

1984، أنثروبولوجي (Fabre et Luso, 2010)، تاريخي (Choay, 2009)، فلسفي (Jeudy, 1990) (2001 ؛) و أيضا حضري (Ciudades, 2011). ومع ذلك ، لا تزال عمليات التثريث تتحدى الإنتاج النظري ، وتواجه باستمرار توسعات و انحرافات لمعنى مفهوم التراث الحضري¹.

كما لا يزال التراث الحضري رهان صراعات قوية حيث تحاول بعض المؤسسات الاستيلاء على بعض المنشآت و المنازل القديمة و شرائها بأموال باهظة قصد هدمها و إعادة بناء منازل أخرى بهندسة معمارية مخالفة تشوه النسيج الحضري القديم و أحسن مثال على ذلك ما يحدث اليوم بالقصبة العريقة هذا المعلم التاريخي الذي صنف كتراث عالمي سنة 1992م من قبل اليونسكو يشهد تحويل في استعمال منازلها و قصوره و تشويه بنائه المعماري

4- الموروث الحضري و استمراريته في الحاضر:

هناك من يتساءل عن المدى الزمني الذي يتعين أن تستغرقه عملية تناقل التراث و تلقيه لكي يعدّ " تراثا"، بمعنى أن يصبح شيئا مستمرا؟ الحقيقة أنه لا يمكن تقديم إجابة شافية لهذا السؤال. و إن كان من الواضح - على أية حال- أن المعتقد الذي يتم نبذه و التخلي عنه بعد تقديمه مباشرة، أو الذي يجد من المتلقين من يقبله بعد اختراعه أو تقديمه أو تجسيده، مثل هذا المعتقد لا يمكن أن يعد تراثا. كذلك المعتقد أو الممارسة الذي (أو التي) يروج- و لكن لفترة قصيرة- لا يمكن أن يعد تراثا، على الرغم من أنه يحوي في جوهره نفس أنماط الانتقال من صاحبه إلى المتلقى، أي أنه ينطوي على لب التقليدية لذلك يتعين أن يستمر العنصر الاعتقادي أو السلوكي ثلاثة أجيال على الأقل- أيا كان طولها أو قصرها - لكي يمكن أن يعد تراثا.

و يتم التعبير عن استمرار أنواع التراث في ضوء عدد الأجيال التي يعيشها. و إن كان ذلك معيارا يفتقر إلى الدقة لأن الأجيال نفسها متفاوتة في المدى الزمني الذي تستغرقه، كما أن الحدود بين الأجيال

¹ Garnier, Jean-Pierre, et María A. Castrillo Romón : *Éditorial* , *Espaces et sociétés*, vol. 152-153, no. 1, 2013, pp. 7-17.

حدود غائمة بعيدة عن التحديد... يمكن أن نكتفي بالقول بأنه يجب تناقل العنصر الموروث لمرتتين اثنتين على الأقل عبر ثلاثة أجيال، و بذلك يستحق أن يطلق عليه اسم " تراث"¹.

أما فيما يخص استمرارية الأشياء المادية الموروثة فإنها تعتمد على " قوى ذاتية تعمل على استمرارها و بقائها، و تكون كامنة في الطبيعة المادية لتلك الأشياء. فما أن تظهر هذه الأشياء المادية إلى الوجود حتى تظل قائمة مستمرة- طالما أن يد الإنسان لم تمتد إليها- إلى أن تلقى مصيرها المحتوم. و تهلك الأشياء المادية إما بسبب تحللها الداخلي أو الضغط الناجم عن أسلوب الاستخدام، أو عوامل التعرية و التآكل، أو الكوارث الطبيعية. فالإنسان يؤثر على المسار الطبيعي لتواجد الأشياء من خلال تعمد تحطيمه لها، أو استخدامه لها، أو شمولها بالحماية المقصودة، أو تدعيمها، أو الحفاظ عليها و تجديدها. و تتيح المقاومة الذاتية للأشياء المادية المصنوعة من الحجر، و المعدن، و الخشب، و كذلك استمرار مسرح الحياة الطبيعية يتيح للماضي أن يعيش في الحاضر².

5-مكانة التراث الشعبي "الأسطورة و الخرافة و الحكاية" في الموروث الحضري:

يعتبر التراث الشعبي من مكونات الثقافة² -*الشعبية، و أصل الشعوب، فهو يعزّز هويتنا و يعمل على استمراريتها، كما يعزز الروابط بين الماضي و الحاضر و المستقبل، و نقله إلى الأجيال القادمة يعدّ مطلباً ضرورياً، لذلك وجب المحافظة عليه. لأنه يخلّد ذاكرة الأفراد و هويتهم و يمدّهم بالقيم. و يتكون التراث الشعبي من مجموعة العادات و التقاليد و الأشعار و الحكايات و الأساطير و الخرافات و الأمثال... الخ، فهو كل ما يمثل حياة الناس من آثار و منقولات و أساليب العيش. و هنا نطرح تساؤلاً ما هي الأسطورة؟ و ما هي الخرافة؟ و هل يوجد فرق بينهما؟

لابد من إلقاء نظرة عن مفهومي الأسطورة و الخرافة و توضيحهما. حيث أنه "كثيراً ما تتردد كلمتا خرافة و أسطورة بوصفهما كلمتين مترادفتين. فالأسطوري و الخرافي كلمتان متساويتان تماماً في معانيهما عند كثير من الناس، و ذلك لأن كليهما يصور الشيء البعيد عن المنطق و المعقول..حقاً إن هناك صلة بين الحكاية الخرافية و الأسطورة تتمثل في كونهما يحققان في الغالب هدفاً واحداً و هو إعادة النظام للحياة، و مع ذلك فإن الأسطورة تنتمي سلوك روحي آخر غير الذي تنتمي إليه الحكاية الخرافية...يمكننا أن نقول بإيجاز أن الأسطورة محاولة لفهم الكون بظواهره المتعدّدة، أو هي تفسير له، إنها نتاج وليد الخيال، و لكنها لا تخلو من منطق معين و من فلسفة أولية تطور عنها العلم و الفلسفة فيما بعد...

¹ إدوارد شيلز: التراث تأصيل و تحليل من منظور علم الاجتماع، ترجمة محمد جوهري و آخرون، مرجع سابق، ص 43-44.

² نفس المرجع السابق، ص 113.

و هكذا نرى أن الأسطورة وسيلة حاول الإنسان عن طريقها أن يضيف على تجربته طابعا فكريا، و أن يخلع على حقائق الحياة العادية معنى فلسفيا..و بدون هذه الصورة الأسطورية تكون التجربة مهوشة، كما أنها تقتصر على كونها مجرد ظاهرة. و لا تكون للأسطورة قيمة إلا إذا كانت مكتملة، كما أنه لا تكون لأجزائها أهمية إلا بمقدار ما تفصح عن الفكرة الرئيسية.و يمكننا أن نتوسع في شرح هذا فنقول أن الأسطورة عملية إخراج لدوافع داخلية في شكل موضوعي، و الغرض من ذلك حماية الإنسان من دوافع الخوف و القلق الداخلي.¹ ليست حكايات "هيرمان هيسه" خرافية بالمعنى التقليدي للمصطلح، و مع ذلك هي متأصلة في كل من التقليد الغربي و الشرقي للحكايات الخرافية ، إنها قصص فائقة للعادة".²

أما فيما يخص الخرافة فإنّ "الخرافة أصلها إشاعة ثم زيد فيها، و أصبحت جزءا من تراث الشعب المنقول و ذلك قبل أن تتخذ شكلا فنيا لدى القصّاص الشعبي"³ و لما كانت الحكايات الخرافية في الأصل مجموعة من الأخبار تتصل بتجارب الإنسانية منذ قديم، فقد حرص الناس على الاحتفاظ بها و نقلها بالرواية- غير المدونة- عبر الأجيال، و من هنا صارت أهم أنواع التراث الشعبي.و على الرغم من أنها غائمة - غالبا- و ظهور أبطالها بلا أبعاد و لا ملامح مميزة، فإنها تشكل عالما يوازي عالم الناس، و يبدووا هذا العالم أليفا و حبيبا، و ترتبط أحداثه بالبطل الذي يواجه القوى الغيبية الخارقة...إن الحكاية الخرافية لا تعتمد الحدث أساسا له، و إنما تعتمد البطل.

و هي تختار من الأحداث ما يلقي الضوء على شخصيته و يؤثر في حركته، هذا مع امتلائها بالأمور التي لا تقع في عالمنا⁴. حيث ان هذه الأحداث و الأمور الغريبة التي لا أساس لها في الحياة الواقعية لا لا يعتبر في نظر بعض الباحثين هروبا من الواقع و هذا ما أشار إليه Marcel Schneider حيث يقول "إن وظيفة التخيل ليست للهروب من الواقع ، بل هو عكس ذلك تماما لإنتاج حقيقية (...)."⁵

هذا فضلا أن الحكايات الخرافية-بصفة خاصة-تتفق في كونها بقايا معتقدات تضرب في أعماق أعماق العصور.

لا يمكن الفصل بين الخرافة و الأسطورة فهما متلازمان حيث تعتبر كلاهما تحقيق لرغبة و طموح الإنسان و آماله ،في عالم خال من الشر والحد أو عالم يحقق فيه كل أمنياته. و هنا يمكن القول أن

¹ أنبيلة ابراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة،مصر، القاهرة،9-11.
² هيرمان هيسه: الحكايات الخرافية، ترجمة أسامة أسبر، دار نينوى،سوريا،دمشق،ص5. أنظر <https://www.kutub-pdf>

³ أحمد كمال زكي: الأساطير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985، ص15.

⁴ أحمد كمال زكي: الأساطير، دراسة حضارية مقارنة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط2، 2000، ص56-75.

⁵ Monzani, Stefano : **Pratiques du conte** , revue de la littérature , *La psychiatrie de l'enfant*, vol. 48, no. 2, 2005, pp. 593-634.

كلاهما تعتبر حكاية تروى من قبل راوي و يشترط فيها وجود مستمع أو أكثر. ف"الحكاية هي في المقام الأول قصة لمدة زمنية. مع أخذ مصدره في الماضي الأسطوري الذي يطيل صدى له ، فإن الحكاية مبنية على الاستمرارية والانتقال عبر الأجيال. ترجع جذور الحكاية إلى نفس المادة التي توصل إليها اللاوعي البشري الذي وصفه فرويد (1913) بأنه رجل مملوء بالأوهام الأصلية. بدون قصد ، تحكي لنا الحكاية القصص نفسها في تكرار بلا حدود التي تولد من جديد في كل قراءة ، وبالتالي تصبح ذاكرة ، القراءة التي من خلالها بقاء و استمرارية الهوية الجماعية تجد أساسها.¹

كلمة "حكاية" ، التي تم إثباتها سنة 1080، مستمدة من السرد، من اللاتينية *computare*، "تعداد" ، ثم "تعداد حلقات القصة" ، ومن ثم "أحكي" وفقا لأصلها الشعبي ، الحكاية ، مثل سرد القصص ورواية القصص ، جزءًا من لغة كل يوم ، وبالتالي استخدامها غير الدقيق في كثير من الأحيان. تاريخيا ، تباين معنى الكلمة بشكل كبير. بمعنى "سرد الأشياء الحقيقية"، يشهد إلى *Malherbe*. في عصر النهضة ، إنها لا تزال ذات شقين: "سرد للأشياء الحقيقية" ، ولكن أيضًا "سرد للأشياء المخترعة".

القاموس الأكاديمي لـ 1794 يعرف الحكاية بأنها "رواية، وصف لبعض المغامرات ، سواء كان ذلك ، رائعًا ، جادا أو ممتع ، "ويضيف " إنها أكثر اعتيادية للرائعة والممتعة " مما يشير إلى الانتقال إلى المعنى الحديث: "سرد الحقائق ، الأحداث الخيالية ، تهدف إلى التشتيت".²

فالأسطورة و الخرافة تعتبر بمثابة حكاية تروى للأطفال، و لقد وجدت منذ القديم ومئات السنين، و كانت القصص الخيالية جزءًا من الحياة البشرية. و لقد كانت حاضرة بشدة في أيام القصة خصوصا أثناء وجود المستعمر، حيث كانت الملجأ الذي تأوي إليه الأسر لتفسير الأوضاع لأبنائهم عما كان يحدث بأحياء المحروسة عن طريق الحكاية ، كما كانت الأساطير و الحكايات التي تحكى للأطفال تحوي مخلوقات خرافية و أحداث خيالية حتى يتمكن الطفل من التوغل و التركيز أكثر فهي تشد انتباهه و بطريقة ما كانت تبعث القوة و الشجاعة في نفوس الصغار و كذا الكبار حيث كانت كل من الأسطورة و الخرافة ذات طابع تربوي.

وفقا لـ Bettelheim بيتلهايم" ، يحتاج الأطفال إلى التخيلات ، ليس فقط من أجل المتعة أو الهروب المؤقت من الواقع ، ولكن أيضا للنمو وتطوير شخصيتهم. وهكذا ، عندما يُسمح للأطفال بنقل القصص

¹ Ibid., pp.593-634.

² Simonsen Michèle : **Introduction** , dans : *Le Conte populaire*. sous la direction de Simonsen Michèle. Paris cedex 14, Presses Universitaires de France, « Littératures modernes », 1984, p. 9-9. URL : <https://www-cairn-info.www.snd11.arn.dz/le-conte-populaire--9782130384786-page-9.htm>

الخيالية إلى خبراتهم ، يكتشفون معنى لما يحدث لهم ، وسوف يتم تعزيز تطويرهم. وبعبارة أخرى ، إذا تم إخبار الأطفال بالتجارب والمحن والنجاحات وإخفاقات أبطال القصص الخيالية ، سيكونون أكثر قدرة على التعامل مع التجارب والمحن والنجاحات والفشل التي تنتظرهم في الحياة. وعلاوة على ذلك ، إذا كانت الحكايات تبدو مقنعة في نظر الأطفال ، فذلك لأنهم يتفقدون ، "بطريقة تتكيف بالكامل مع طريقة التي يتصور بها الطفل العالم و يختبره"... علاوة على ذلك ، لا ينبغي أن تنقل التربية الأخلاقية بطريقة مفاهيمية ، ولكن من خلال الحكايات الخرافية ، لأنها تعالج ، في آن واحد بشكل رمزي وملاموس ، ما هو الخير وما هو الشر ، وبالتالي نقل المعنى¹.

وفقا لـ "بيتهاميم" ، فإن الحكاية الخيالية تسلم بشكل رئيسي كرسالة إلى الطفل أن "النضال ضد الصعوبات الخطيرة للحياة أمر لا مفر منه وجزء جوهري من الوجود البشري ، ولكن ، بدلا من التهرب ، نواجه بشدة الأحداث غير المتوقعة وغير العادلة في كثير من الأحيان ، و إننا نتغلب على جميع العقبات ونحقق النصر في النهاية " ². الحكايات الخرافية تعجب دائما. الصغار و كذلك الكبار...أصولها فقدت في عمق الزمن³.

و كما ذكرنا سالفا فان الأسطورة في المقام الأول تقوم بالتربية بطريقة أو بأخرى و غرضها المعاملة الحسنة، التواضع،الإكرام، الاحسان و كذلك المثابرة، الشجاعة، الصمود، النضال... فهي تعتبر أداة فعالة تعمل على نقل مجمل القيم الاجتماعية و الثقافية من جيل لآخر اذ انها تسهم في تشكيل وعي الطفل و تنبيهه بأهمية الروابط العائلية و الاجتماعية و بالهوية الجماعية ، فعند سرد قصة على مسامع الأطفال لا يكتفي الراوي بسرد الاحداث الخرافية و الخيالية بل يتعدى ذلك ليغرس فيهم تصور عن الخير و الشر عن ماهو مقبول و ما هو مرفوض في المجتمع عن الحكمة و البطولة...فالحكاية تلعب دور في بناء شخصية الطفل في اطار النسيج الثقافي الذي ينتمي اليه و في اطار عادات و تقاليد مجتمعه و قيمهم.

¹ Larivée Serge, Sénéchal Carole : **La psychanalyse des contes de fées, quelle histoire** , Bulletin de psychologie, 2011/4 (Numéro 514), p. 359-368. DOI : 10.3917/bupsy.514.0359. URL : <https://www.cairn.info/revue-bulletin-de-psychologie-2011-4-page-359.htm>consulté le 16/01/2019 à 09 :16m.

² Boulé-Croisan Annick : **La fonction thérapeutique du conte** , *Le Coq-héron*, 2005/2 (n° 181), p. 128-136. DOI : 10.3917/cohe.181.0128. URL : <https://www.cairn.info/revue-le-coq-heron-2005-2-page-128.htm>,consulté le 16/01/2019 à 09 :33m.

³ Bert Claudie : **Les contes de fées** , *Sciences Humaines*, 2002/6 (N°128), p. 31-31. URL : <https://www-cairn-info.www.sndl1.arn.dz/magazine-sciences-humaines-2002-6-page-31.htm>,consulté le 16/01/2019 à 09h :45m.

الفصل الرابع

مدخل سوسيولوجي حول مفهوم المدينة

1 - مفهوم المدينة بين النظريات التقليدية و المعاصرة

2 - الخلفية التاريخية للنمو الحضري في الجزائر

3 - تصورات مختلفة حول النمو الحضري

1-3 التصور أو المدلول الديموجرافي

2-3 التصور الاقتصادي

3-3 التصور الايكولوجي

4-3 التصور التنظيمي

5-3 التصور السلوكي

4 - مراحل النمو الحضري للمدن الجزائرية

1-4 النمو الحضري للمركز

2-4 النمو الحضري للضواحي

3-4 النمو الحضري للأطراف

5 - عوامل النمو الحضري

1-5 عامل الصناعة

2-5 عامل الهجرة

3-5 العامل التكنولوجي

خلاصة الفصل

1- مفهوم المدينة بين النظريات التقليدية و المعاصرة:

المدينة هي في المقام الأول فئة إدارية من الأراضي متميزة عن الريف¹. "المدينة تعطي نظرة متجانسة للمؤانسة الحديثة" يقصد هنا بالمؤانسة هي قدرة الفرد أو مجموعة للتعامل في المجتمع و الدخول في شبكات اجتماعية جديدة². أما Y.Grafmeyer يقترح تعريفا للمدينة "المدينة على حد سواء أرض و سكان"³. سواء تعلّق الأمر بـ ك. ماركس أو إ. دوركهايم أو م. فيبر أو حتى ج. زيميل ، كل هؤلاء الرواد في علم الاجتماع رأوا في المدينة الكبيرة مكان الحداثة. بالنسبة لماركس ، المدينة هي الفضاء حيث يمكن للنضالات الاجتماعية أن تؤدي إلى تحرير أكثر الناس حرما ؛ يساعد على تحرير "سذاجة الحياة الريفية". حتى لو كانت تطرح مشاكل الاندماج ، فإن المدينة تجمع كل الشروط لنشر الكثافة الأخلاقية ، والتي تسمح للفرد بالحصول على الحرية وتصبح قيمة مرجعية. بالنسبة إلى "فيبر" ، فقد ولدت الرأسمالية في المدينة ، موازية لعقلانية العالم

بالنسبة لـ "زيميل" ، هذه المدينة الحديثة هي مسرح لموضوعية الثقافة و الزمن المقاس ، المؤسسات والقواعد تصبح غير شخصية بحيث تنتهي في نهاية المطاف إلى خلق نوع جديد من "الشخصية الحضرية"⁴. التفكير في المدينة كنظام اجتماعي يتطلب تعريف الفئات التي تسمح لنا بتحديد العناصر التي تشكلها وبنيتها. غالبا ما يواجه علم الاجتماع الحضري المحتوى الدقيق لموضوع الدراسة ومكانة المدينة⁵. إن فرضية H. Lefebvre ، التي تصور وجود تحضر كامل للكوكب ، أصبحت أكثر وأكثر حقيقة.

في غضون قرن ، تضاعف عدد سكان المدن على مستوى كوكب الأرض مضروب في اثني عشر. في عام 2009 ، ولأول مرة في تاريخه ، أصبح سكان العالم في الغالب حضريا: أكثر من 3.4 مليار شخص يعيشون الآن في المدينة ، أو أكثر من 50 ٪ من سكان العالم. في كل عام ، ينضم 60 مليون شخص آخر إلى هؤلاء السكان الحضريين ، بحيث يصل عددهم في عام 2030 إلى 5 مليارات نسمة.

¹ Moriconi-Ébrard François : **Chapitre 1 - Les villes et l'urbain : n'en jamais finir avec la définition** , dans : Laurent Cailly éd., *La France, une géographie urbaine*. Paris, Armand Colin , 2010, p. 13-34. DOI : 10.3917/arco.caill.2010.01.0013. URL : <https://www.cairn.info/la-france-une-geographie-urbaine--9782200255794-page-13.htm>, consulté le 16/01/2019 à 12h : 17m.

² Abdelkader Lakjaà : **Les périphéries oranaises , urbanité en émergence et refondation du lien social** , Les cahiers d'EMAM, 18/2009, 29,44.

³ Monique Pinçon-Charlot: **Grafmeyer Yves, Sociologie urbaine**. [Compte rendu] Revue française de sociologie Année 1994 Volume 35 Numéro 4 pp. 699-700. www.persee.fr/doc/rfsoc_0035-2969_1994_num_35_4_4372

⁴ Stébé Jean-Marc, Marchal Hervé : **Comprendre, analyser et théoriser la ville** , dans : Jean-Marc Stébé éd., *La sociologie urbaine*. Paris cedex 14, Presses Universitaires de France, « Que sais-je ? », 2014, p. 21-43. URL : <https://www.cairn.info/sociologie-urbaine--9782130628101-page-21.htm>, consulté le 16/01/2019 à 12h : 59

⁵ Saïd Belguidoum : **La ville en question - analyse des dynamiques urbaines en Algérie**. Penser la ville - approches comparatives, Oct 2008, Khenchela, Algérie. pp.6, 2009.

في آسيا وأفريقيا بشكل خاص ، سيكون نمو المدن هو الأقوى: بحلول عام 2030 ، سيتضاعف عدد سكان الحضر في هاتين القارتين. ومع ذلك ، فإن هذه الظاهرة غير المسبوقة في تاريخ البشرية يجب ألا تجعلنا ننسى أن العديد من سكان المناطق الحضرية الجدد سيكونون فقراء وأن مستقبلهم يعتمد على التوجهات السياسية-الاقتصادية التي يتخذها صناع القرار اليوم. إن مثل هذه التوجيهات تشرك في الواقع مستقبل الكوكب بأسره حيث أن المدن في البلدان النامية (بما في ذلك تلك الموجودة في أمريكا الجنوبية وأفريقيا وآسيا) ستكون موطناً لأكثر من 80 في المائة من سكان العالم. سكان الحضر العالمي.

لكن ما هي المدينة بالنسبة لأولئك الذين يدرسون هذا الوقت البعيد؟ يزعم علماء الآثار والمؤرخون في العصور القديمة أنه حتى قرية كبيرة جدا تبقى قرية طالما أنها تضم الفلاحين فقط. في الواقع ، المدينة معمورة بالأفراد الذين يعيشون على موارد أخرى غير أعمال الأرض. ولذلك فهو مكان مصطنع حيث يتم تنشيط تركيز السكان وتبادل السلع والأفكار ، وينتج شيئاً آخر غير المواد الغذائية. إن تجمع الناس والأنشطة ، وتخصص المهام ، وسيادة البيئة المبنية على البيئة الطبيعية هي أساس المدينة¹.

في الواقع ، تتأرجح الدراسات بين المقاربات التي تجعل المدينة العامل الهيكلي للممارسات الاجتماعية و هكذا تسجل في نفس النوع الاقتراب الذي طوره Chombart de Lauwe في فرنسا وجزء كبير من مؤلفي مدرسة شيكاغو) أو المنتج المباشر للنشاط الاقتصادي والاجتماعي .. النوع الأول من الاقتراب ، الذي يطلق عليه أيضا علم الايكولوجية الحضرية أو الاقتراب البيئي ، في حين توضيحها ، يؤكد على أولوية المحيط و الإقليم والمجال المبني على البنية الاجتماعية. ومن هذا المنظور ، ترتبط المشاكل الاجتماعية في المقام الأول بالمحيط (المحيط المبني ، والمعدات ، وما إلى ذلك) وظروف السكن ، المعقد بسبب التمييز الاجتماعي المجالي الذي يولد اختلالات .

بالنسبة للنوع الثاني من الاقتراب ، وهو نهج أولوية الممارسات الاجتماعية على الإطار المكاني ، فهو مسألة تحليل العمليات الإنتاجية للإطار الحضري ؛ المدينة هي نتيجة لتوازن القوى حيث تلعب الآليات الاقتصادية (أسواق الأراضي والعقارات) دوراً مهماً في صناعة المدينة والتوزيع الاجتماعي-المكاني الناتج عنها. لكن هاتين النقطتين المتعارضتين والثرية تتلاقى معا في نقطة واحدة في طرح الإطار المكاني كخارجي.

¹ Stébé Jean-Marc, Marchal Hervé : **Appréhender, penser et définir la ville** , dans : Jean-Marc Stébé éd., *La sociologie urbaine*. Paris cedex 14, Presses Universitaires de France, « Que sais-je ? », 2010, p. 3-16. URL : <http://www.cairn.info/la-sociologie-urbaine--9782130578017-page-3.htm>, consulté le 16/01/2019 à 11h :55m.

ومع ذلك ، استنادا إلى أعمال "بييار بورديو" من الممكن معالجة المدينة من زاوية أخرى ، وهي اقتراب بنائي يسمح بفهم في علاقة جدلية الممارسات الاجتماعية والإطار المجالي¹.
فـ "روبرت .إ. بارك" كان له الحق في كتابة أن المدينة هي بالأحرى حالة ذهنية، و مجموعة من العادات و التقاليد و المواقف و المشاعر الكامنة في هذه العادات و التي تنتقل مع هذه التقاليد. لأن المدينة ليست مجرد ميكانيزم مادي و بناء منظم فهي تشارك في عمليات حياة الناس الذين يعيشون فيها: هي نتاج للطبيعة البشرية².

2- الخلفية التاريخية للنمو الحضري في الجزائر:

إذا عدنا قليلا إلى الوراء، إلى النصف الأول من القرن 19 فسوف نجد أن القطاع الحضري لا يمثل سوى (5%) أو (6%) من مجموع السكان الذين قدر عددهم بحوالي (3 ملايين نسمة سنة 1830) . في حين تبلغ نسبة سكان الريف (95%). فقد كانت العاصمة (الجزائر) في ذلك التاريخ لا تضم أكثر من (30 ألف نسمة)، و أقل بقليل منها مدينة قسنطينة، ثم تلمسان (من 12 إلى 14 ألف) نسمة، و معسكر (10 آلاف) نسمة إلى جانب مدن أخرى مثل المدية و البليدة و وهران.
كان الريف الجزائري آنذاك يقوم على النظام العشائري (القبلي)، و كان للعامل الطبيعي أهميته في تحديد موقع المدينة، و مدى تأثيرها في المناطق الريفية المجاورة، كما كانت مرتبطة في تطورها و نموها بتطور النظام السياسي أو تدهوره، خصوصا المدن المطلة على البحر.
و قد بدأت مع الاستعمار مرحلة جديدة من الحياة الحضرية، تمثلت في المدن الاستعمارية حيث رافقت حملة الاستعمار للجزائر ظاهرة تضخيم المدن و اتساعها، كما تطورت بعض المدن القديمة نتيجة لاتساع وظائفها الجديدة، و مع ذلك بقيت الجزائر (الوطن) ذات طابع ريفي في مجملها.
ويعود تطور المدن الجزائرية إبان عهد الاستعمار إلى ثلاثة عوامل:
تقليد المعمرين في حياتهم الجديدة للنمط الحضري الأوروبي.
إضفاء الطابع الرأسمالي على الاقتصاد الوطني.

¹ Saïd Belguidoum : **La ville en question - analyse des dynamiques urbaines en Algérie**. Penser la ville - approches comparatives, Oct 2008, Khenchela, Algérie. pp.6, 2009.

² Shin Ji-Eun, « Une approche écosophique de l'espace urbain », *Sociétés* 1/2013 (n°119), p. 19-28

URL : www.cairn.info/revue-societes-2013-1-page-19.htm.

الصراع المستمر بين سكان الجزائر و الأوروبيين الأمر الذي أدى بالأوروبيين إلى إنشاء مدن جديدة مستقلة، أو ضواحي حديثة في المدن القديمة.¹

3- تصورات حول النمو الحضري:

منذ العقد الماضي ، عددا من الدراسات العلمية ركزت على تحليل النمو الحضري ، و هذا يعني تحليل النمو السكاني في المدن، و هنا السؤال الأساسي هو العلاقة من جهة ، بين حجم المناطق الحضرية (حجم السكان) و هو مرادف لعدد من الخصائص الاقتصادية للمدينة مثل الحجم الخارجي الايجابي أو السلبي، و تركيز رأس المال البشري أو آثار السوق المحلية، و من جهة أخرى زيادة (أو نقص) سكانها. هناك نوعين من التشكيلات الممكنة و الموجودة، أما نمو المدينة مستقلة عن حجمها، و هو ما يؤكد قانون Gibrat² للمدن، و إما أن النمو الحضري له خاصية قطعية و في هذه الحالة يلاءم استكشاف اتجاه حركة حجم رتبة المدن (rang-taille)³.

إن التصورات حول مفهوم النمو الحضري تختلف من وجهة نظر المفكرين و العلماء، و حتى نتمكن من استيعاب هذه التصورات سنحاول إعطاء لمحة وجيزة عن كل تصور.

3-1 التصور أو المدلول الديموجرافي:

يستند هذا التصور على " البعد أو العامل الديموجرافي " وحده كأهم مقياس لعملية التحضر و النمو الحضري، فما هو حضري وفقا لهذا التصور إنما يشير إلى تجمعات سكانية من حجم معين... و قد عرفت الحضرية في هذا التصور في حدود ارتباطها "بالتركز السكاني" كما عرف "التحضر" في حدود الاتجاه إلى زيادة التركيز السكاني في المدن و المناطق الحضرية، و المثال على ذلك ما ذهبت إليه " هوب تيسدال" H.Tisdal في تحليلها "للتحضر" كعملية للتركز السكاني يستند تحليلها على عنصرين أساسيين هما: تعدد نقاط التركيز من ناحية و زيادة حجم المراكز الفردية من ناحية أخرى.

¹ د. محمد السويدي: مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص 80.

² لمعلومات أكثر حول نظرية جيبرات انظر :

Gibrat consulté « Paulus Fabien, Pumain Denise, « Répartition de la croissance dans le système des villes françaises. », Revue d'Économie Régionale & Urbaine 1/2002 (février), p. 35-48

URL : www.cairn.info/revue-d-economie-regionale-et-urbaine-2002-1-page-35.htm. »

³ Schaffar Alexandra : Quelle est la nature de la croissance urbaine indienne ?, Revue d'économie du développement 2/2010 (Vol. 18) , p. 101-120 «

URL : www.cairn.info/revue-d-economie-du-developpement-2010-2-page-101.htm.

DOI : [10.3917/edd.242.0101](https://doi.org/10.3917/edd.242.0101).

3-2 التصور الاقتصادي:

تمثل الحضرية وفقا لهذا التصور، مرحلة متقدمة من مراحل التطور الاقتصادي البشري، و بالتالي ارتبط "التحضر" و النمو الحضري بحركة انتقال و تحول إلى تنظيمات اقتصادية أكثر تعقيدا. "إن عملية التحضر هي نمو للمدن الحديثة حيث بدأ التحضر في الثورة الصناعية".

أو هي بعبارة أخرى حالة الانتقال من اقتصاد المعيشة إلى اقتصاد السوق، و الواقع قد ترجم هذا التصور في صياغات و عبارات مختلفة أكدت كلها الاتجاه الذي غلب على معظم الدراسات الحضرية الغربية و الأمريكية بصفة خاصة، و التي اهتمت بدراسة الاقتصاد الميترولوجي وأكدت الارتباط بين عمليتي التصنيع و التحضر، و لعل من أهم الأمثلة البارزة في هذا المجال، دراسة "جراس" NS.B Gras في محاولته استعراض التاريخ الاقتصادي للحضارة الغربية سنة 1932. لقد أوضح "جراس" في مدخله التطوري، علاقة التطور الاقتصادي بأنماط التوطن و الاستقرار البشري على مر التاريخ، كما ربط طرق ووسائل العيش بالتطورات التكنولوجية من ناحية و بتطور أشكال الاستيطان البشري من ناحية أخرى.... و بنفس الطريقة عالج "اريك لمبارد" الموضوع في دراسته للتطور الصناعي الحضري متبعا نفس المراحل التي حددها جراس. إن الثورة التكنولوجية أفسحت الطريق إلى تجمعات حضرية كبرى لم تعرف من قبل، وغدت المدينة الميترولوجية هي الوحدة الإدارية و الاجتماعية و الاقتصادية .

3-3 التصور الايكولوجي:

يكاد يكون هذا التصور "تركيبا" جديدا من التصورين السابقين، حيث يؤكد فيه أصحابه-المدرسة الايكولوجية في صورتها التقليدية و المحدثه- على عامل السكان و المكان أو متغير الحجم و الكثافة، كأهم ما يمكن أن يقاس بهما درجة التحضر. و بايجاز شديد، نقاس درجات التحضر وفقا لهذا التصور في ضوء وضوح سيطرة الإنسان على البيئة الطبيعية واستخدامها لرفاهيته بكامل ما تتضمنه هذه السيطرة من معاني التعديل أو التغيير...أو غير ذلك من الامور التي انعكست على مر الأيام على الطابع الفيزيقي للمجتمع الحضري، و حجمه، و خصائص أساسه الوظيفي، ونمط توزيع السكان والنشاطات واتجاهات نموه...الخ

3-4 التصور التنظيمي:

لا يقتصر "التحضر" و "النمو الحضري"، وفقا لهذا التصور، على مجرد زيادة عدد السكان وارتفاع كثافتهم، أو على تطوير نسق اقتصادي تدعمه تكنولوجيا صناعية متقدمة، وإنما يعني الاتجاه إلى تنظيمات اجتماعية أكثر تعقيدا يشتمل ذلك على تطوير وسائل الاتصال و الميكانيزمات الاجتماعية والسياسية التي

تسمح بإمكانية الربط والتنسيق بين مجالات وكيانات متخصصة و متميزة ، بعبارة أخرى ، فإن النمو الحضري هو الانتقال من المجتمع البسيط إلى صورة أكثر تعقيدا كما أن التحضر معناه تراكم التطور والتعقد النظامي بنفس الدرجة و في نفس الاتجاه التي سارت فيه التطورات التكنولوجية. في الواقع هناك قدرا متراكما من التراث الذي يدور حول ما ارتبط بظهور المدن و النمو الحضري بوجه عام من مظاهر للتغير .

3-5 التصور السلوكي:

يؤكد التصور السلوكي للتحضر والنمو الحضري على خبرة الأفراد على مر الزمن من حيث أنماط السلوك والتفاعل، ومن ثم ينظر إلى الحضرية على أنها طريقة للحياة، أو نسق معين من قيم ومعايير السلوك وأنماط للتفاعل والعلاقات الاجتماعية ترتبط بسياق زمني ومكاني معين و توصف بأنها " حضرية". ويرتبط هذا التصور ارتباطا مباشرا بالتفكير التطوري في المدرسة الألمانية لعلم الاجتماع بدءا بتونييز ومرورا ب: شبنجلر، زيمل و فيبر وغيرهم، ممن أخذوا بفكرة النموذج المثالي وطبقوها على نطاق واسع في دراسة ظواهر الحضر والتحضر، و على أي حال فإن عملية التحضر هي باختصار انتقال و تطور المجتمع إلى شكل الرابطة، ل يتميز في النهاية بانقسامية الأدوار و تعددية الانتماءات و سيطرة العلاقات السطحية الثانوية من خلاق الروابط المختلفة. التحضر الانتقال إلى نموذج أكثر رشاده وعقلانية للفعل الاجتماعي والتفاعل وقد انتقلت نفس الفكرة إلى المدرسة الأمريكية في علم الاجتماع، من خلال أثر " روبرت بارك" أحد الرواد والأوائل للمدرسة بدراسته في ألمانيا.

وكانت المدينة وبخاصة شيكاغو تمثل معملا اجتماعيا لتحليل وتفسير ظواهر التحضر والحضرية، وفي بريطانيا تتابعت الدراسات التي عنيبت بتحديد المؤشرات الحضرية، لتكون تراثا هائلا متراكما .وتعتبر دراسة رونالد فرانكنبرج R. Frankenberg واحدة من الدراسات البارزة في هذا الصدد.

و في الحقيقة يثير كل تصور من التصورات السابقة عددا من التساؤلات النظرية و المنهجية ، كما يرتبط بكل منها صعوبات خاصة بالتعريف و القياس...كما يتضح لنا مدى قصور النظرة إلى "التحضر" و " النمو الحضري " في ضوء أي من التصورات السابقة على حدة ، ولذلك نعتقد أنه من الملائم أن تستوعب أي محاولة للتحليل التاريخي للنمو الحضري الأبعاد الديمغرافية والإيكولوجية والاقتصادية والتنظيمية والسلوكية العملية.

لقد كان علماء الإيكولوجيا المعاصرين على حق عندما استخدموا ما أسموه بالمركب الإيكولوجي Ecological complex لتفسير أنماط التحضر المختلفة، حيث تضمن هذا المركب في نظر أصحابه "أوتيس دنكان و L.Schnore الاعتماد على متغيرات" السكان "البيئة" التكنولوجية "و" التنظيم" في تفسير عملية التحضر عبر التاريخ وتحديد عواملها وعملياتها المختلفة¹.

4- مراحل النمو الحضري للمدن الجزائرية:

كان لكل فترة زمنية دور معين في النمو الحضري للمدن الجزائرية الحديثة، يتناسب مع طبيعة الوضع الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي السائد فيها، و انطلاقا من خصائص كل فترة يمكن تحديد مراحل النمو الحضري للمدن الجزائرية ، و خاصة منها المدن الكبيرة مثل مدينة الجزائر، و ذلك كما يلي:

4-1 النمو الحضري للمركز:

و يصادف الفترة الأولى من الاستقلال إلى أواسط السبعينيات، و ذلك لان مراكز المدن عرفت شغورا عقاريا و بشريا كبيرا بعد رحيل الأوروبيين عام (1962م) ، فكانت الهجرة تستقر في المركز، و نظرا للهجرة الجماعية و طبيعة التركيبة الأسرية و درجة النمو الديمغرافي الطبيعي، و غيرها من الخصائص الاجتماعية للأسرة الجزائرية فان هذه المراكز عرفت تشبعا سكانيا سريعا.

4-2 النمو الحضري للضواحي:

و يصادف هذا النمو فترة السبعينيات و الثمانينيات، وذلك بعد تشبع مراكز المدن فاننتقل النمو إلى الضواحي و هي عبارة عن تلك النويات الحضرية التي تحيط بالمدينة و التي كانت عبارة عن مراكز حضرية صغيرة أو شبه قرى زراعية يقيم فيها الأوروبيون المالكون و الفلاحون الجزائريون، وتتمتع بعدة مرافق خدماتية من أهمها: مقر البلدية، المدرسة، الكنيسة، البريد.

4-3 النمو الحضري للأطراف:

و يصادف فترة الثمانينيات و التسعينيات، و ذلك عندما تشبعت بنايات و مساكن ، الضواحي، فظهر النمو الحضري في المزارع الخاصة و تحولها تدريجيا لى مراكز حضرية صغيرة، ملتحمة مع مدن الضواحي، و هذا خاصة عندما اشتد الطلب على الأرض واشتدت أزمة السكن نتيجة للتراكم السكاني الحضري الذي عرفته المدن في الفترة الأولى من الاستقلال و بداية التصنيع، وذلك خاصة بالنسبة للمدن الصناعية مثل مدينة الجزائر العاصمة.

¹ السيد عبد العاطي السيد: علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري، الجزء الأول، دار المعرفة الجامعية، 2003، ص 105-112.

مع ملاحظة أن هذا النمو الحضري للضواحي و الأطراف، بالنسبة لمدينة الجزائر، قد تم بصفة مخططة من طرف الدولة من خلال التخطيط للسكن الجماعي و توزيع الأراضي على المواطنين لإقامة المساكن الفردية، كما تم بصفة غير مخططة من طرف المواطنين الذين تملكوا الأرض من أجل البناء و السكن. و مما يلاحظ أيضا أن في بداية الأمر كان يوجد فصل واضح بين النمطين العمرانيين لكن مع النمو المتزايد تداخل العمران المخطط مع العمران الغير المخطط.

من الملاحظات التي يجب تسجيلها في نهاية هذا الفصل هو أن التحضر الذي عرفته الجزائر عبر فترات التاريخ الحديثة البارزة ، لم يكن تحضرا طبيعيا و لم يحدث بالتدريج، و إنما كان يتم دوما على دفعات و في ظل ظروف صعبة....ولقد انعكس هذا الأسلوب في التحضر بصفة مباشرة على البناء الاجتماعي الحضري كما انعكس على البناء الايكولوجي للمدينة، وذلك بسبب عدم قدرة المدينة على استيعاب سكانها و عدم مواكبة تطور الأنظمة الحضرية المختلفة للتطور الحضري السريع، الذي يتجلى في عدم التحكم في تسيير المجال الحضري و تسيير المدينة عامة و التفاوت الخطير بين الديناميات الاجتماعية الحضرية من ناحية و الديناميات الاقتصادية و التشريع الحضريين و جميع المؤسسات الحضرية الأخرى من ناحية ثانية،و كان من نتائج ذلك على مستوى البناء الاجتماعي التمسك بالبناءات الاجتماعية الأولية و استمرار الأنماط الأولية للتضامن الاجتماعي في الوسط الحضري و اختراقها للمؤسسات البيروقراطية الحديثة¹.

5- عوامل النمو الحضري:

سنتطرق في هذا المبحث إلى بعض العوامل المؤثرة في عملية التحضر والنمو الحضري، عند بعض مفكري علم الاجتماع و سنقتصر على ذكر أهمها بصفة موجزة.

5-1 عامل الصناعة:

تميز العصر الحديث بزيادة عدد المدن الصناعية في العالم و نموها ووصول كثيرا منه المدن إلى مرتبة "المدينة" الميتروبولتانية ثم المدينة العظمى و نظرا لارتباط النمو الحضري بحركة التصنيع و نتيجة لما تحدثه من آثار و عدم الأنساق الايكولوجية للمدن فان هذه الأخيرة أدت إلى ظهور ما يسمى بالأحياء الغير المنظمة.²

¹ د. محمد بومخلوف: التوطن الصناعي و قضايا المعاصرة، التحضر، شركة دار الأمة، الطبعة الأولى، 2001، ص 137-139.

² عبد الباسط محسن: علم النفس الصناعي، مكتبة غريب، دار النشر القاهرة، 1989، ص 32.

5-2 عامل الهجرة:

لقد لعب عامل الهجرة دورا كبيرا في نمو مدينة الجزائر و تحضرها، حيث أدت الهجرة المتتالية و المتتالية إلى إحداث خلل في توازن توزيع السكان ما أدى إلى تضخم حضري مدهش في المدن، " إن ظاهرة الهجرة من المناطق الريفية إلى المدن أدت دورا مهما في عملية التحضر التي تعرضت لها مدن العالم و برز تأثير هذا العامل بشكل شديد في كثير من المدن التي تعرضت لتدفق المهاجرين إليها".¹

5-3 العامل التكنولوجي:

و يعد هذا العامل المسؤول على النمو الحديث للمدن و عن تحضر كثير من المناطق في كثير من بلاد العالم، كون أن لاختراع الوسائل الفنية القادرة و استخدام الطاقة أثر مباشر على نمو الإنتاج الكبير وقيام نظام المصنع الحديث الذي استطاع جذب أعداد كبيرة من الناس.²

خلاصة الفصل

تناولنا في هذا الفصل مدخل سوسيولوجي حول مفهوم المدينة و ناقشنا التعاريف المختلفة المقدمة من قبل علماء الاجتماع أمثال "شومبار دو لو" و "بيار بور ديو" و روبرت ازرابارك" و Y.Grafmeyer و "H. Lefebvre" حيث تعتبر المدينة في شكلها الأساسي أنها تقسيم اداري للأراضي لها خصائصها التي تميزها عن الريف.

كما أن "ماركس او إ.دوركهايم او م.فيبر او حتى ج.زيمل" كل هؤلاء الرواد في علم الاجتماع رأوا في المدينة الكبيرة مكان الحداثة، بالنسبة لماركس المدينة هي الفضاء حيث يمكن للنضالات الاجتماعية أن تؤدي إلى تحرير أكثر الناس حرما ، يساعد على تحرير "سذاجة الحياة الريفية"³ كل هذه النقاط و التعاريف قد أشرنا إليها في الجانب النظري أعلاه و بصفة معمقة).

ثم ناقشنا مفهوم المدينة بين النظريات التقليدية و المعاصرة حيث " تتأرجح الدراسات بين المقاربات التي تجعل المدينة العامل الهيكلي للممارسات الاجتماعية و هكذا تسجل في نفس النوع الاقتراب الذي طوره Chombart de Lauwe في فرنسا وجزء كبير من مؤلفي مدرسة شيكاغو) أو المنتج المباشر للنشاط الاقتصادي والاجتماعي .. النوع الأول من الاقتراب ، الذي يطلق عليه أيضا علم الايكولوجية

¹ عبد القادر الفصير: الهجرة من الريف إلى المدن، دراسة ميدانية اجتماعية عن الهجرة من الريف إلى المدن في المغرب، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1992، ص133.

² محمد عاطف غيث: علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص135.

³ Stébé Jean-Marc :idem, pp21-43.

الحضرية أو الاقتراب البيئي ، في حين توضيحها ، يؤكد على أولوية المحيط و الإقليم والمجال المبني على البنية الاجتماعية و من هذا المنظور ، ترتبط المشاكل الاجتماعية في المقام الأول بالمحيط (المحيط المبني ، والمعدات ، وما إلى ذلك) وظروف السكن ، المعقد بسبب التمييز الاجتماعي المجالي الذي يولد اختلالات بالنسبة للنوع الثاني من الاقتراب ، وهو نهج أولوية الممارسات الاجتماعية على الإطار المكاني ، فهو مسألة تحليل العمليات الإنتاجية للإطار الحضري ؛ المدينة هي نتيجة لتوازن القوى حيث تلعب الآليات الاقتصادية (أسواق الأراضي والعقارات) دورا مهيما في صناعة المدينة والتوزيع الاجتماعي-المكاني الناتج عنها. لكن هاتين النقطتين المتعارضتين والثرية تتلاقى معا في نقطة واحدة في طرح الإطار المكاني كخارجي.

ومع ذلك ، استنادا إلى أعمال "بييار بوردييو" من الممكن معالجة المدينة من زاوية أخرى ، وهي اقتراب بنائي يسمح بفهم في علاقة جدلية الممارسات الاجتماعية والإطار المجالي¹.

كما تم التطرق أيضا الى التصورات حول النمو الحضري في الجزائر و استعرضنا مراحل النمو الحضري للمدن الجزائرية و التي عرفت ثلاث مراحل و المتمثلة في النمو الحضري للمركز يليه النمو الحضري للضواحي و أخيرا النمو الحضري للأطراف، و لقد خصصنا جزء من البحث لهذا الموضوع كون الاحياء التي تم إقامة الدراسة حولها تقع في مركز المدينة العاصمة " قصبة الجزائر" و أثناء ترحيل السكان انتقلوا الى " الضواحي" برج الكيفان عين الله ...و منهم من رحلوا الى الأطراف او حتى خارج الولاية و هم السكان الذين مثلوا جزء من عينة بحثنا سكان القصبة المرحلون الى " النثية" .

أخيرا يمكن القول أن المدينة ليست فقط مجال جغرافي اداري و عمران مشيد لمنازل قريبة بعضها من بعض و انما هيكل مركب يجمع بين الجوانب المختلفة الثقافية و الاجتماعية و تلاحظ من خلال تفاعل الافراد مع محيطهم و احتكاكهم به، ما يجعل المدينة صورة لهوية سكانها و تجسيد لذاكرتهم الجماعية.

¹ Saïd Belguidoum :idem, pp.6.

الفصل الخامس

مدخل سوسيولوجي حول مفهوم الحي

- 1- الحي رؤية تكاملية بين التحليل الاجتماعي والتصميم المعماري
- 2- الحي كمجال اجتماعي بين الفردية والجماعية
- 3- علم الطوبونيميا: التعريف، الفروع و الأبعاد الأكاديمية
- 4 - أهمية التسمية في الحفاظ على الهوية
- 5- الهوية و المكان في سياق " القصبة العتيقة "

خلاصة الفصل

1-الحي رؤية تكاملية بين التحليل الاجتماعي والتصميم المعماري:

يعتبر علم الاجتماع الحضري فرع من علم الاجتماع و الذي يعني بدراسة الظواهر الاجتماعية في المجال الحضري أو البيئة الحضرية و ذلك من خلال تسليط الضوء و الاهتمام أكثر بدراسة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد و المجال المحيط بهم و كذا توزيع السكان و حركتهم في المجال الحضري و العوامل المؤثرة على التوزيع، بالإضافة للبحث في السياسات التي تؤثر على تنظيم المدينة.

بصفة عامة يمكن القول أن الدارس في علم الاجتماع الحضري باعتبارنا باحثين في هذا التخصص يهتم بدراسة توزيع السكان في المجال الحضري و ممارسات الأفراد داخل هذا المجال و سلوكياتهم و حراكهم و خاصة دراسة القرارات الحكومية و تأثيرها على التخطيط الحضري، و تأثير التغيرات و التحولات الحضرية (الثقافية و الاقتصادية) على طريقة عيش الأفراد و الهوية الاجتماعية.

و هذا يعتبر لب موضوع بحثنا حول الحي و التحركات المجالية بين الانتقال إلى الضاحية و الابتعاد عن المركز الحضري.

يعتبر الحي وحدة أساسية في التنظيم الحضري والإجتماعي فهو يجمع بين البعد الجغرافي و المكاني المتعلق بتخطيط الحي و بحدوده التي تحدده ككيان عمراني، والبعد الاجتماعي والثقافي المتمثل في التفاعلات و العلاقات الاجتماعية التي ينسجها الفرد في حيه بالإضافة الى العادات و التقاليد و القيم التي يمارسها بهذا المجال الصغير (الحي)، ففي الحي تظهر التفاعلات اليومية من خلال الاحتكاك و العلاقات التي ينسجها الأفراد بعضهم ببعض حيث يوفر الحي لسكانه بيئة للتواصل الاجتماعي و القرب المجالي. إن تعريفات الحي تنوعت بين علماء الاجتماع والمهندسين المعماريين فمنهم من ركز على دوره كوحدة اجتماعية مهمة يساهم في تقوية الروابط بين السكان ومنهم من يعتبرها فضاء ذا تصميم عمراني مهيكّل يحمل طابع وظيفي، و من خلال هذا التنوع يمكن للحي أن يجمع في جوهره بين الهوية و الذاكرة الجماعية ليشكل جزءا أساسيا من النسيج الحضري للمدينة.

يشير كل من Wellman و Leighton إلى أن الحي ليس مجتمعا بالمعنى التقليدي بل ينظر إليه كوحدة تحليلية لدراسة العلاقات الفردية و يقول "آشر Ascher " أنّ الحي من خلال قربه الجغرافي بين السكان قد لا يمثل دائما مساحة ذات أهمية في تكوين الروابط الاجتماعية كما كان معروفا في الماضي حيث أصبحت هذه الروابط أقل ارتباطا بالمكان وأكثر انتشارا عبر الشبكات الاجتماعية.

و في نظرنا يعود هذا التغيير إلى التحولات التي طرأت على المجتمعات من ضمنها:

أولاً : الحراك المجالي و تغير نمط الحياة حيث انتقال الأفراد من أحياء إلى أخرى أدى إلى تراجع اعتماد الأفراد على الأحياء كعنصر أساسي لبناء العلاقات الاجتماعية.

ثانياً: تغير مفهوم الحي عند الأفراد ما أدى إلى تراجع الترابط التقليدي و الوحدة الاجتماعية، فبتدخل بعض العوامل كالترحيل الاجباري مثلاً الذي اتخذته الدولة أدى إلى انخفاض التفاعل بين الأفراد (الجيران) بسبب عدم اتخاذ استراتيجيات تخدم الفرد قبل كل شيء كما هو معمول به في بعض الدول حيث في مشروع جديد لإنشاء منزل حي جديد "منزل للجميع" و التركيز على توفر خدمات عامة بداخله حيث يشارك السكان في هذا المشروع منذ بدايته كما يساهمون في البحث عن ممولين و يشاركون أيضاً في مناقشة التصاميم والمساحات و غيرها من التفاصيل فهذه المبادرة النموذجية تؤثر بشكل إيجابي على تجاوز حدود الحي.

ثالثاً: التكنولوجيا الحديثة و وسائل الاتصال المختلفة التي عوّضت العلاقات الملموسة و المعاشة حيث أصبح الأفراد يركزون على

بناء علاقات اجتماعية في العالم الافتراضي دون وجود لاحتكاك و تفاعل يومي أي الاحتفاظ على التواصل دون التفاعل و الاحتكاك اليومي.

هنا "آشر" يحاول الإشارة إلى أن الحي لم يعد شرط ضروري لتشكيل الروابط الاجتماعية فالأفراد يمكنهم بناء علاقات تستند إلى المصالح المشتركة أو القيم بغض النظر عن المكان، أي أنها لم تعد هاته العلاقات الاجتماعية محصورة في إطار الحي الجغرافي.

و من جهة أخرى قدّم المهندس المعماري والمنظر الحضري "Aldo Rossi" تعريفاً للحي بأنه وحدة مورفولوجية مهيكلّة تتميز بمنظر حضري موحد، ومحتوى اجتماعي ووظيفة محددة، هذه العناصر الثالث هي التي تكون حدود الحي. من الناحية المورفولوجية والهيكلية الداخلية يتكون الحي من مجموعة من الكتل العمرانية (Les îlots) محاطة بشوارع، كما يركز على مجموعة من النقاط الأساسية وهي: مفترق الطرقات، الساحات العمومية التي تلعب دوراً هاماً من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والتي تشكل معالم ونقاطاً للالتقاء في الحي.

فمن خلال التعريف المقدم من قبل "الدو روسي" فالحي عبارة عن كيان متكامل و متناسق حيث يجمع بين عناصر مهمة و هي الهيكل العمراني و الوظيفة الاجتماعية للحي والهوية المكانية و في تنظيمه الداخلي فهو يركز على الفضاءات المختلفة كالشوارع و الكتل العمرانية و وجود مساحات و فضاءات

للاتقاءات تعمل على دعم الدور الجوهري للحي و المتمثل في تشجيع التفاعلات و التواصل بين الأفراد (الجيران) قصد بناء مجتمع مترابط.

2- الحي كمجال اجتماعي بين الفردية والجماعية:

الحي هو ذلك الفضاء الاجتماعي المتميز و الذي يجمع بين الفردية والجماعية المتمثل في روح التعاون بين الأفراد في المجموعة فمن مميزات الحي تلك التفاعلات اليومية التي تزيد من حدة الترابط و التلاحم بين أفراد و تشكل هويتهم الجماعية التي تميزهم عن غيرهم فلقد أشار الكثير من علماء الاجتماع التقليديين و المعاصرين منهم إلى أهمية العلاقات الاجتماعية في تشكيل الهوية الجماعية لحايلها، حيث يشير ويلمان Wellman و لايتون Leighton الى أن العلاقات الاجتماعية لا تعتمد دائما على الموقع الجغرافي للحي بل تتجاوز ذلك إلى شبكات شخصية تتداخل مع الهوية الجماعية، و هذا يعني أن العلاقات الاجتماعية لا ترتبط دائما بالموقع الجغرافي للحي و لكن تمتد لأكثر من ذلك لتشمل حتى العلاقات الشخصية خارج حدود ذلك الحي.

فمثلا سكان القصبة بعد ترحيلهم و انتقالهم للأحياء الجديدة بقوا محافظين على علاقاتهم الاجتماعية القديمة و التي هي خارج حدود حيهم الجديد فعلى الرغم من البعد الجغرافي إلا أن العلاقات بقيت قائمة، فتمسك مجموعة السكان المرحلين (سكان ميدان بحثنا) بشبكة العلاقات الاجتماعية مع أصدقائهم و جيرانهم بالأحياء القديمة (القصبة العتيقة) ساهم في تعزيز هويتهم الفردية و الجماعية.

و لكن يجدر بنا الإشارة هنا أيضا إلى أن العلاقات الحديثة و المتأثرة بالتكنولوجيا الحديثة لا تعتمد على القرب المجالي و الجغرافي كما هو معروف بالمجتمعات التقليدية مثل القصبة، حيث العلاقات هنا أكثر انتشار بين وسائل التواصل الحديثة و لكن رغم ذلك فهذه العلاقات تبقى مرتبطة بالهوية الجماعية، حيث نجد في ميدان بحثنا مجموعة السكان المرحلون من القصبة يعتمدون على الطرق المختلفة المذكورة في مضمون التحليل للتمسك

بالعلاقات الاجتماعية القديمة أولا التعامل خارج حدود الحي مع الجيران و الأصدقاء بالأحياء القديمة، ثانيا التعامل باستعمال التكنولوجيا الحديثة و وسائل الاتصال المختلفة لإعادة نسج العلاقات الاجتماعية و الحفاظ عليها من الاندثار و الزوال و ثالثا التعامل مع السكان المتواجدين بنفس الحي الجديد ضمن الحدود المتعارف عليها.

إن الحي يجمع بين الفردية و الجماعية فكيف ذلك؟ يمثل الحي فضاء إجتماعيا متناسقا فهو يجمع بين الفردية التي تتيح للفرد تحقيق خصوصيته و اتخاذ قراراته الشخصية و استقلاليته و الجماعية التي تسهم في تقوية التفاعل و التعاون بين الأفراد في هذا الحي، و يظهر ذلك من خلال الأبعاد الثلاثة و المتمثلة في البعد الفردي في الحي و البعد الجماعي وأخيرا التوازن بين البعدين الفردي و الجماعي، أولا البعد الفردي للحي حيث يظهر لنا الحي كمكان يوفر احتياجات الأفراد اليومية المختلفة كالخدمات الضرورية الاجتماعية و الاقتصادية و الأمنية و الصحية و التعليمية...الخ و هو فضاء بامتياز يسمح للفرد بتطوير هويته التي تميزه عن غيره و التي تعتبر الركيزة الأساسية لتواجده و استمراره.

البعد الجماعي للحي يظهر من خلال اعتباره ليس مكانا للعيش فقط بل مجالا هاما يساهم في بناء العلاقات الاجتماعية و يقوي الروابط بين الأفراد ف في المجتمع فلقد أشار "كلاين" إلى أهمية الحي في تقوية التماسك الاجتماعي، و أخيرا الحي يعمل على تحقيق التوازن بين رغبات و احتياجات الأفراد و بين اعتباره بيئة للعمل الجماعي و التضامن و لقد أشار "كاستيل" الى أن الحي يتكيف مع التغيرات الاجتماعية ليصبح إطار يجمع بين مصالح الفرد والجماعة.

إن هذا التداخل بين الفردية و الجماعية يجعل الحي يتعدى معناه المادي كونه مساحة مادية ذات حدود جغرافية تتخللها شوارع و مباني و لكن هو أكثر من ذلك اذ يشمل الأبعاد الاجتماعية و الثقافية التي ذكرناها سالفا و يعطي بذلك معنى أعمق لحياة السكان فيه، فهو يمثل مجال للتفاعل ات اليومية بين السكان و تترسخ العلاقات الجوارية و يدعم العيش المشترك كما انه يحمل هوية مميزة تعبر عن عادات و قيم السكان و تقاليدهم، فهو كما أشار "غيدنز " هو نقطة تلاق بين الزمن والمكان حيث يجمع بين الأفراد ليشكلوا هوية جماعية تعكس روح المدينة و المجتمع.

1.2 - الحي كفضاء للحركية و التكيف:

أصبحت المدينة مجالا أساسيا للدراسة في العلوم الاجتماعية ساهم التحول الأخير للصفة "حضري" إلى اسم مستقل ("الحضري") في جعل هذا المصطلح عنصرا محوريا للتفكير في المجتمعات المعاصرة التي أصبحت غالبيتها من سكان المدن. المدينة يمكن تعريفها على أنها تجمع للسكان، والأنشطة، والمباني، والبنى التحتية على مساحة صغيرة نسبيا. لكن هذا التعريف السريع يعاني من عيب وهو عدم تقديم أي حدود واضحة. ومع ذلك، غالبا ما يكون من الضروري تحديد مساحة معينة، و لو بشكل تقريبي، من اجل قياس الظواهر الحضرية ومقارنتها عبر الزمن أو بين المناطق والبلدان المختلفة.

المدينة هي أيضا إقليم معاش ومنظم ومهيأ، تسعى المؤسسات إلى تعريفه ودراسته بناء على تاريخها وتقاليدها السياسية. و نتيجة لذلك، تظهر تعدد في التعريفات القانونية من بلد إلى اخر، وحتى عبر الزمن داخل الدولة نفسها.

هذا الشكل من التنظيم المكاني والإقليمي معقد للغاية، حيث يختلف ترتيبه بشكل كبير حسب المجتمعات، والثقافات، والعصور. كما أنه يتطور بسرعة - حيث تشهد معظم المدن توسعا سريعا في بنيتها العمرانية، مما يجعل التمييز بين المدينة والريف معقدا وغامضا. لذلك، أصبح تحديد "الظاهرة الحضرية" بدلا من تعريف المدينة نفسها تحديا رئيسيا للجغرافيا الحضرية¹.

فالمدينة هي فضاء ديناميكي يتسم بالحياة والحركة المستمرة و يظهر ذلك من خلال قدرة الفرد على التفاعل مع محيطه والتنقل داخله و كذلك مشاركته في الحياة الحضرية، أما سكون الفرد و جموده يمكن أن يعبر عن انزاله عن المجتمع و انقطاعه عن التكيف و التعايش مع مجاله المباشر (الحي)، فهذه الحركية التي تعرفها بعض الأحياء نتيجة الترحيل الاجباري مثل الأحياء التي نحن بصدد دراستها (حي القصبة العتيقة) جعلت السكان المرحلون يعرفون في المرحلة الأولى من الانتقال نوع من الجمود و عدم الاحتكاك و الانطواء على الذات و لكن مع مرور الزمن و تقبل الأوضاع تمكن السكان المرحلون من الخروج من ذلك الانغلاق شيئا فشيئا و التفتح و لكن سطحيا فقط قصد التكيف مع الأحياء الجديدة و التعامل مع الضروريات و ما تقتضيه الحاجة.

ان الحركية في المدينة ليست مجرد حركة فيزيائية بل هي تفاعل مزدوج "اجتماعي وثقافي" يعكس مدى مشاركة الفرد أو الساكن في العلاقات الاجتماعية المحيطة به و حتى يتمكن الفرد (الساكن) من ذلك عليه التعامل مع أفراد جدد (الجيران) وخلق روابط للتواصل معهم في المجال الجديد، حيث ان التواصل الاجتماعي يفتح المجال لإلخراط الفرد في المجال الجديد و التكيف مع متغيراته.

يعرف التواصل بداية بـ "دوركايم" باعتباره تفاعل داخل شبكة تتقاسم فيها تصورات جماعية و يرى أيضا أن الحركية داخل المدينة تدعم التماسك الاجتماعي و ذلك من خلال التفاعل المستمر بين الفرد و المجتمع فهي بطريقة ما تسهم في تقسيم العمل و تنمي الروابط العضوية التي ترتكز على التعاون المتبادل بين الأفراد في المجتمع، أما "ببيار بوردييو" فهو يربط الحركية بالمكانة الاجتماعية للفرد داخل المدينة حيث يرى أن قدرة الشخص على التنقل و التفاعل تعكس رأس ماله الاجتماعي والثقافي.

¹ Humain-Lamoure, Anne-Lise. et al : **Chapitre 1. La ville, un objet complexe à appréhender**, Introduction à la géographie urbaine, Armand Colin, 2017. p.11-26. <https://shs.cairn.info/introduction-a-la-geographie-urbaine--9782200602420-page-11?lang=fr>.

2.2- الحي والهوية بين الانتماء والمكان

يعتبر الحي أصغر وحدة حياتية من النسيج الحضري فهو يربط بين المجال الجغرافي و الإنتماء الاجتماعي و يحوي الحي على مباني و مرافق هدفها تلبية كل مقومات الحياة الاجتماعية و الاقتصادية لساكنيها و هذا يجعلهم يشعرون بالانتماء اليه، و لكن قد تحدث بعض المستجدات على الساكن و يجد نفسه مضطرا للانتقال من حيه القديم إلى حي جديد لا يعزز هويته الحضرية و الجماعية و ذلك راجع للاختلاف الجذري بين ما هو جديد و ما هو قديم و ذلك من جميع الجوانب و أبرزها التصميم العمراني الذي لا يمد بصلة للمدينة العتيقة (القصبة) و السؤال الذي نطرحه هنا هو كيف يساهم الحي في تشكيل هوية الأفراد و هوية الجماعات؟ وما هي العلاقة بين الانتماء والمكان في هذا النطاق؟ سنحاول من خلال التحليل مناقشة هذا الطرح حيث سنتناول أولا الحي و دوره في بناء هوية الأفراد و الجماعات ثم ثانيا نتطرق الى العلاقة الموجودة بين الانتماء باعتباره عنصر مركزي للهوية و أثر المكان على الانتماء .

يلعب الحي دور بارز و محوري في بناء الهوية الفردية والجماعية للأفراد و الجماعات فهو يعكس ثقافة الأفراد (السكان) وعاداتهم و تقاليدهم ما يجعله جزء لا يتجزأ من الهوية الجماعية حيث يرى "بييار بوردييو" أن الحي يعكس رأس المال الاجتماعي و كذا الثقافي للأفراد المتواجدين فيه فهو يشكل شبكة من العلاقات الاجتماعية التي تدعم التضامن و التعاون بين الأفراد و ينقل القيم و الموروث الحضري الذي يجسد هوية المجتمع كما يعتبر الحي أيضا مستودعا للذاكرة الجماعية للأفراد و يتجلى ذلك من خلال بعض الأماكن ذات رموز و التي تلعب دور مهم في ترسيخ هاته الذاكرة كالاسواق التقليدية و الأزقة الضيقة و المساجد و الدويرات هذا بالنسبة لسكان القصبة القديما والذين يمثلون موضوع بحثنا، و الذين تمسكوا بكل ما يجمعهم بالأحياء القديمة (القصبة العتيقة) و رفضوا التخلي عن هويتهم الجماعية رغم انتقالهم الى الأحياء الجديدة سواء بالضاحية "برج الكيفاء" أو خارج ولاية الجزائر " الثنية" فهذا التماسك يظهر لنا أن الحي يعتبر جزء لا يتجزأ من هوية الأفراد و الجماعات

أما " اميل دوركايم " فيرى أن الحي يعتبر مكان مثالي للتماسك و التواصل الاجتماعي و لكن الديناميكية الحضرية المعاصرة بما فيها التنقل المستمر قد تؤثر على هذا التماسك وتضعف الارتباط بالمكانبالاضافة إلى أن الحي يعتبر فضاء ديناميكي ينمي و يدعم التعاون و الحركية الاجتماعية التي تمكن الأفراد من التطور و التكيف داخل المجتمع، و لكن مع الامتداد العمراني و النمو الحضري و ما يصاحبهما من تغير نمط الحياة تواجه بعض الأحياء تحديات في الحفاظ على هويتها و لكن و مع ذلك يبقى الحي كعنصر مركزي للترابط و الانتماء و الهوية داخل المدينة.

3- علم الطوبونيميا: التعريف، الفروع و الأبعاد الأكاديمية:

" علم الطوبونيميا، هو علم دراسة أسماء الأماكن، يستند إلى البحث في أصولها اللغوية، معانيها، وتطورها عبر العصور. هذا الفرع من علم الأسماء يتيح دراسة أسماء الأماكن المأهولة (المدن، القرى، التجمعات الصغيرة والأحياء النائية)، والتي سأسميتها الطوبونيميايات الكبرى، وأسماء الأماكن المرتبطة بالتضاريس، المروج، شبكات الطرق (الطرق، الشوارع، إلخ)، والأراضي الزراعية، والتي سأسميتها الطوبونيميايات الصغرى، وفقا لتقليد راسخ.

من بين وظائفها، تعتبر أسماء الأماكن ناقلات للتواصل عبر الأجيال. ولكن، ماذا تنقل هذه الأسماء؟¹ في مقال بعنوان "الأونومستيك والتراث غير المادي في الجزائر" للباحثة "وردية يرمش"² تناولت موضوع أهمية علم الأسماء " الأونومستيك" Onomastique " كجزء من التراث الثقافي غير المادي في الجزائر حيث أشارت إلى أن هذا العلم رغم كونه مجالا ناشئا في المنطقة يعد وسيلة فعالة لفهم الهوية الثقافية والتاريخية للمجتمع الجزائري كما أوضحت في مقالها أن الأسماء العلم سواء كانت أسماء أماكن "الطوبونيميا " أو أسماء أشخاص " الأنثروبونيميا" تعكس تراكمت حضارية عبر التاريخ كما تساهم في حفظ و ترسيخ الذاكرة الجماعية و تقوية الهوية الوطنية.

كما أشارت إلى اعتبار أسماء العلم للأشخاص و الأماكن جزءا أساسيا من التراث غير المادي والذاكرة الإنسانية و ذلك على المستوى العالمي و يشمل علم "الأونومستيك " و الذي ينقسم إلى جزئين أساسيين هما : الطوبونيميا (و هي دراسة أسماء الأماكن) والأنثروبونيميا (و تعني دراسة أسماء الأشخاص) مجالا جديدا في دول المغرب العربي عامة والجزائر خاصة فهذه التناولات و الدراسات ذات علاقة بالأسماء لا تزال في مراحلها الأولى.

فيما يخص الجزائر فلقد برز الاهتمام بهذا المجال منذ حوالي 25 عاما و ذلك بفضل جهود مجموعة من الأساتذة الباحثين في مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (CRASC) بوهران الذين

¹ Le Squère, R : **Analyse des perceptions, usages et fonctions des toponymes actuels des territoires ruraux et urbains de Bretagne.** Cahiers de sociolinguistique, n° 11(1), 2006, 81-99.

<https://doi.org/10.3917/csl.0601.0081>

² Ouadia YERMECHE : **Onomastique et patrimoine immatériel en Algérie**, Les Cahiers du CRASC , 2018. (بالتصرف)

أسهموا في تأسيس هذا المجال ودعمه حيث أصبح هذا العلم "علم الأونومستيك" يلقي اهتماما متزايد ضمن الأوساط الأكاديمية و البحثية.

1.3 - مفهوم الأونومستيك Onomastique :

يعود أصل مصطلح "الأونومستيك" إلى الكلمة اليونانية onomastikos التي تعني "المتعلق بإعطاء الأسماء" و المشتقة من من الكلمة onomasia و التي تشير إلى " عملية التسمية " وترتبط الكلمتان بالجذر اليوناني القديم onoma و الذي يعني بكل بساطة " اسم " إن علم الأونومستيك يهتم بدراسة الأسماء العلم بجميع أشكالها مركزا على أصولها اللغوية (الإيتيمولوجيا) و طريقة تكوينها و كذا استخداماتها في مختلف اللغات والمجتمعات و أيضا يسعى هذا العلم الى إستكشاف معاني الأسماء تاريخها و تطورها و تأثيرها على الثقافات والمجتمعات البشرية، و لقد أشارت الباحثة "وردية يرمش" في عملها هذا الى فروع الطوبونيميا و سنذكرها حيننا بالتصرف .

2.3 - فروع للطوبونيميا :

- الماكروطوبونيميا :تشمل
- الأورونيميا :أسماء التضاريس (من الإغريقية oros و تعني "جبل ")
- الهيدرونيميا :أسماء المسطحات المائية (من الإغريقية hydro و تعني "ماء ")
- الأودونيميا :أسماء طرق المرور (من الإغريقية hodos و تعني "شارع ")
- الميكروطوبونيميا : تشمل أسماء الحقول، قطع الأراضي و الاماكن الصغيرة الأخرى.

يعتبر الإسم وسيلة أساسية للتحديد المكاني والزمني وتنظيم المجتمع حيث تستخدم تسمية الأشخاص والأماكن في جميع الأزمنة والمجتمعات باختلافها و تنوعها حيث يلعب الاسم دورا بارزا و مهما في تصنيف الأفراد وتمييزهم داخل النظام الرمزي والاجتماعي (أي تعبر عن الرموز والمعاني التي يحملها المجتمع) مما يساعد على تحديد هوية الأفراد و تموقعهم داخل المجتمع ، و ما نحن بصدد مناقشته على أساس ما ذكرته الباحثة " وردية يرمش" فهذا ينطبق هذا على حالة " أحياء القصبة " حيث يعكس اعادة احياء هذا الاسم " القصبة " في المنطقة الجديدة ارادة السكان و رغبتهم في الحفاظ على هويتهم التي تميزهم و أيضا توطيد و تعميق ارتباطهم بالحي القديم و الأصلي و هذا سيساهم في زيادة الشعور بالانتماء للقصبة واستمرارية الذاكرة الجماعية عبر مرور الزمن.

4- أهمية التسمية في الحفاظ على الهوية

الطوبونيميا تهتم بدراسة أسماء الأماكن و المناطق الجغرافية في أي موقع من العالم فهي ليست مجرد علم لغوي أو تاريخي بل هي أداة لفهم التاريخ و الهوية و كذا دراسة الروابط العميقة بين الأشخاص بالمكان ، فأسماء الأماكن تجسد قيمهم ومعتقداتهم، ففي موضوع بحثنا حول انتقال السكان من القسبة العتيقة الى الأحياء الجديدة " برج الكيفان و الثنية " و إعادة تسمية هذه الأحياء بـ " القسبة" فاطلاق هذه التسمية القديمة ذات الأبعاد الرمزية تعتبر طريقة يعبر من خلالها السكان القدماء على قوة تمسكهم بتاريخهم و ذاكرتهم و هويتهم في ظل فقدانهم لمكتهم الأصلي فالطوبونيميا لا تقتصر فقط على اعطاء وصف جغرافي للأماكن و أسمائها بل هي اكثر من ذلك اذ تشمل دراسة الأبعاد الثقافية و كذا التاريخية ذات صلة بهاته الاسماء، فيما يخص الابعاد الثقافية فالأسماء تعبر عن ثقافة السكان و تقاليدهم و قيمهم و هي تمثل صورة واضحة تعبر عن هويتهم، أما البعد التاريخي فبالأسماء تحافظ على ذاكرة تاريخية قوية لكل صغيرة و كبيرة مرت بها المنطقة و حدثت بذلك المكان.

أسماء العلم للأماكن ليست مجرد وسيلة لتحديد المواقع بل تجمع بين ملكية المكان وتعريفه مما يجعلها تعبر عن الهوية الثقافية والتاريخية لسكانها فتسمية الأماكن تمنح للمكان هوية تستمر عبر الزمن و تجعل هذا الفضاء موجود و معاش حقيقة و له ثقل هوياتي بين السكان ،حيث نجد أن بعض الأسماء تتحول إلى رمز يعبر عن تجربة جماعية مرتبطة به فمثلا " القسبة " بالنسبة لسكانها الأصليين قد لا يكون مجرد اسم لمنطقة أو أحياء بل هو يعبر عن تاريخهم، قيمهم، ذكرياتهم، وهويتهم الثقافية، فالأسماء تربط بين الماضي و الحاضر و تمهد الطريق للمستقبل.

➤ التسمية و الهوية المكانية

مسألة الهوية المكانية هي مسألة معقدة. فهي تقتض مسبقا حسم مسألة هوية الأفراد ومرجعهم الجغرافي أو المراجع الجغرافية المرتبطة بها. غالبا ما تطرح المسألة في سياق مكان واحد فقط يعتبر مرجعا لتجذر الأفراد (...) و هي غالبا ما ترتبط هذه المسألة بمنظور التمثيلات فقط (...) ومع ذلك، مشكلتان تسهمان في الطعن بهذه الأطروحة: أولا، تؤدي زيادة التنقل الجغرافي في المجتمعات الإنسانية

الأكثر تطورا وتحضرا إلى التشكيك في فكرة وجود مكان واحد فقط يمثل هوية الأشخاص. ثانيًا، من خلال ممارسات الأماكن تُنشأ الهويات المكانية ، وليس فقط من خلال التمثيلات الذهنية لها¹.

كما تناول أيضا "ماتي ستوك" Mathis Stock ضمن مقاله عنوانا حول " الهوية المكانية: عناصر لتعريف جغرافي"

حيث ذكر أن الهوية المكانية هي مفهوم يعبر عن العلاقة المتبادلة بين الإنسان والمكان و يثير الباحث سؤال "هل الهوية تشكل الأماكن أم أن الأماكن تشكل الهوية ؟ " و لقد أثار هذا التساؤل أثار اهتمام الجغرافيين و الدراسات الجغرافية، و في هذا السياق يوجد تياران رئيسيان:

- الأول يرى أن الأماكن ككيانات خارجية مستقلة تؤثر في تشكيل الرموز الانسانية و الهويات
- الثاني يؤكد على ان البشر هم من يصنعون الأماكن من خلال التفاعلات دون " أثر للمكان " .

تُبرز الهوية المكانية بعدين رئيسيين للمصطلح هما:

- هوية المكان « Identity of place » و التي تشير إلى الخصائص التي تميز المكان.
- هوية مرتبطة بالمكان « Identity with place » تعكس ارتباط الأفراد وتأثير المكان على تشكيل هويتهم.

لقد أشار الجغرافي "إدوارد ريلف" إلى أهمية البعدين المذكورين أعلاه حيث أكد ان الهوية المكانية تتأرجح بين الخصوصية الذاتية للمكان والارتباط الاجتماعي به و هذا المفهوم يعكس ديناميكية العلاقة بين الإنسان والمكان ومدى تأثيرها على تشكيل الرموز والهويات الثقافية للأفراد.

الهوية المكانية تعبر عن الخصائص المميزة التي تجعل مكانا ما فريدا مقارنة بالأماكن الجغرافية الأخرى و لقد اشار "ميشيل لوسو" Michel Lussault " الى أن الهوية المكانية تعتمد على منطق الفصل ، التصنيف والتمييز بين الأماكن ذات معان و ذلك من خلال علامات محددة تمنحها تقردا داخل مجموعة الأماكن الأخرى فهذه الهوية يبنها مختلف الافراد الفاعلين فيما بينهم في مجتمع معين فهذه "الهوية المكانية" ليست جاهزة أو موروثة، " للهوية المكانية " خصائص ثلاثة رئيسية و هي كما وضّحها الكاتب:

سمات الموقع : و التي تشمل الموقع الجغرافي وحدود المكان

¹ Mathis Stock : **Construire l'identité par la pratique des lieux**. De Biase A. & Alessandro Cr. " Chez nous ". Territoires et identités dans les mondes contemporains, Editions de la Villette, pp.142-159, 2006. fffhalshs-00716568f

سمات التكوين: التي تعكس التنظيم المادي للمكان

سمات الجوهر و القيم: التي تشير إلى الابعاد الفكرية والثقافية للمكان¹.

ففي سياق بحثنا حي " القصة العتيق " يمكننا هنا ربط هذه المفاهيم التي ذكرها الكاتب بالطابع المتميز الذي يحمله اسم " القصة " و الذي يعبر عن هوية منغرسه و متجذرة في أعماق تاريخ وثقافة سكانه ، لإعادة بناء هوية "القصة " من خلال الاسم و العلامات المميزة للمكان يعد مثالا حيا على كيفية تكوين و بناء الهوية المكانية عبر الزمن ، بالإضافة الى ذلك نجد الخصائص الثلاث التي تناولها الكاتب حول " الهوية المكانية " في " القصة " حيث ان سمات الموقع تظهر في تاريخه وموقعه الجغرافي و حدوده أما سمات التكوين فتتمثل في التنظيم المادي للمكان و أخيرا سمات الجوهر و القيم و التي تعكس القيم الثقافية والاجتماعية لسكان القصة القدماء فكل هاته السمات تبرز تفرد هذا الحي وتجعله رمزا للانتماء والذاكرة الجماعية للسكان الذين انتقلوا إلى الأماكن (الأحياء) الجديدة.

5- الهوية و المكان في سياق " القصة العتيقة ":

تعتبر الهوية و المكان من المفاهيم الاساسية في العلوم الاجتماعية و يتناولها جميع الباحثين من جميع التخصصات لكن علم الاجتماع الحضري يسلط الضوء بعمق على العلاقة بين المفهومين اكثر من غيره من فروع علم الاجتماع و ذلك لتعمقه و تركيزه على التفاعلات الاجتماعية و الاحتكاكات اليومية التي تتجسد ضمن النسيج الحضري.

لفهم الهوية كما ذكرنا في محاور سابقة يستوجب التعمق في دراسة العلاقات الاجتماعية و التفاعلات التي تجعل الافراد يرتبطون بمجالهم المباشر و الغير المباشر، حيث أن المكان لا يعتبر منفصل عن الافراد بل يساهم بطريقة مباشرة في صياغة الشعور بالانتماء و اللانتماء.

يتشابه وجود الفرد والجماعة مع المكان الذي يحتضنهم حيث أن الهوية ليست منعزلة بل تتطور من خلال التفاعلات الاجتماعية و كذا المكانية فالفضاء يساهم في تشكل الهويات الفردية و الجماعية.

لقد تناول Guy Di Méo في مقال كتبه بعنوان " علاقة الهوية/ الفضاء . عناصر مفاهيمية وإبستمولوجية" العلاقة المعقدة والمتشابكة بين مفهومي "الهوية والفضاء" من منظور مفاهيمي و أيضا إبستمولوجي حيث يحاول الكاتب " جي دي ميو " اظهار كيفية تفاعل الهوية الفردية و الجماعية مع

¹ Mathis Stock. Construire l'identité par la pratique des lieux. Idem. بالتصرف

الأبعاد المادية و الرمزية للفضاء و يستكشف أيضا الكاتب "دي ميو" كيف يشكل المكان الهويات و كيف تعكس الهويات تصوراتنا و تفاعلاتنا مع الفضاء المحيط بنا،

ان هذا التحليل الذي قدمه من خلال مقاله هذا يهدف إلى تقديم إطار نظري واضح يمكن من خلاله فهم الديناميكيات العميقة التي تربط بين "من نحن" و "المكان" الذي ننتمي إليه أو نتفاعل معه، و سنستعرض هنا في هذا الجانب اهم النقاط التي تطرق اليها في مقاله هذا .

لقد تناول "دي ميو" في جزء من مقاله مفهوم الهوية في سياق البحث في العلوم الاجتماعية حيث اكد على أنها ليست ثابتة بل تتشكل باستمرار من خلال التفاعلات اليومية (الديناميكية) بين الأفراد و الجماعات في علاقاتهم الاجتماعية و كذلك المكانية فهو يرى أن الهوية تتأثر بجميع أشكال التفاعل كالثقافة و الذاكرة و تعتبر عملية بناء جماعية و مستمرة رغم أنها تتأثر في غالب الوقت بالسياسة والإيديولوجيا.

كما يشير أيضا إلى أن الهوية لا تقتصر على كونها مجرد تقبل سلبي للتأثيرات الخارجية المحيطة بنا بل هي عملية تفاعلية حيث يمتلك الأفراد دورا نشطا في التعبير عن هويتهم و نشرها للآخرين كما يؤكد أيضا على أهمية ادراك الفرد لأوجه التشابه و الاختلاف التي تجمعهم بالآخرين و التي تميزه عنهم سواء كان الافراد يتقاسمون معه نفس المكان أو ينتمون إلى أزمنة مختلفة فهذا الوعي المتبادل هو ما يسمح بوجود حوار حقيقي و يعمل على فهم أعمق للذات و للغير .

و في ختام الفكرة يؤكد الباحث على الوظيفة الأساسية للهوية في بناء شعور الفرد بالانتماء الى المجموعات التي يعد جزءا منها و هذا الشعور ينشأ من الاشتراك في قيم و معتقدات و عادات تجمعهم و التي تؤدي الى تقوية الصلة و الروابط بين الأفراد و الجماعات و يجعلهم اكثر قوة و تماسك ، هنا يمكن القول ان الهوية تجمع الأفراد حول أسس مشتركة ما يخلق مجتمعات أكثر ترابطا و تماسكا.

يتجلى دور الهوية بوضوح في "القصبة العتيقة" و ذلك من خلال إحساس سكانها بالانتماء القوي كونهم يتشاركون في نفس القيم التاريخية الموروثة و الثقافة الشعبية الغنية و المتجذرة، فهذه الهوية الجماعية و التي تشكلت بين الافراد عبر الأجيال من خلال تفاعلهم مع المكان و كل ما يحويه من تراث و موروث ترسخ بفضل احساسهم بالوحدة و جعلتهم مجتمعا متماسكا رغم كل أشكال التحديات المعاصرة.

لقد تناول الباحث من خلال مقاله هذا العلاقة العميقة بين هويتنا و المكان الذي نعيش فيه و الذي يعتبر جوهر موضوعنا في أطروحتنا حيث أن الهوية ليست شيئا ثابتا و انما تتطور باستمرار مع الزمن و ذلك من خلال تفاعلاتنا مع الأفراد الآخرين و الأماكن المحيطة بنا مع كل ركن و زاوية و حي و...

حتى أننا عندما نتحرك و ننتقل من مجال الى اخر مثلما الحال بالنسبة للسكان المرحلين من القسبة الى الاحياء الاخرى نظل مرتبطين بالمكان الذي يشكل جزء أساسي من هويتنا.

لقد أظهرت الدراسات (و ذلك من خلال ما أشار اليه " جي دي ميو ") أن مفاهيم مثل "فضاء المعيشة" (أماكن تنقلاتنا اليومية) و "الفضاء المعيش" (الأماكن التي نمارس فيها حياتنا وتخيالاتنا) و "الإقليمية" (تجربتنا الشاملة للمكان) مهمة جدا في بناء هويتنا و علاقاتنا الاجتماعية و المكانية فالجسد هو الأساس لهويتنا لكنه لا ينفصل عن تفاعلاتنا الاجتماعية و المكانية.

في الواقع يعتبر الجسد نفسه نوع من الفضاء و يتحدد بموقعه وحركته كما أن المكان يؤثر على سلوكنا وشعورنا بالراحة أو عدمها فهذه الأماكن التي نعيش فيها تصبح جزءا لا يتجزأ منا و تؤثر في هويتنا و هي تحمل معاني اجتماعية و رموز مرتبطة بالمكانة الاجتماعية و الذاكرة الجماعية.

تظهر الدراسات أن المكان يحمل "لغة" تعكس الذاكرة الجماعية وتساهم في تشكيل الهوية فنحن لما نختبر أماكن مختلفة جديدة فان جسدنا و ذاتنا يتأقلم مع الرموز و المعاني المكانية و تجعل الفرد يدرك المعاني المرتبطة بذلك المكان كالتاريخ، الثقافة، و كذا القيم التي يحملها ذلك المكان مما يجعلها جزءا طبيعيا من هويتنا، ان تحديد هويتنا يتطلب فهم علاقاتنا بالمكان فذلك يساعدنا في فهم أنفسنا وعلاقاتنا بما يحيط بنا.

لقد قامت " إلسا راموس " بتقسيم الناس إلى ثلاث مجموعات حسب علاقاتهم بالمكان:

- "المتجذرون" هم الذين يرتبطون بأصولهم الاجتماعية من خلال المكان.
- "المبتعدون" هم الذين يتطلعون إلى أماكن جديدة.
- "المنفصلون" هم الذين يشعرون بالانتماء في أي مكان.

في الختام يمكننا القول أن العلاقة بين الهوية و المكان ليست عالمية بنفس الدرجة فهي تختلف من ثقافة إلى أخرى ولكن بشكل عام المكان يلعب دورا مهما في تشكيل هويتنا الفردية و الجماعية.¹

¹ Guy Di Méo. Le rapport identité/espace. Eléments conceptuels et épistémologiques. 2008. fffalshs00281929f (بالتصرف).p8-9.

خلاصة الفصل

تناولنا في هذا الفصل من البحث مدخل سوسيولوجي حول مفهوم الحي الذي يعرف على أنه أصغر وحدة في المدينة له حدود جغرافية أحيانا تحدد من قبل البلدية و أحيانا يتفنن سكان الحي في تحديدها و التي تسمى " بداية الحي و نهاية الحي " و هي فضاء اجتماعي يعمل على تسهيل عملية التفاعل اليومي و الاحتكاك المتكرر في الحياة اليومية بين السكان القاطنين به، و يطلق على " الحي " تسميات متعددة كل حسب المنطقة، ففي الجزائر العاصمة الكلمة الأكثر شيوعا هي " الحومة " التي تحمل دلالات اجتماعية قوية، و تلعب دور كبير في بناء هوية سكانها.

لطالما ارتبطت الهوية بالمكان حيث يعتبر هذا الأخير عنصر أساسي في تشكيل الهوية الفردية و الجماعية حيث تعبر الهوية المكانية عن العلاقة المتبادلة بين الإنسان و المكان فهي ليست مجرد مسألة جغرافية أو مادية بل هي انعكاس للرموز الثقافية، الاجتماعية و التاريخية التي تتجذر في المكان و لقد أشار الباحثون من ضمنهم "إدوارد ريلف وميشيل لوسو" الى كون الهوية المكانية مزيج من الخصوصية التي يتميز بها المكان و العلاقة الرمزية التي ينسجها الأفراد والجماعات مع هذا المكان و في هذا السياق يمكن اعتبار حي "القصبة العتيق" نموذج حي لفهم الهوية المكانية ودورها الجوهري في حفظ الذاكرة الجماعية حيث نجد ارتباط سكانها بماضيهم و رغبتهم في ترسيخ هويتهم في الفضاء الجديد سواء بـ " الثنية " او " برج الكيفان ".

ان " قصبة الجزائر " لم تعد مجرد تسمية اطلقت على منطقة جغرافية بل أصبحت مع مرور الزمن تعبر عن رمز لهوية سكانها الذين رحلوا و انتقلوا منها إلى مناطق جديدة " الثنية و برج الكيفان " ليعيدوا إحياء الاسم و يجعلوه علامة على ارتباطهم الوثيق بماضيهم العريق.

في ختام هذا الفصل يمكن القول بأن الهوية المكانية ليست مجرد علاقة ثابتة بالمكان بل هي نتاج التفاعل المستمر بين الفرد و المكان عبر الزمن فـ " قصبة " الجزائر أضحت نموذجا لهذا التفاعل و أصبحت تمثل رمز للذاكرة الجماعية لسكانها.

ان إعادة إحياء اسم " القصبة " في مكان جديد هو دليل على أن الهوية المكانية ليست مرتبطة بالموقع الجغرافي (نقصد هنا الحي القديم) بل تتجاوز ذلك لتشمل البعد الرمزي و الثقافي و هذا يؤكد لنا أن العلاقة بين الهوية و المكان ليست جامدة بل هي عملية ديناميكية تعبر عن روح المجتمع و ارتباطه بجذوره حتى في سياق الترحيل الاجباري.

الفصل السادس

إستراتيجية الاندماج في المجال الجديد

1- مفهوم الاندماج في مجال العلوم الاجتماعية

2- تعريف الاندماج الاجتماعي و مظاهره

2.1 . الاندماج الاجتماعي

2-2 . الاندماج الثقافي

3-2 . الاندماج الحضري

3 - مفاهيم ذات صلة بالاندماج

3.1- مفهوم الاستيعاب

3.2- مفهوم التكيف

3.3- التماثل

4- الاندماج الاجتماعي في المجال الحضري

5 - بعض التناولات النظرية السابقة حول الاندماج الاجتماعي

خلاصة الفصل

يعتبر مفهوم الاندماج مفهوماً غامضاً و لقد تطرّق العديد من العلماء إلى دراسته، و إعطاء مختلف التعاريف حوله كلا حسب تخصصه و مجال دراسته سنحاول هنا تقديم لمحة موجزة و إدراج مختلف التعاريف لبعض علماء الاجتماع

1- مفهوم الاندماج في مجال العلوم الاجتماعية:

إن مفهوم الاندماج يمكن أن ينسب إلى إميل دوركهايم (1858-1917)، أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث. بالنسبة له الاندماج والمجتمع وجهان لعملة واحدة... فالمجتمع عليه أن يستثمر إلى جانب الأفراد من أجل خلق الترابط والتكامل بين الأفراد والجماعات ... و مع مرور الوقت، اتخذ مفهوم الاندماج أشكال مختلفة بناءً على السياقات التاريخية السياسية والاجتماعية. ففي سنوات 1950 و 1960، مفهوم الاندماج أصبح جزء لا يتجزأ من مفهوم الاستيعاب.¹

2- تعريف الاندماج الاجتماعي و مظاهره:

لقد استقطب هذا المفهوم آراء العديد من العلماء من مختلف التخصصات، و جعلوا لكل مجال الشكل الذي يتماشى و تخصصه و سنعرض أهمها و الأكثر تداولاً و استخداماً.

1.2 - الاندماج الاجتماعي:

الاندماج الاجتماعي عملية تهدف إلى تحقيق التكامل بين مختلف الفئات داخل المجتمع الواحد و ذلك من خلال إزالة الحواجز الاجتماعية و الثقافية و ... بما يضمن تعايش الأفراد و تفاعلهم بشكل متضامنو يتجلى هذا الاندماج من خلال مجموعة من التدابير التي تسهل عملية انخراط الأفراد خاصة الجدد منهم في المجتمع الجديد

و تزداد أهمية الاندماج الاجتماعي عندما ينتقل الأفراد إلى بيئة جديدة تختلف في نمط حياتها و ثقافتها و قيمها و عاداتها و تقاليدها عن المجتمع الأصلي، فبالرغم من وجود قيم إنسانية مشتركة إلا أن طرق التعبير عنها تختلف من مجتمع إلى مجتمع آخر فعند انتقال الفرد إلى مجتمع جديد فإن قدرته على التكيف تعتمد على مدى تقبله للواقع الجديد و كذلك على استعداد المجتمع المضيف لتوفير ظروف ملائمة تسهل هذا الانتقال

¹Geneviève Grégoire Labrecque : **Rédaction de la fiche** , Formation de base en interculturel.

Cette fiche synthèse est présentée dans le cadre des formations de base en interculturel du centre de recherche Sherpa au CSSS-CAU de la Montagne, 2014.

و لابد من الإشارة هنا الى أن اندماج الفرد لا يعني بالضرورة التخلي الكلي عن الثقافة الأصلية إذ يمكن لهذا الفرد أن يحافظ على جوانب من هويته الثقافية في الوقت نفسه الذي يتبنى فيه عناصر جديدة من ثقافة المجتمع الجديد و هكذا يصبح هناك نوع من التفاعل و التقارب التدريجي بين الفرد و المجتمع الجديد.

و من جهة أخرى لا يقتصر الاندماج الاجتماعي على تكيف الفرد مع المجتمع الجديد فقط بل يمكن أن يكون للفرد ذاته تأثير في هذا المجتمع الذي انتقل إليه و ذلك من خلال مساهمته في الحوار والتبادل الثقافي و هنا لابد من الإشارة الى أن عملية اندماج الافراد في مجتمعات جديدة ليست دائما سهلة فهي تكون احيانا معقدة و هي تختلف من فرد لآخر و كذا نتيجة اختلاف السمات الفردية (مثل الشخصية) و خلفية الثقافية و مدى الاستعداد لتقبل.

كما قد لا ينجح جميع الأفراد بنفس الدرجة في التكيف إذ قد يواجه البعض صعوبات و يحتاجون إلى فترات أطول لتحقيق الاندماج و هذا يتوقف على درجة التفاعل بين الفرد و المجتمع الجديد، لابد من التخطيط و توفر خطط واضحة لتسهيل عملية الاندماج و التي تبدأ من التضامن الاجتماعي الى التكيف الاجتماعي و صولا أخيرا الى الاندماج الاجتماعي و الفعلي.

حتى يتحقق الاندماج الاجتماعي يجب ان يكون شاملا و متكاملا ليتمكن من أداء دوره و أن يشمل مختلف جوانب الحياة و يتطلب ذلك من المجتمع الجديد أو المجتمع المستقبل ضمان مبدأ تكافؤ الفرص خاصة في مجال العمل و ذلك بتوفير العمل دون تفرقة و تمييز و ذلك بعد تمكين الوافدين الجدد فهم الحقوق و الواجبات و تعلم اللغة المتعامل بها في ذلك المجتمع المستقبل و هذا يعتمد على المجهودات التي يبذلها المهاجر للتعلم خاصة اذا كانت اللغة مختلفة و جديدة عنه

و يجب أن تكون الغاية النهائية من الاندماج الاجتماعي هو العيش المشترك و ليس خلق صراعات بين الثقافات داخل المجتمع الأكبر¹

فمسألة الاندماج الاجتماعي، عند دوركهيم، هي "إرادة العيش معا"². أما " فرشايلد" فالاندماج بالنسبة إليه هو " تلك العملية الاجتماعية التي تميل إلى توافق و توحد بين وحدات متنوعة و متصارعة، علما بأن

¹ الإرشاد النفسي الاجتماعي (بالصرف) > ... > www.ankawa.com

² Rhein Catherine : **Intégration sociale, intégration spatiale** , *L'Espace géographique*, 2002/3 (tome 31), p. 193-207. DOI : 10.3917/eg.313.0193. URL : <http://www.cairn.info/www.sndl1.arn.dz/revue-espace-geographique-2002-3-page-193.htm>

هذه الوحدات يجب أن تكون عناصر لشخصية أو أفراد أو رهوط أو تجمعات اجتماعية واسعة¹. يعرف قاموس "الاندماج على أنه : إيجاد علاقات ترابطية متينة بين أطراف كائن حي أو بين عناصر مجتمع"².

2.2 - الاندماج الثقافي:

إن ما يميّز المجتمعات فيما بينها هي تلك الثقافة الخاصة التي تجعله يختلف عن غيره، من خلال ما يحويه من عادات و تقاليد و قيم، هذه الأخيرة تسمح للفرد من العيش و الاندماج ضمن الجماعة، أما العكس فقد يؤدي إلى نوع من الصراع الذي قد ينتج الإقصاء، وهذا ما نلاحظه في المجموعات التي تعرف حركية مستمرة سواء داخلية أو خارجية (الهجرة).

حيث يقول "أحمد زكي بدوي" : " يؤدي فقدان اندماج الأفراد في ثقافة مجتمعهم أو جماعتهم إلى الاضطراب و الفوضى و إلى مشكلات نفسية و اجتماعية و إلى أنواع من الصراع التي قد تحول بين الجماعة و تطورها تطورا سويا"³ فالاندماج هي عملية اختراق لبنية أو لمؤسسة أو لمجتمع ، فهي ضرورية لاكتساب عناصر الوجود الاجتماعي/الاقتصادي لمجموعة من المهاجرين تسعى لوضع حدّ لوضعية الإقصاء و التهميش⁴. نحن اليوم نتجه أكثر و أكثر لاكتشاف ثقافات أخرى، هويات ، معتقدات، في مواجهة التفاعلات التي تتوسع بسرعة خارج حدودها. التبادلات البشرية ، الثقافية والاقتصادية بين الدول و التي لا تتفك تتطور⁵.

3.2 - الاندماج الحضري:

الاندماج الحضري يعني قدرة الفرد - الأسرة على الحياة في المدينة و المشاركة في أوجه الأنشطة المختلفة فيها، الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و السياسية. و كما يقول Raymond Ledrut ريمونت لودروت " انه من أجل حصول المشاركة و الاندماج الجماعي يجب أن يظهر جميع السكان انتمائهم إلى المدينة باعتبارها تمثل المصلحة المشتركة، و يرى أن مشكلة الحياة الجماعية و بالأخص تلك المتعلقة بالمشاركة في الحياة السياسية البلدية، تتمثل في الاندماج الجماعي لسكان مجموعة محلية".

¹ قرار كريم: آثار عمليات الترحيل على الاندماج الاجتماعي ، رسالة لنيل شهادة الماجستير ، 2002-2003، ص24.

² محمد مسلم: الهوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغربي الثاني بفزنسا، دار قرطبة، الجزائر، 1429هـ - 2009م، ص47.

³ قرار كريم: مرجع سابق، ص29.

⁴ محمد مسلم: مرجع سابق، ص46.

⁵ Raynal Serge, Ferguson Louis B : *L'intégration , du multiculturel à l'intraculturel , Humanisme et Entreprise*, 2008/2 (n° 287), p. 77-95. DOI : 10.3917/hume.287.0077. URL : <http://www.cairn.info/revue-humanisme-et-entreprise-2008-2-page-77.htm>

يتخذ الاندماج الحضري بعدا ثقافيا و هو يمثل المثل الجماعية العليا و القيم الحضريّة المشتركة التي تنظم الحياة الجماعية في إطارها، القائمة أساسا على التجاور و التعايش و التعاون و الاحترام المتبادل. و بعدا اجتماعيا و هو الدخول في علاقات اعتماد متبادل مع الآخرين من خلال تبادل المنافع في إطار مؤسسات رسمية قائمة أساسا على تقسيم العمل.¹

3- مفاهيم ذات صلة بالاندماج:

1.3- مفهوم الاستيعاب Assimilation :

يرتبط هذا المفهوم بشكل وثيق مع غيره من المصطلحات كالتكيف و التكامل. في علم الاجتماع الاستيعاب هو العملية التي يسمح للأجنبي أو أقلية على الاندماج مع مجموعة اجتماعية على نطاق أوسع من خلال اعتماد الخصائص الثقافية².

لقد تطرق الدكتور محمد مسلم في كتاب سبق ذكره إلى مفهوم الاستيعاب أو التماثل كما أشار إليه من خلال بعض التعاريف، فقد يكون " عملية تقديم الشيء كمماثل"، "التحول إلى المماثل". أما قاموس الموسوعة Alfa فيعرفه على أنه " العملية التي بواسطتها تستطيع أقلية اجتماعية أو عرقية تبني القيم المهيمنة و السلوكات التقليدية للمجتمع الذي تحاول أن تندمج فيه، ليصبح مع الوقت ذوبانها فيه حتميا". و لقد كتبت "Tapinos" مؤكدة أن الاستيعاب يفترض أن الأجنبي يجب عليه أن يترك و يتخلّى عن الخصائص الوطنية لأُمته ليزوب في النموذج الفرنسي، و هذا التخلي الكلي لا يقبل عند الكثير من المهاجرين المغاربة³ "فالاستيعاب هو اختفاء الثقافة الأصلية، و التي تقبل تماما قيم ثقافة البيئة المضيفة، والذي يحدث عادة في حالة المهاجرين من الجيل الثاني ولكن لا يتم أبدا بصفة كاملة..⁴

¹ د. محمد بومخلوف: التوطن الصناعي و قضايا المعاصرة الفكرية والتنظيمية و العمرانية و التنمية، التحضر، دار الأمة، 2001، ص 49 - 50.

² www.toupie.org > Dictionnaire

³ د. محمد مسلم: مرجع سابق، ص 51.

⁴ www.amitie-entre-les-peuples.org > ... > Assimilation, intégration, insertion

2.3 - مفهوم التكيف Adaptation:

مسألة التكيف ما هي إلا قدرة الجماعات البشرية من أجل البقاء وإيجاد أنماط ملائمة لإسقاطها في المستقبل¹. و هي " العملية التي تقتضي تعديلا في أشكال العلاقات القائمة بين الأفراد و الجماعات بهدف التخفيف أو تجنب الخوف من التوترات و النزاعات سواء كانت العملية واعية أو غير واعية"²

3.3 - التماثل:

هو مفهوم يعمل على إضعاف الاختلافات الموجودة داخل الجماعات ,كما يعمل على زيادة المظاهر المتعلقة بالمصالح والأهداف المشتركة.

يعتبر "التماثل آخر مراحل التكيف التي تمر بها الأقلية من خلال تداخلها المتزايد واتصالاتها المتشعبة مع المجتمع الكبير ومن خلال تطبعها بقيم وعادات وتقاليد وكذلك أهداف هذا المجتمع لدرجة فقدان صفاتها الجوهرية التي تميزه عن ذلك المجتمع الكبير لينصهر ويصبح جزء منه وبمختلف متصافاته وخصائص"³

4 - الاندماج الاجتماعي في المجال الحضري:

لقد تطرق "جون ريمي و ليليان فوايي" إلى دراسة المجال و أشكال الاندماج فيه ، إذ أن هذا الأخير يسمح باستعماله بطرق مختلفة، و أن انتمائنا إلى مجموعة ما يعتبر مؤهلا أكثر أو أقل قوة للمشاركة في المعاملات الاجتماعية. بالإضافة إلى مفهوم آخر ذو علاقة بالمجال و الاندماج و المتمثل في الحراك ، حيث أشار إلى أن أنه يمكن النظر في حركية السكان من خلال ثلاثة جوانب مختلفة، تغيير الإقامة من ضاحية إلى أخرى ، أو من حيّ إلى آخر في نفس الضاحية، أو الحركية من دون تغيير الإقامة.

يتفق الجميع على أنّ الحركية في الحياة الحديثة مرتبطة ارتباطا وثيقا بعدة مشاكل اجتماعية، و إلى حد ما فانه يفترض أن تكون الحركية لا مفر منها و مرغوب فيها في نفس الوقت، و مما لا شك فيه هو أن للنزوح الجماعي للسكان في العصر الحديث عواقب وخيمة.⁴

¹ Valantin Jean-Michel : **Les pirates somaliens et nous : histoire d'une adaptation sociale à des inégalités environnementales imposées** , *Annales des Mines - Responsabilité et environnement*, 2015/3 (N° 79), p. 36-39.
URL : <http://www.cairn.info/www.snd11.arn.dz/revue-responsabilite-et-environnement-2015-3-page-36.htm>

² Alain Birou, *Vocabulaire des sciences sociales* éditions ouvrières, Paris, 1966, p7.

³ دنكن منشيل : **معجم العلوم الاجتماعية**، ترجمة ، إحسان محمد الحسن، الطبعة الأولى، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر 1981 ، ص 25-24.

⁴ J.remy-l.voyé : **la ville vers une nouvelle définition** ? Edition L'HARMATTAN, Paris, 1992, p73.

ان هجرة السكان من الريف إلى المدينة تمثل قفزة من نمط الى اخر و انتقال من بيئة مألوفة إلى بيئة تختلف في جوانب كثيرة منها الاجتماعية و الثقافية ، حيث ان هجرة السكان بحثا عن فرص عمل احسن و ظروف معيشية أفضل في المدينة غير أن هذه المجموعة من السكان تصطدم بواقع مرير حيث يواجهون تحديات كبيرة و ذلك نتيجة لاختلاف العادات و السلوكيات بين الريف و المدينة.

ان هذا الانتقال لا يعني بالضرورة تخليهم عن هويتهم الريفية بالعكس فهم يظلون متمسكون بقيمهم و عاداتهم و اصولهم الاجتماعية ، اذ أن هذا الارتباط و التمسك القوي بممرساتهم و قيمهم و ...تؤثر في سلوكهم بعد وصولهم إلى المدينة مما يولد نوع من الصعوبات في التكيف مع الحياة الحضرية الجديدة و الاندماج فيها.

ان مجموعة العادات و الممارسات التي نشأوا عليها في مجتمعهم القديم (الريف) قد تستمر في التأثير على حياتهم في المدينة و يمكن أن تتفاوت درجة التأثير حسب قدرة الأفراد على التكيف مع الحياة الحضرية.

فتكيف الفرد و ذوبانه في المجال الجديد دليل على نجاح عملية اندماجه ، ففي هذه الحالة يكون الاندماج كليا إذا ما تولى هذا المهاجر على رصيده الثقافي المتمثل في مجموعة العادات و الأفكار المشبع بها، و في حالة ما احتفظ الفرد بثقافته الخاصة و عاداته و تكيف جزئيا نقول أن عملية الاندماج جزئية. و في هذا الصدد توصل د.محمد مسلم إلى أنه " حتى يستطيع المهاجر أن يحقق عملية الاندماج عليه أن يطابق سلوكه مع نمط المجتمع المضيف، و قد يصل هذا التطابق إلى حد تجريد المهاجر من ثقافته الأصلية و في هذا الإطار نستطيع أن نحدد الاندماج على أنه انقطاع عن ثقافته الأصلية يؤدي به حتما إلى التخلي النهائي و بالتدرج عبر الأجيال عن ثقافته، و في هذا الاتجاه يصبح الاندماج مرحلة نحو الاستيعاب و الذوبان، و عندها فان ثقافة المجتمع المضيف تمتص من المهاجر ثقافته الأصلية بكيفية نهائية".¹

لقد " أصبحت قضية الاندماج الاجتماعي الحضري من القضايا الحضرية المعاصرة الأساسية، و هي ليست مسألة متعلقة بالفرد أو الجماعة بقدر ما هي متعلقة بالنسق الحضري ككل و أنساقه الفرعية الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و السياسية و مدى قدرتها على استيعاب سكان المدينة مهما اختلفوا و تنمي فيهم روح الانتماء إلى مدينتهم من خلال المشاركات التي تتاح لهم في ميادين مختلفة، التي تجنبهم

¹ د.محمد مسلم: الهوية في مواجهة الاندماج، مرجع سابق، ص50.

و تجنب في ذات الوقت الوسط الحضري من مشاكل الهامشية. فالهامشية الحضرية ظاهرة تأتي على النقيض من الاندماج الحضري¹.

5- بعض التناولات النظرية السابقة حول الاندماج الاجتماعي:

لقد تعرّض العديد من العلماء و المفكرين إلى دراسة مسألة الاندماج في الوسط الحضري، من بينهم دراسة لويس وورث المعنونة بـ "القيتو" و التي نشرت سنة 1928. دراسة "ويليام إسحاق توماس" و الفيلسوف البولوني "زنانيكي" بعنوان

" الفلاح البولوني" التي نشرت على شكل تقرير بين سنتي 1918 و 1920 سنحاول في هذا المقال سرد دراسة " فاروق بن عطية" التي أجريت على سكان الجزائر العاصمة ما بين 1919 و 1979 و صدرت سنة 1980 تحت عنوان " الجزائر ركام أم مدينة" و نعتبرها أكثر اقترابا لموضوع المقال.

تعرضت هذه الدراسة للتحضر و المراحل التي مرّ بها و أهم العوامل التي تحكمت فيه، خاصة في تلك الفترة التي تختلف حسب الظروف التي يمرّ بها كل مجتمع بالإضافة إلى أن الانتقال من طرف المهاجرين من الريف إلى المدينة غالبا ما يصاحبه القضاء على العادات و التقاليد و الانسجام و التلاءم مع نمط الحياة الحضرية، و لا يتم ذلك بسهولة و لكن عن طريق صراع حاد بين قيم و عادات و تقاليد الريف و قيم و عادات و تقاليد المدينة، و على هذه الصورة فان الدراسة توضح و تدرس اندماج المهاجرين في المدينة بالاستعانة ببعض المؤشرات مثل: الاندماج الاقتصادي و الثقافي و السياسي و نوع المسكن و خروج المرأة للعمل و الانحراف، و توصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية،

- أن هناك تأثير للقرى في تضخم سكان المدن و هذا مؤشر يبين درجة تبعية السكان الريفيين و بذلك تتجذّر عدم المساواة بينهما.

- أن الازدواج الثقافي الذي أحدثه الاستعمار أفرز لغة و ثقافة أصبحت بعد الاستقلال تنافس الثقافة العربية الإسلامية خاصة لدى الطليعة المستغربة.

- أن العائلات البرجوازية القديمة في الجزائر العاصمة ضاعت امتيازاتها التي كانت مرتبطة باسم كل العائلة، و ذلك نتيجة لتخليها عن محيطها التقليدي و اندماجها في المحيط الأوروبي.

- أن الجماعات الاجتماعية التي استطاعت أن تندمج في المدن هي التي نجحت في انتقالها الثقافي، و ذلك بالإمكانيات المتاحة التي ضمنت لها شروطا اقتصادية و ثقافية سمحت لها بتجاوز شروطها التقليدية.

¹د.محمد بومخلوف: التوطين الصناعي و قضايا المعاصرة، مرجع سابق، ص50.

- يعتبر الأصل الاجتماعي للمهاجرين سبب نجاح عملية الاندماج الاجتماعي، و لقد اندمجت فئات واسعة في المدينة بعد الاستقلال حيث كلما كان المهاجر ثريا و له شغل مستقر وأجر كافي كلما ارتفعت حظوظه في الاندماج.¹

خلاصة الفصل

في هذا الفصل من البحث تناولنا استراتيجية الاندماج في المجال الجديد و ناقشنا مدى اندماج الافراد الذين عرفوا حركية مجالية في المجتمعات الجديدة التي تستقبلهم من خلال مقاربات متعددة قدمها عدد من العلماء في مجال علم الاجتماع حيث كانت الانطلاقة من خلال تبسيط مفهوم الاندماج في العلوم الاجتماعية من نظرة بعض العلماء، حيث استقطب هذا المفهوم آراء العديد من الباحثين من مختلف التخصصات و جعلوا لكل مجال الشكل الذي يتماشى و تخصصه و سنعرض أهمها و الأكثر استخداما.

الاندماج الاجتماعي هو عملية تسعى إلى تحقيق التناسق بين الجماعات المختلفة داخل المجتمع الواحد بهدف بناء مجتمع متكامل موحد و يشير أيضا هذا المفهوم الى مبدأ إزالة الحواجز الاجتماعية بين المجموعات و التي قد تعيق التكيف و التفاعل بين الأفراد و يسمح بخلق بيئة يسودها التضامن.

تعرف بعض من المجموعات من الافراد هجرة و انتقال من مجال الى اخر سواء اكان من الضاحية الى المركز او من المركز الى الضاحية و هي تمثل قفزة من نمط لآخر و انتقال من بيئة لآخرى مختلفة في جوانب عدة .

هذا الانتقال لا يعني بالضرورة تخلي هذه المجموعة من السكان عن هويتهم الريفية بل على العكس فغالبا ما يتمسكون بقيمتهم و عاداتهم و أصولهم الاجتماعية فهذا الارتباط القوي بممارساتهم وقيمهم الريفية يستمر في التأثير على سلوكهم بعد وصولهم إلى المدينة ما قد يخلق تحديات في التكيف مع نمط الحياة الحضرية الجديد والاندماج فيها

تظل العادات و الممارسات التي تجذرت لدى الأفراد في بيئتهم الريفية الأصلية حاضرة في حياتهم بعد انتقالهم إلى المدينة إذ تختلف درجة تأثيرها بحسب مدى قدرة كل فرد على التكيف مع طبيعة الحياة الحضرية

¹أ.فاروق يعلى: مقال حول مسألة السكن و الاندماج الاجتماعي للأسر النازحة في الوسط الحضري، جامعة سطيف 02، مجلة الدراسات و البحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد الخامس، فيفري 2014، ص 173.

فتكيف الفرد و ذوبانه في المجال الجديد دليل على نجاح عملية اندماجه ، ففي هذه الحالة يكون الاندماج كلياً إذا ما تخلّى هذا المهاجر على رصيده الثقافي المتمثل في مجموعة العادات و الأفكار المشبع بها، و في حالة ما احتفظ الفرد بثقافته الخاصة و عاداته و تكيف جزئياً نقول أن عملية الاندماج جزئية و في الأخير نختم الحديث عن الاندماج بما توصل اليه الدكتور "محمد مسلم" في كتابه إلى أنه " حتى يستطيع المهاجر أن يحقق عملية الاندماج عليه أن يطابق سلوكه مع نمط المجتمع المضيف، و قد يصل هذا التطابق إلى حدّ تجريد المهاجر من ثقافته الأصلية و في هذا الإطار نستطيع أن نحدّد الاندماج على أنه انقطاع عن ثقافته الأصلية يؤدي به حتماً إلى التخلي النهائي و بالتدريج عبر الأجيال عن ثقافته، و في هذا الاتجاه يصبح الاندماج مرحلة نحو الاستيعاب و الذوبان، و عندها فان ثقافة المجتمع المضيف تمتص من المهاجر ثقافته الأصلية بكيفية نهائية".¹

¹ د. محمد مسلم: نفس المرجع السابق، ص50.

الباب الثاني

الجانب الميداني للبحث

الفصل الاول

تقديم ميدان البحث

تمهيد

دوافع اختيار الحيين البحث

التعريف ببلديات البحث

لمحة عن بلدية الثنية

لمحة عن بلدية برج الكيفان

التعريف بمجال البحث

التعريف بحي القصبة بالثنية

بحي القصبة بالضفة الخضراء - بلدية برج الكيفان

قراءة في خصائص عينة البحث

خلاصة الفصل

تمهيد

يعد الجانب الميداني من البحث عنصرا حيويا في فهم و استكشاف الظواهر الاجتماعية و ذلك بالتمحيص و الغوص في نمط الحياة اليومية للمجتمع المدروس من اجل فهم المعاني و الدلالات الناتجة من كل فعل او سلوك .وقصد التقرب من فهم ظاهرة استمرارية الموروث الحضري و اعادة انتاج التسميات القديمة في الاحياء الجديدة سنقوم بالتغلغل في ميدان البحث من خلال اجراء مقابلات مفتوحة مع 98 مشارك في كلى الحيين تم اختيارهم عن طريق استعمال العينة الثلجية في كلى الحيين .بعد جمع البيانات و تبويبها و عرضها في جداول قمنا بالتعليق عليها و تحليلها .بحيث قمنا بتقسيم هذا الجانب الى خمسة فصول و الذي نستله بهذا الفصل الذي نقدم في أوله عرض شامل لميدان البحث اين نسعى الى تقديم نظرة واضحة و عامة عن بلديتي الثنية و برج الكيفان و بعدها نعرض الحيين الذي وقع البحث عليهما و هما حي 680 مسكن حميد و محمودي بالضفة الخضراء (المعروف بالقصبة عند سكان برج الكيفان) و حي 350 مسكن 20 اوت 1956 (المعروف بالقصبة عند سكان الثنية).ذلك من خلال عرض معمق لمختلف العناصر الجغرافية و التاريخية وتطورهما العمراني و خصائصهما الطبيعية و البشرية التي تميزهما .أما في العنصر الثاني سنعرض خصائص العينة المستجوبة و التي بلغ عددها 98 مستجوب عن طريق المقابلة الموجهة من اصل 530 عائلة تم ترحيلهم من قصبة الجزائر نحو هذين الحيين .و هي أسر عاشت نفس الحي السابق في القصبة العتيقة و تم ترحيلهم دفعة واحدة الى الحي الجديد و الذي اطلق عليه فيما بعد بحي القصبة .

1- دوافع اختيار الحيين للبحث :

يعود سبب اختيار هاذين الحيين الى عدت اسباب نذكرها :
يعتبر حي القصبة بالثنية من الاحياء التي عرفت عملية للترحيل واسعة التي مست احياء بلدية القصبة اين تم ترحيل عائلات منكوبيي القصبة بعد مظاهرات ماي 1985م التي تم اخذ اجراءات لتخصيص سكنات مخصصة لتقليل الضغط على الحاضرة السكنية لبلدية القصبة التي بقيت في تدهور مستمر ،اين تم ترحيلهم نحو عدت بلديات من العاصمة نذكر منها دالي براهيم ،درقانة ،براقي ،الكاليتوس ، السحولة، عين النعجة بالاضافة للحي الذي وقع عليه اختيار ميدان الدراسة ببلدية الثنية والتابعة بدورها لولاية بومرداس .

أما حي القصبة ببرج الكيفان فقد استقاد السكان في اطار برنامج المشروع الحضري الكبير لمحافظة الجزائر الكبرى سنة 1998م اين تم اشراك السكان و الجمعيات في هذا البرنامج قصد اعادة الاعتبار للمعالم التاريخية في العاصمة و بموجبه تم تقسيم القصبة الى عدة مجمعات بالقصبة قصد ترحيلها و مباشرة عمليات الترميم بعد الترحيل نذكر منها :

مجمع سوق الجمعة ،شارع رشيد عمارة ،الاروقة الشمالية ، جامع ليهود ، مجمع سيدي رمضان الذي عرف ترحيل 500 عائلة دفعة واحدة نحو باب الزوار و برج الكيفان والتي وقع عليها الاختيار كميدان للبحث.

هاذان الحيين عرفا عملية ترحيل للعائلات باعداد كبيرة مقارنة بعمليات الترحيل الاخرى بحيث نفترض ان هذا عامل يسمح بالمحافظة على الموروث الحضري المكتسب من السكان في الحي القديم و هو عامل اساسي في استمرارية الممارسات رغم التغيير الجذري في الهندسة المعمارية و المجال الجغرافي . توفر العلاقات التي سمحت لنا الولوج لميدان البحث بحيث من اكبر الصعوبات التي تواجهنا كباحثين في اطار علم اجتماع الحضري هو تقبل السكان للغرباء في بيئة يكون معظم السكان قد كونو علاقات قديمة في حيهم السابق .و بحكم احتكاكنا مع احد مسؤولي جمعية جميلة بوحيرد بالقصبة السيد عمر كيربي و الذي هو احد السكان المرحليين من حي سيدي رمضان نحو قصبة برج الكيفان ، مهد لنا الطريق للوصول الى جمعية الحي اين تمكنا من ربط اتصال مباشر مع السكان المرحليين من القصبة و التي تم من خلالها اختيار عينة البحث عن طريق استعمال العينة الكرة الثلجية .

اما بالنسبة لحي القصبة بالثنية فهناك عمدنا أيضا الى استعمال نفس التقنية في اختيار أفراد العينة للبحث بحكم ان احد معارفنا تم ترحيلهم لهذا الحي من القصبة وقد دلنا على مجموعة السكان و كل واحد يدلنا على احد معارفه من الحي السابق اين تمكنا من ربط علاقات سمحت لنا بعمل مقابلات معهم بكل ارياحية الى غاية استكمال النصاب المرغوب من المقابلات ،بالاضافة لتسهيلات المقدمة من طرف رئيس مكتب التهيئة و التعمير لبلدية الثنية السيد:عبد النور خاقي والذي هو ايضا من سكان الحي لكن ينحدر من بلدية الثنية والذي سمح لنا من اكتساب وجهة نظر السكان الاوائل لبلدية الثنية نحو المرحليين من القصبة في نفس الحي و التي نفصل فيها في تحليلنا للفرضيات في الفصول التي تلي .

اغلب المستجوبين تعدت مدة اقامتهم بالحيين اكثر من 25 سنة و هي مدة كافية لمعرفة مدى التأقلم و المحافظة على استمرارية المورث الحضري القديم من عدمه في الحي الجديد بالاضافة للبحث في الاسباب الحقيقية لاضفاء التسمية القصبة في هذه الاحياء دون غيرها .

2- التعريف ببلديات البحث :

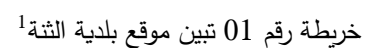
أجرى البحث الميداني بحي القصبة بالثنية بولاية بومرداس و التي تبعد ب 51 كلم عن القصبة العتيقة بالعاصمة و حي القصبة بالضفة الخضراء برج الكيفان بالجزائر العاصمة والذي يبعد بدوره 20 كلم عن القصبة العتيقة بالجزائر . و سنقدمهما كالآتي:

1.2- لمحة عن بلدية الثنية :

تقع بلدية الثنية (ثنية بني عائشة، تيزي نايت عيشة، Ménerville، Thénia) بدائرة الثنية في ولاية بومرداس. تحدها في الشمال الغربي بلدية بومرداس وفي الشمال الشرقي بلدية زموري وفي الشرق بلدية سي مصطفى وغربا بلدية تيجلابين وجنوبا بلدية سوق الحد وجبال بني عمران. منذ الاستقلال ، كانت مدينة الثنية تُشكل بلدية تابعة لولاية الجزائر العاصمة إلى غاية التقسيم الإداري لسنة 1984م حيث صارت تابعة إلى ولاية بومرداس الجديدة. وهذا التقسيم الإداري لسنة 1984م قد تم وفقا للقانون رقم 84-09 بتاريخ 04 فيفري 1984م المتعلق بالتقسيم الإقليمي الإداري للدولة الجزائرية. إلى غاية 1984م، كانت بلدية الثنية من البلديات الكبيرة التي تربو مساحتها عن مائتي (200) كيلومتر مربع. وبعد التقسيم الإداري لسنة 1984م، صارت بلدية الثنية بتعدادها السكاني حوالي 25036 مواطن حسب إحصائيات البلدية لسنة 2021 و بمساحة تقدر ب 42.3 كلم² .

و هذه بعض المخططات و الارقام لتعرف على البلدية عامة

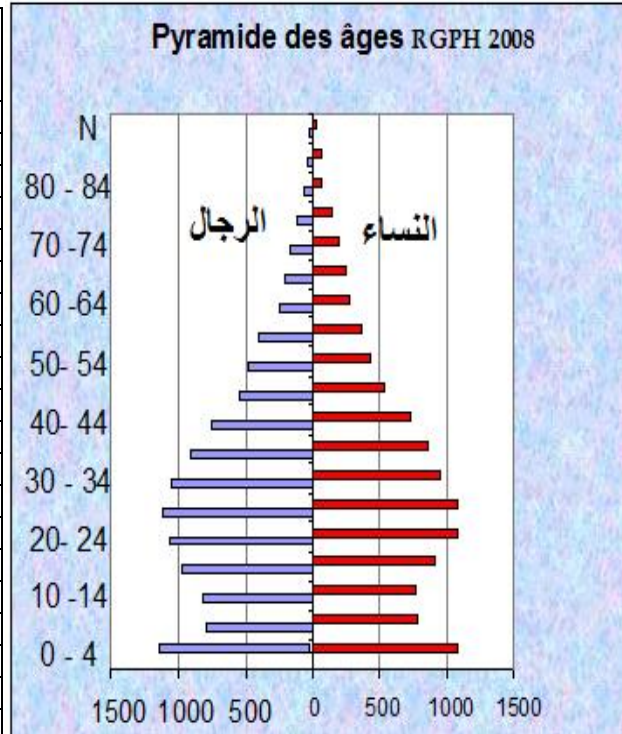
Up To



110

التركيبة السكانية لبلدية الثنية (تركيبة السن و الجنس):

Groupe d'âge (ans)	Masculin	Féminin	Total
0 - 4	1122	1076	2197
5- 9	785	783	1568
10 -14	813	771	1584
15 - 19	977	908	1885
20- 24	1064	1085	2149
25- 29	1117	1072	2189
30 - 34	1045	952	1997
35- 39	899	855	1754
40- 44	746	728	1474
45 - 49	544	530	1074
50- 54	483	432	915
55- 59	406	366	772
60 -64	246	272	519
65 - 69	213	253	466
70 -74	174	191	365
75 - 79	118	139	256
80 - 84	56	73	129
85	41	63	103
ND	18	25	44
Total	10867	10572	21439



المصدر : RGPH2008

نسبة شغل المسكن :

تطور التوزيع السكاني:

Révision du PDAU de la Commune de THENIA

3-Taux d'occupation par logement :

Dispersion	Population 2008	Nombre de logements	TOL ha/logt
ACL	17563	3726	04,71
AS	2655	1714	1,55
ZE	1 221	422	02,89
Total	21 439	5862	3,65

Source : RGPH 2008 + nos calculs

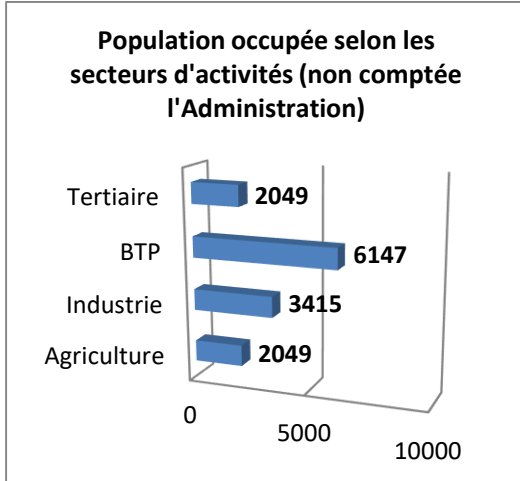
حالة سوق العمل في نهاية عام 2021

a - Evolution de la population par dispersion :

Dispersion	POP 1987	POP 1998	POP 2008	TAA(%) 1987-1998	TAA(%) 1998-2008
ACL	13913	15336	17 536	0,88	0,14
AS	.	807	2655	.	19,16
ZE	4 868	2935	1221	4,46	-8,40
Total	18781	19078	21 439	0,14	1,2

La source : O.N.S + non calculs

توزيع السكان عبر تراب البلدية



Dispersion	Nombre de la population	%
ACL	17 536	72,56%
AS	2 655	21,73%
ZE	1 221	5,71%
Communal	21439	100%

Source : RGPH 2008



المصدر: مكتب التهيئة و التعمير لبلدية الثنية (أكتوبر 2022)

الوصول إلى بلدية الثنية:

تتمتع بلدية الثنية بسهولة الوصول إليها بفضل شبكة طرق متعددة، منها:

- الطريق الوطني رقم 5: (RN 5) وهو المحور الرئيسي الذي يربط البلدية بالمدن الرئيسية المجاورة.
- الطريق الوطني رقم 24: (RN 24) يقع شمال البلدية ويساهم في تعزيز الاتصال بها.
- الطريق الولائي رقم 25: (CW 25) يخدم المناطق الداخلية للبلدية.
- الخط الحديدي: يربط الثنية بالعديد من المدن الجزائرية، بما في ذلك :

- الجزائر - الثنية
- الثنية - تيزي وزو
- الثنية - قسنطينة

محطة القطار في الثنية هي همزة الوصل الثلاثية بالسكك الحديدية بين الجزائر العاصمة وتيزي وزو و البويرة كما تعتبر اهم وسيلة نقل لسكان حي القصبة بالثنية بسبب قربها من الحي.



صورة رقم 01 لمحطة القطار بالثنية (الكاتب 2024/02/15)

المصدر: مكتب التهيئة و التعمير لبلدية الثنية (أكتوبر 2022)

بالنظر الى هذه البيانات يتضح لنا جليا التركيبة السكانية لبلدية الثنية و هذا اعتمادا على احصائيات التعداد السكاني للديوان الوطني للاحصاء لسنة 2008 بالاضافة لاحصائيات البلدية لسنة 2021، حيث تغطي جوانب عديدة نذكر منها :

التركيبة العمرية : بحيث الهيكل الهرمي لسكان البلدية يتميز بتركيبة شابة اين تتركز النسب الاكبر في الفئات الصغيرة والمتوسطة ، كما نلاحظ توازن نسبي بين عدد الاناث و الذكور و في مختلف الفئات و هذا دليل على نموسكاني الطبيعي .

اما من ناحية التوزيع السكاني للبلدية وبحكم التموقع الجغرافي للبلدية ، نلاحظ توزيع للسكان على ثلاثة مناطق وهي : مركز المدينة L'agglomération chef lieu (A.C.L) باكبر نسبة 72.56% مما يدل على ان النشاط الحضري و الخدمات هو الغالب على البلدية و هذا حال اغلب البلديات الوطن كون الانتقال من الحياة الريفية الى الحضرية هو النمط الغالب منذ الاستقلال الى يومنا هذا .بالاضافة الى الاحداث الامنية التي عرفت المنطقة خلال العشرية السوداء أثرت بصفة واضحة على انتقال السكان من المناطق الثانوية L'agglomération secondaire (A.S) و المناطق المتفرقة La zone éparse (Z.E)

نحو المركز بصفة واضحة. اما بخصوص الحاضرة السكنية في مركز المدينة يقدر ب 3726 مسكن مقابل 17563 ساكن بنسبة شغل المسكن ب 4.71 فرد في المسكن و هذا الرقم يبقى جد مقبول . علما ان النسيج العمراني في مركز (ACL) يتسم بتنوع انماط السكن نجد منها:

السكن الفردي ذو طراز استعماري و هو في حالة سيئة او على وشك الانهيار
السكن الفردي بعد الاستعمار في حالة متوسطة

السكن الجماعي عمودي و هو الغالب في عدة احياء من مركز المدينة
السكن الريفي مرتكز في الجهات متفرقة من البلدية .

كما لا يفوتنا التنويه الى ان النشاط الاقتصادي في المركز يتشكل من القطاع الثالث (الخدمات) ، و هذا دليل على ان الاقتصاد المحلي يعتمد بشكل كبير على الخدمات بسبب ضعف القطاعات الأخرى كالصناعة والزراعة والتي تساهم بنسبة محتشمة في الاقتصاد المحلي .

وأكبر ما يميزها التهميش، فقد كانت مدينة مركزية إبان الاستعمار الفرنسي، فحوت أكبر المستشفيات، كما وجد فيها المحكمة والبنك، إلا أن ذلك كله زال عنها، فصارت المحكمة في بلدية بودواو، والبنك في بلديات أخرى، كما أن المستشفى يتعرض لحملة تهميش خصوصا بعد انهيار كثير منه خلال الزلزال، فطب

العظام مثلا انتقل إلى بلديتي بومرداس وبودواو، وانتقل طب الأطفال الذي قام بتدشينه اللاعب زين الدين زيدان بنفسه وماله بعد الزلزال، إلى بلدية برج منايل، وغيرها الكثير للأسف.

- أحياء الثنية

وتنقسم مدينة الثنية حاليا إلى عدة أحياء منها:

- 1- حي اللوز (Louz).
- 2- حي تيزويغين (Tizouighine).
- 3- حي القبيلة (Tribou) سابقا حي بوعقل رابح حاليا .
- 4- حي جوست (Just).
- 5- حي المسجد (Mosquée).
- 6- حي الورد (Rose). سابقا حي بوعقل رابح حاليا
- 7- حي إفريقيا (Afrique).
- 8- حي تامساوت (Tamsaout).
- 9- حي بورنان (Bourenane).
- 10- حي الثانويات (Hadjra).
- 11- حي حميشة (Gitto).
- 12- حي محطة القطار (Gare).
- 13- حي سيقفالد (Siegwald).
- 14- حي المرملة (Sablière).
- 15- حي المحكمة (Justice).
- 16- حي القصبة (Casbah) و هو الحي الذي تم اختياره كميدان للبحث

2.2- لمحة عن بلدية برج الكيفان :

لمحة تاريخية:

تقع بلدية برج الكيفان على بعد حوالي 20 كيلومتراً شرق العاصمة الجزائر، وهي مدينة ساحلية تطل على خليج الجزائر. تبلغ مساحتها الإجمالية 21.73 كيلومتراً مربعاً. تتبع إدارياً إلى دائرة الدار البيضاء. تحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب الدار البيضاء. ، ومن الشرق محمية وباب الزوار، ومن الغرب الرويبة وبرج البحري.

كانت تعرف سابقاً باسم "Fort-de-l'Eau" خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية، ويُعني اسمها بالعربية "برج الصخرتين".

في العصر العثماني عام 1556، أمر محمد طاقولي ببناء قلعة شرق نهر الحراش تحسباً لأي غزو محتمل. وفي عام 1581، أكمل جعفر باشا بناء هذه القلعة التي عرفت بـ "قلعة الجروف".

في الفترة الاستعمارية عام 1835، حصل الأمير البولندي "مير ميرسكي" على قطعة أرض واسعة حول مزرعة "رأس الوطى" أصبحت تحمل اسم "la Rassauta"، لكنه اضطر لبيعها لاحقاً. وفي عام 1846، قررت الحكومة الفرنسية استقدام مستوطنين من "مينوركا" أحد الجزر بإسبانيا إلى المنطقة. وفي عام 1850، تم تأسيس قرية "فورت دي لو" على أرض مزرعة رأس الوطى. وفي عام 1871، تم ربط القرية بخط سكة حديد محلي. وفي عام 1881، أصبحت "فورت دي لو" بلدية مستقلة. وفي بداية القرن العشرين، أصبحت المدينة وجهة سياحية شهيرة، وتم بناء فندق وكازينو فاخرين فيها.

بعد الاستقلال: في عام 1962، تم تغيير اسم المدينة إلى "برج الكيفان". و هذه بعض المخططات و الارقام لتعرف على البلدية عامتا:



الخريطة رقم 02 تبين موقع بلدية برج الكيفان (المصدر goole Erthe)

التعداد السكاني والفئات العمرية لبلدية برج الكيفان حسب احصاءيات سنة 2020¹ :

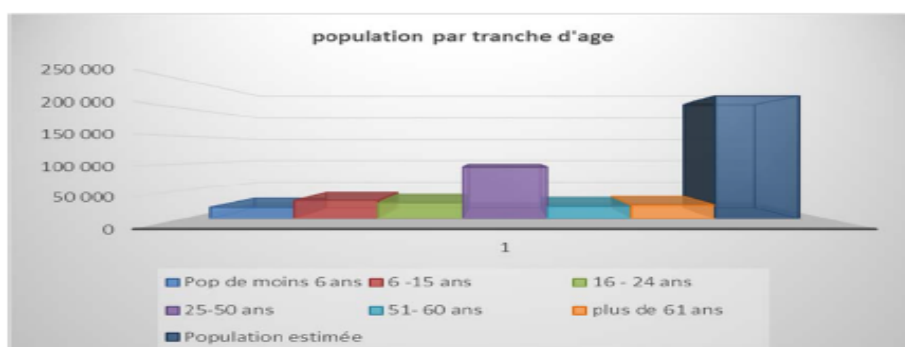
2. Population par tranche d'âge

Pop de moins 6 ans	6 - 15 ans	16 - 24 ans	25-50 ans	51 - 60 ans	plus de 61 ans	Population estimée
20 310	32 199	28 074	94 372	22 020	23 851	220 826

Source : DPSB

Constat :

La population de de la commune de bordj el kiffan se distingue par son extrême jeunesse , cette situation est liée comme d'ailleurs dans tous les pays en développement, à une forte natalité et un faible taux de mortalité.



¹المصدر: الديوان الوطني للإحصاء 2022

I. L'ASPECT DEMOGRAPHIQUE

POPULATION :

La commune de Bordj el Kiffan s'étend sur une surface de 21.73 km² soit 2173 hectares et abrite un nombre de population qui s'est élevée à 220 826 habitants en 2020, ce qui se traduit par une densité moyenne de l'ordre de 10162 habitants/km².

1. L'évolution démographique au sein de la commune de Bordj el Kiffan

Période	Population	Taux d'accroissement
RGP H 1977	46 590	77-87 1.07
RGP H 1987	61 035	87-98 5.44
RGP H 1998	103 690	98-08 3.89
RGP H 2008	151 950	08-20 3.16
RGP H 2020	220 826	

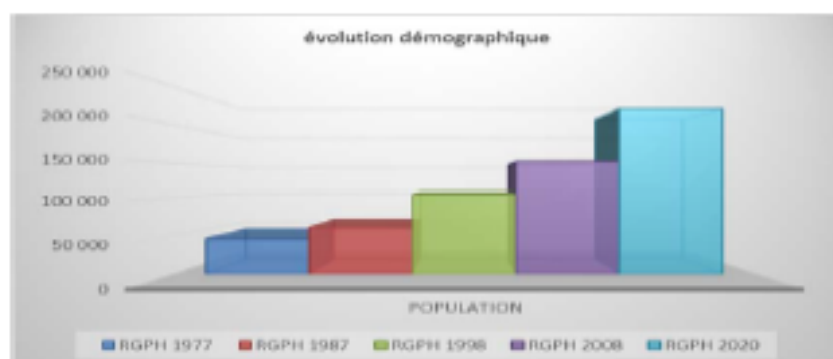
Source : DPSB+APC

Constat :

Durant la période (1977-1987) la commune de Bordj el Kiffan a connu un rythme de croissance stable qui affiche 1.07 % ce taux reste toujours stable. Par rapport au taux de période (1987-1998) qui affiche 5.44 %.

En ce qui concerne la période (1998-2008) on observe une moyenne croissance de population avec un taux de 3.89 %.

Le volume de population de la commune est passé de 151 950 habitants en 2008 à 220 826 habitants en 2020.



المصدر: ONS. RGPH 2022

Tableau récapitulatif parc logement et TOL 2020

Commune de BORDJ EL KIFFAN	RGPH 2020		
	Logements	Population	TOL
	30155	220 826	7 P/L

المصدر (RGPH 2020) ONS

تتربع بلدية برج الكيفان على مساحة قدرها 21.73 كيلومتر مربع ، وتستضيف عددًا من السكان يبلغ 220.826 نسمة عام 2020، مما يعني كثافة سكانية متوسطة تبلغ حوالي 10162 نسمة لكل كلم². موزعة

بين 11752 ذكور و 109102 إناث. للعلم أن هذه الكثافة تضاعفت مقارنة بإحصائيات 1998 التي قدرت أن ذاك ب 103960 نسمة كون هذه البلدية عرفت استقبال العديد من المشاريع السكنية بما فيهم استقبال السكان المرحليين من القصبة و التي هي محل اهتمامنا في هذا البحث .

بالنسبة لعدد السكنات فقد قدر عدد المساكن خلال 2020 ب 30115 مسكن ل 220.826 نسمة أي ما يعطينا نسبة شغل المسكن ب 7ش/س. في هذا الشأن تعرضنا للإشارة لحظيرة المساكن و التي من خلالها يمكننا دراسة العلاقة بين السكان والمساكن لتقييم مستوى رضا الساكنين في هذا الصدد. ولتحقيق ذلك، نعتمد على معدل إشغال المساكن لسنة 2020 .

فيما يخص المنشآت المتوفرة في اقليم البلدية نجد قطاع التربية يتوفر على 49 ابتدائية 22 متوسطة و 15 ثانوية ، المدرسة الوطنية العليا للتكنولوجيا ،المعهد العالي للإدارة والتخطيط ،المعهد العالي لمهن الفنون المسرحية والسمعية البصرية ، مركزين للتكوين المهني و التمهين . 12 مرفق صحي ،5 مراكز بريد ،42 منشأة رياضية ،6 مؤسسات ثقافية ،31 مسجد .

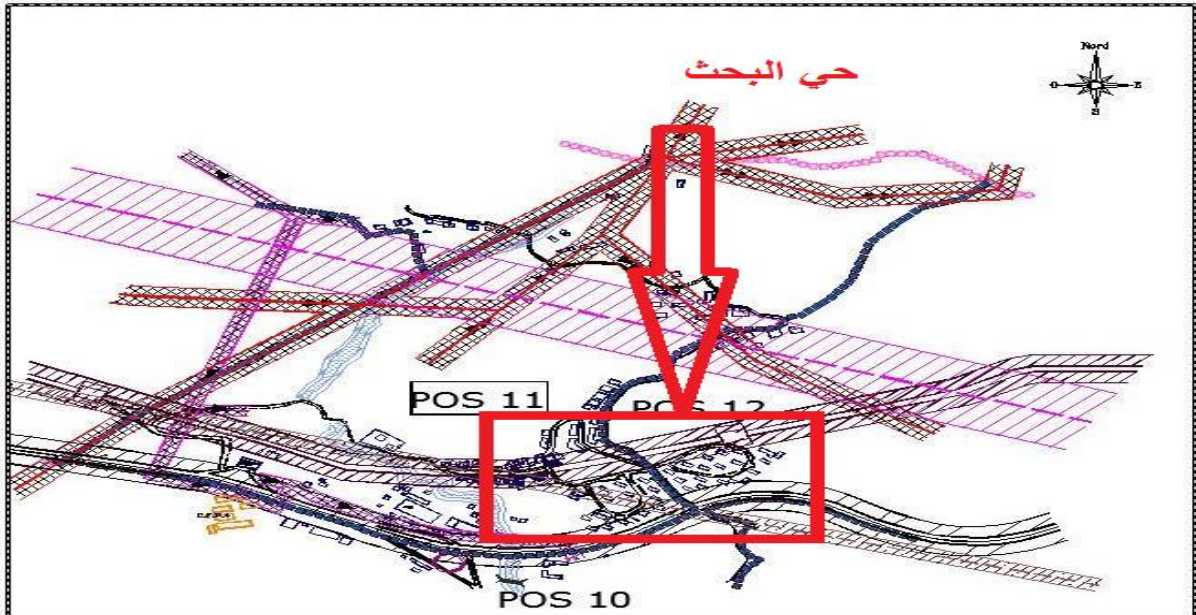
ومن أهم مناطقها العمرانية التابعة إداريا للبلدية نجد بني مرد، درقانة، بن زرقة، حي موحوس، حي راسوطة، الضفة الخضراء والتي يتواجد بها ميدان البحث الذي يحمل الاسم الرسمي حي 680 مسكن حميد و محمودي (المسمي غير رسميا بالقصبة) و الذي عرف استقبال 280 عائلة من احياء و مجمعات من بلدية القصبة سنة 1998 .

3- التعريف بمجال البحث :

1.3- التعريف بحي القصبة بالثنية :



خريطة رقم 03 تبين موقع حي القصبة بالنسبة لبلدية الثنية .



مخطط لموقع حي القصبة استنادا لمخطط شغل الاراضي POS 12-11 المصدر مكتب التهيئة والتعمير النثية .



صورة رقم 02 لحي القصبة - الثنية¹

يقع حي القصبة ببلدية الثنية و هو تابع في التقسيم العمراني لمخطط شغل الاراضي تحت رقم pos11 و pos 12 كون الطريق البلدي لبني عراب يقطع الحي الى قسمين . كما نجد الحي يقع في الجهة الغربية لبلدية الثنية وهو محاذي للطريق الوطني رقم 5 . يقيم فيه ما يقارب 1200 ساكن . نجد 350 مسكن عمودي يحوي 43 عمارة من 3 و 4 طوابق تم بناءها سنة 1984 من طرف شركة نروجية و قد تم بناءها باستعمال مواد بناء السكن الجاهز prés-fabriquer وهي مساكن مصنفة من طرف البلدية في خانة المساكن الواجب ازلتها بسبب مواد الاسمنت المستعملة ذلك الوقت والتي تثبت الدراسات الصحية انها مواد مضرة بالصحة . علما ان الطريقة التي صنعت بها كانت في اوقات قياسية مقارنة بمواد البناء الكلاسيكية والتي تتطلب وقت اكثر لانجاز هذه السكنات و التي استقبلت 250 عائلة من السكان المرحليين من القصبة سنة 1985 . الا انه تبين لنا بعد النزول لميدان البحث و مباشرة التحريات الميدانية انه في الحقيقة انخفض عدد العائلات المرحلة من القصبة الى 223 عائلة لاسباب مختلفة نحصر بعضها في خانة المسيرات السكنية التي تعرفها معظم العائلات .

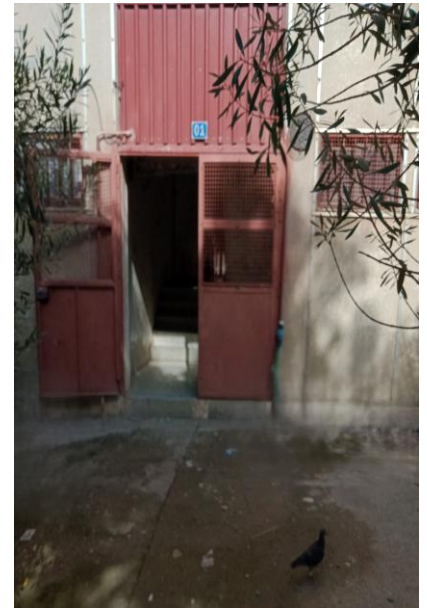
¹ Google Earth 2023



صورة رقم 05 للواجهة الخلفية للعمارة
(الكاتب 2024/02/15)

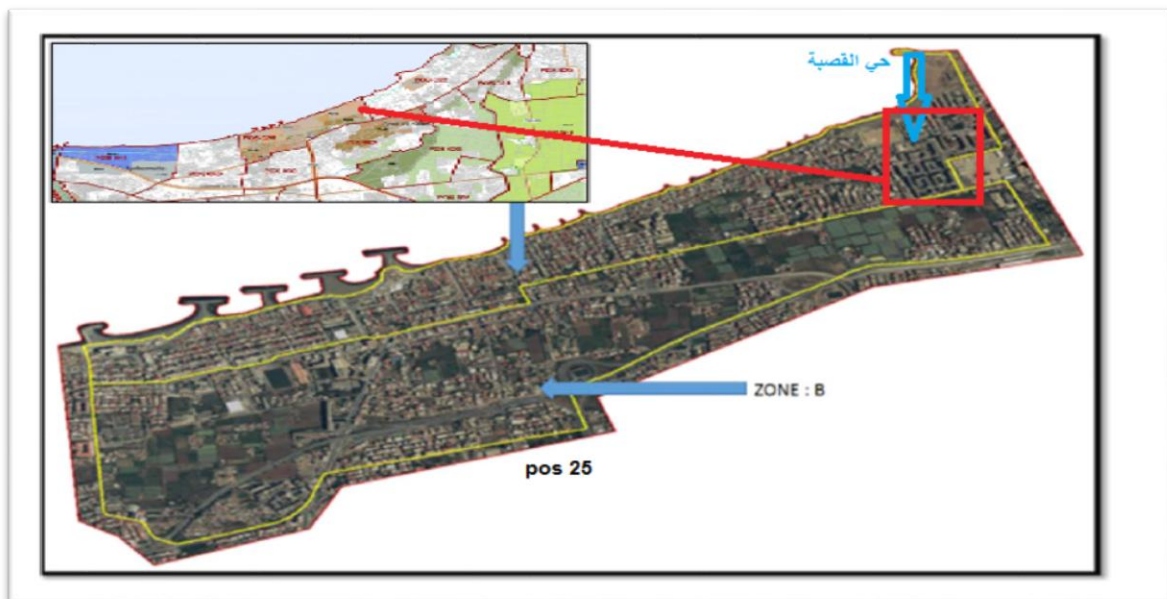


صورة رقم 04 للواجهة الامامية للعمارة
(الكاتب 2024/02/15)



صورة رقم 03 لمدخل العمارة بحي القصبة بالثنية
(الكاتب 2024/02/15)

2.3- التعريف بحي القصبة الضفة الخضراء بلدية برج الكيفان¹ :



صورة رقم 06 تبين موقع حي القصبة ببرج الكيفان

¹المصدر : مكتب التهيئة والتعمير لبلدية برج الكيفان

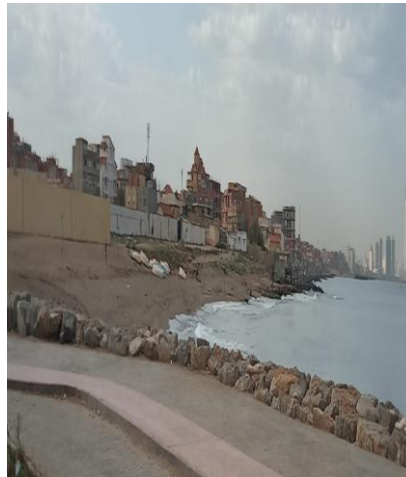


صورة رقم 07 تبين حدود حي القصبة ببرج الكيفان ¹:

بالنسبة لحي القصبة بالضفة الخضراء فهو يقع على الجهة الشرقية للبلدية على حدود حي الضفة الخضراء المصنف ضمن مخطط شغل الاراضي رقم pos25 يطل مباشرة على شاطئ الضفة الخضراء التابع لبرج الكيفان. نجد في الحي 650 مسكن و يأوي اكثر من 3419 ساكن . اي بنسبة شغل المسكن (tol) تقدر ب 5 افراد . الا انه انصب اهتمامنا حول 280 عائلة من السكان القدماء للقصبة والتي توصلنا اليها عن طريق رئيس جمعية 23 فيفري لحي القصبة بالضفة الخضراء والبعض من أعضائها و التي هي في الاصل سميت للتذكير باليوم الوطني للقصبة .



صورة رقم 10 تبين للساحة الرئيسية بحي القصبة
برج الكيفان (الكاتب 2024/01/18)



صورة رقم 09 تبين للواجهة البحرية بحي القصبة
برج الكيفان (الكاتب 2024/01/18)



صورة رقم 08 تبين للواجهة الامامية للعمارة بحي
القصبة
برج الكيفان (الكاتب 2024/01/18)

¹المصدر : مكتب التهيئة والتعمير لبلدية برج الكيفان

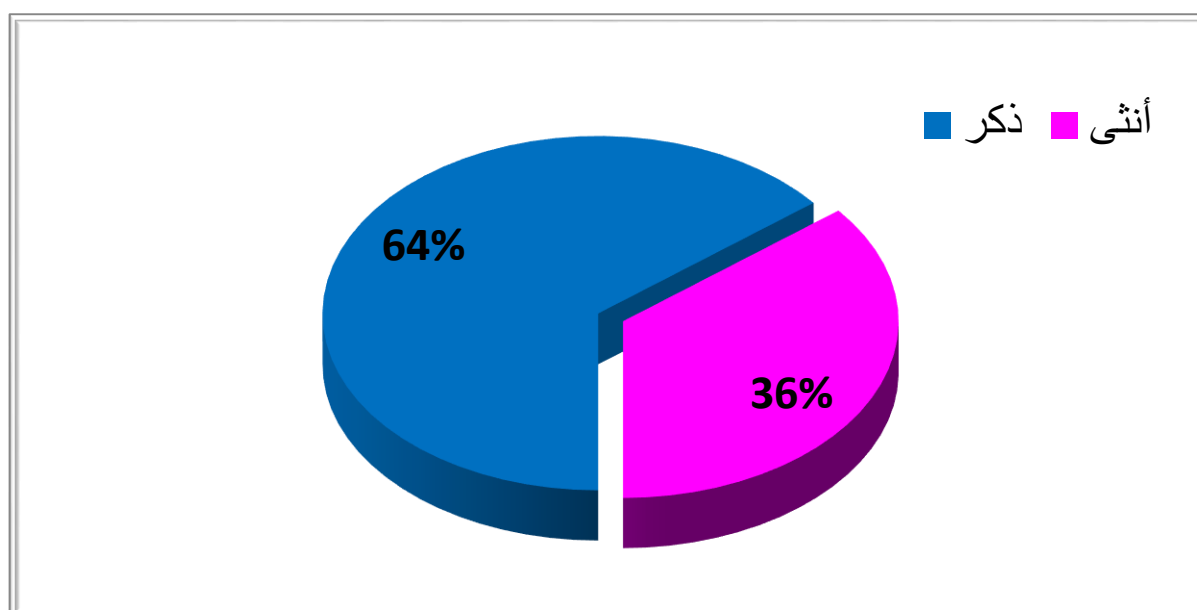
4- قراءة في خصائص عينة البحث :

في هذا القسم سنحاول معرفة خصائص الأشخاص الذين شاركوا في الدراسة وأجابوا على الاستبيان المقابلة المباشرة . سنعتمد على المعلومات التي جمعناها من الميدان وقمنا بتنظيمها في الجداول التالية".

جدول رقم 01 توزيع المبحوثين حسب جنس رب الاسرة :

الجنس	التكرار	النسب
ذكر	63	64.3%
أنثى	35	35.7%
المجموع	98	100%

رسم بياني رقم 01 يوضح جنس رب الاسرة

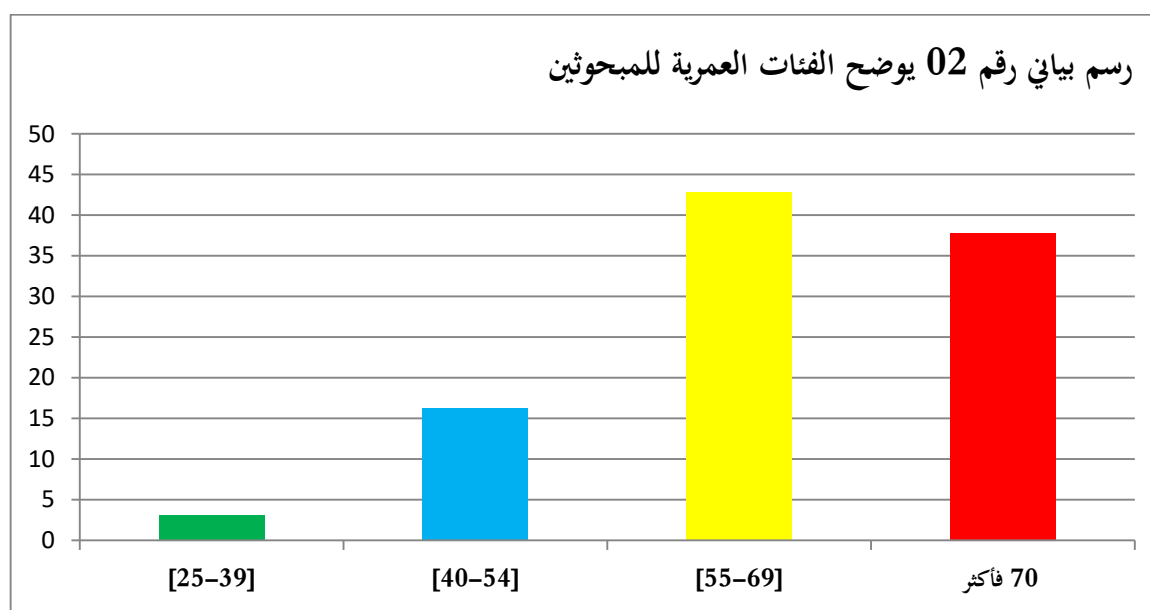


يتضح لنا من خلال الجدول أن أعلى نسبة من المبحوثين 64.3 % هم من فئة الرجال ، بينما أدنى نسبة ب 35.7% عند فئة الاناث

و يعود سبب التباعد في النسب المؤوية بين الجنسين لتأثير العوامل الثقافية و الاجتماعية على فئة النساء بحيث واجهتنا عراقيل و عدم تجاوب بالاضافة لتقادي المقابلات المباشرة من طرف بعضهن أو ذويهم مما أدى الى تقليل تمثيلهن في العينة النهائية .في المقابل كان الرجال أكثر تواصلًا مع الباحث حيث كان حضورهم في المقابلات أكثر من النساء .بالإضافة إلى ذلك، قد تكون النساء المسنات أكثر تحفظًا وأقل تفاعلًا مع الباحث، مما يحد من مشاركتهن في الدراسة.

جدول رقم 02 توزيع المبحوثين حسب الفئات العمرية :

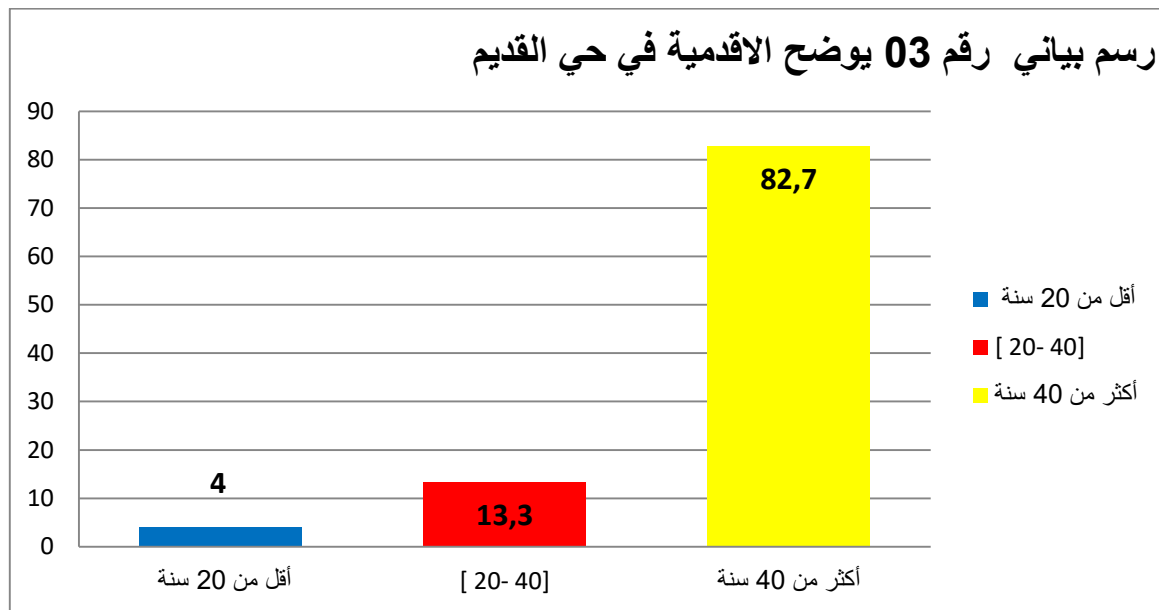
الفئات	التكرارات	النسبة
[39-25]	3	%3.1
[54-40]	16	%16.3
[69-55]	42	%42.9
70 فأكثر	37	%37.8
المجموع	98	%100



يظهر لنا من خلال الجدول أن أكبر نسبة 42.9 من المجموع الكلي للعيينة المدروسة من فئة عمرية تراوحت بين [69-55] ، تليها نسبة 37.8 % سجلت في الفئة العمرية لأكثر من 70 سنة ، بينما سجلت نسبة 16.3 % لدى الفئة العمرية [54-40] في حين سجلت أدنى نسبة لدى الفئة العمرية [39-25] بنسبة 3.1 % . و يعود ذلك إلى كون أكبر عدد من المقابلات التي أجريت في الحيين مع قدماء السكان المرحليين من القصبة العتيقة في اوقات نهائية اين معظم المستجوبين من فئة المتقاعدين بحيث أغلب اوقات فراغهم يقضونها في الحي او في البيت بينما كلما قل السن كان الانشغال و ضيق الوقت عائق لإجراء المقابلة .كما وجب التنويه انه من خلال نوع العينة التي عمدنا الى استخدامها (عينة الكرة الثلجية) اين كان تتبع سكان القصبة القدماء بحيث كان كل مبحوث يدلنا الى اخر من معارفه في الحي و من الواضح ان السن من بين احد المعايير الاساسية لتحديد الاقدمية بالنسبة لسكان المحروسة.

جدول رقم 03 توزيع المبحوثين حسب الاقدمية في :

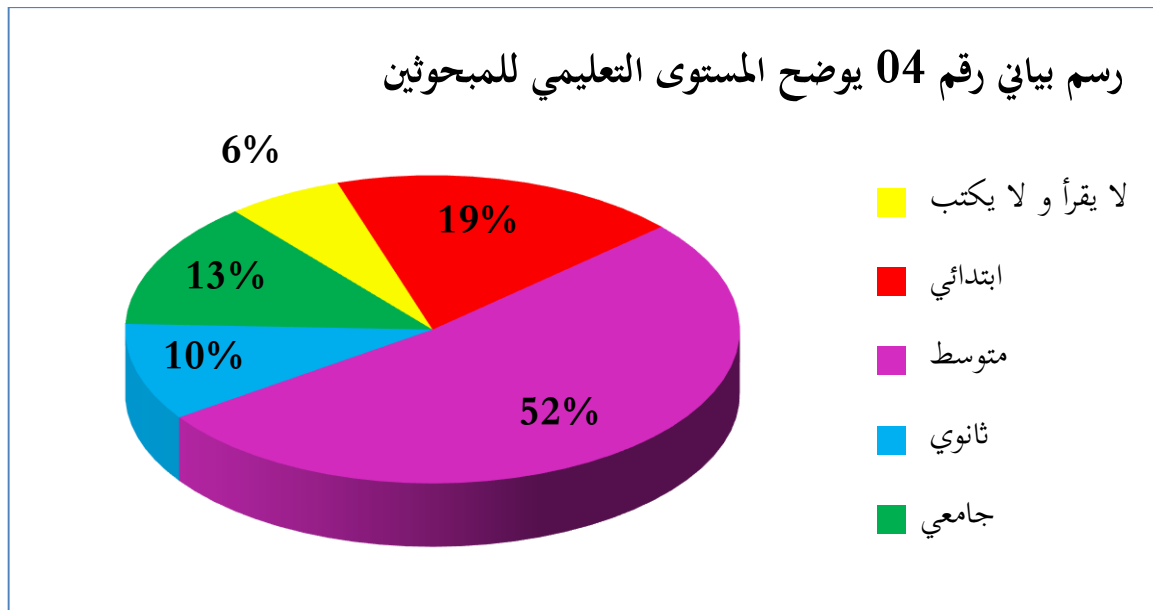
الاقدمية في القصة	التكرارات	النسبة
أقل من 20 سنة	4	%4
[20 - 40]	13	%13.3
أكثر من 40 سنة	81	%82.7
المجموع	98	%100



يعكس الجدول توزيع الأقدمية في حي القصة العتيقة بشكل مثير للاهتمام و من الواضح أن معظم المبحوثين من سكان المرحليين يمثلون نسبة تصل إلى 82.7% و لديهم أقدمية تزيد عن 40 سنة. هذا يشير إلى أن ميدان البحث يتمتع باستقرار سكاني ملحوظ قد يعكس الروابط الاجتماعية القوية والتقاليد الراسخة بين الأفراد كما يرجح ان يكون من بين اسباب اعادة تسمية الحي باسم القصة قصد ترسيخ هوية القصباجي اينما كان . بالاضافة لوجود عدد قليل جداً من السكان الذين تقل أقدميتهم عن 20 سنة (4%) دليل على أن الحي قد يكون أقل جذباً للوافدين الجدد، أو أن هناك عوامل معينة تجعل السكان يميلون إلى الاستقرار لفترات طويلة . بشكل عام يمكن أن تعكس هذه الأرقام ديناميكيات ثقافية واجتماعية مهمة تستحق الدراسة والتأمل.

جدول رقم 04 توزيع المبحوثين حسب المستوى التعليمي:

المستوى التعليمي	التكرارات	النسبة
لا يقرأ و لا يكتب	6	6.1%
ابتدائي	18	18.4%
متوسط	51	52.0%
ثانوي	10	10.2%
جامعي	13	13.3%
المجموع	98	100%

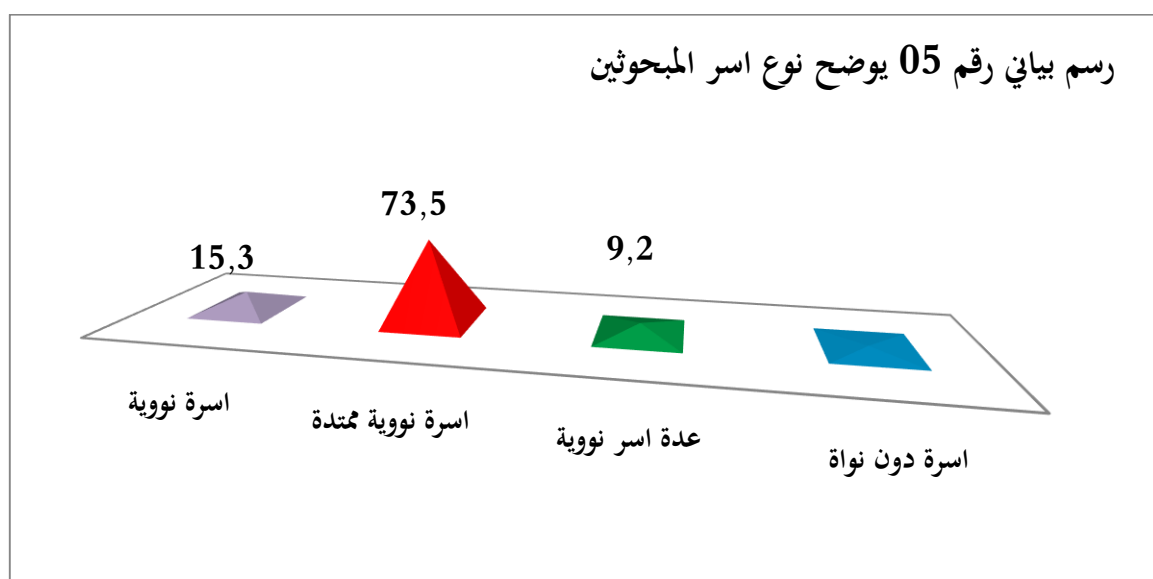


يتضح لنا من خلال الجدول أن أعلى نسبة للمبحوثين من فئة ذات مستوى متوسط بـ 52% ، ثم تنخفض النسبة عند باقي المستويات حيث سجلنا نسبة 18.4 % ممثلة للمبحوثين الذين لديهم مستوى ابتدائي ، تليها فئة الجامعيين بنسبة 13.3 % ثم فئة التعليم الثانوي بنسبة 10.2 % في حين أدنى نسبة وهي 6.1 % للمبحوثين الذين لا يقرأون و لا يكتبون وهي نسبة ضئيلة جدا. من خلال النسب نلاحظ أن العينة المستجوبة غالبيتهم تتمتع بمستوى تعليمي متوسط فأعلى ، ويمكن تفسير ذلك كون أن غالبية المبحوثين كانت لهم فرص كبيرة في التمدد نظرًا لأنهم ولدوا وترعرعوا في وسط حضري أين تتوفر فيه المدارس منذ القديم لكن لا يجب إهمال أن غالبية المبحوثين من سن

يفوق 55 سنة و من حي شعبي و عرف مشاكل اجتماعية و اقتصادية خاصتا بعد الاستقلال ما يمكن ان يؤثر على مواصلة الدراسة لمستويات اعلى .

جدول رقم 05 توزيع المبحوثين حسب نوع الاسرة :

نوع الاسر	التكرارات	النسبة
اسرة نووية	15	15.3%
اسرة نووية ممتدة	72	73.5%
عدة اسر نووية	9	9.2%
اسرة دون نواة	2	2%
المجموع	98	100%



يشير الجدول المبين اعلاه إلى توزيع نوع الأسر في العينة المدروسة، حيث بلغ إجمالي عدد الأسر 98 أسرة . شكلت اعلى نسبة الأسرة النووية الممتدة ب 73.5 % من المستجوبين ، وهي الفئة الأكثر انتشاراً بفارق كبير عن بقية الأنواع مما يشير إلى أن العيش في إطار الأسرة الممتدة هو النمط السائد،بينما شكلت الأسر النووية نسبة 15.3%، وهي نسبة أقل بكثير من الأسر الممتدة، مما يدل على أن العيش في أسرة صغيرة ومستقلة ليس هو النمط الغالب في هذا المجتمع المدروس.

بينما نوع عدة أسر نووية تمثل 9.2%، وهي نسبة تعبر عن وجود حالات تعيش فيها أكثر من أسرة نووية في نفس المسكن، و هذا ربما راجع لأسباب اقتصادية أو ثقافية. أما فيما يخص الأسر دون نواة تشكلت فقط ب 2% وهي نسبة ضئيلة، مما يعني أن عدد الأسر التي لا تحتوي على تركيبة أسرية تقليدية هو الأقل انتشاراً.

من المهم الإشارة الى ان هذه النسب تعكس طبيعة المجتمع الجزائري الذي يكون أكثر ارتباطاً بالتقاليد والأعراف الاجتماعية التي تدعم التعايش المشترك بين الأجيال المختلفة داخل الأسرة أما فيما يخص النسبة المتوسطة للأسر النووية او الأسر التي تنظم عدة انوية قد تشير إلى تحول بطيء في تركيبة الأسرة نحو الاستقلالية ولكن هذا النمط من الأسر غير مهيم، وذلك ربما يرجع لعوامل الاقتصادية تدفع العائلات للتعايش المشترك بسبب غلاء التكاليف المعيشية او لصعوبة توفير مسكن مستقل أو بسبب العوامل الثقافية التي تعزز الروابط الأسرية الممتدة.

و تبقى النسبة المنخفضة للأسر دون نواة 2% توحى بأن نمط العيش الفردي أو الأسر غير التقليدية ليس شائعاً بالنسبة للعينة المستجوبة، مما يدل على تمسك المجتمع القصباجي بالهياكل الأسرية التقليدية الا في حالات خاصة بسبب توفي الوالدين اين بقي الابناء في نفس المسكن لكن لم يشكلو أسر نووية بعد

خلاصة الفصل

بعد جمع البيانات والمعطيات الميدانية اللازمة عن الظاهرة التي نحن بصدد دراستها، واستعانتنا بالعينة المستجوبة باستخدام المقابلة الشفهية خلصنا الى ما يلي:

توزعت العينة على فئات عمرية مختلفة مع هيمنة واضحة لكبار السن من فئة الرجال الذين تزيد أعمارهم عن 55 سنة . هذه الفئة العمرية تتمتع بوقت فراغ أكبر خصوصاً بالنسبة لفئة للمتقاعدين التي ساهمة في البحث بشكل فعال . بالإضافة إلى ذلك فإن رغم طول مدة الإقامة في الحي الجديد بعد الترحيل الا ان ارتباطهم بالمجال القديم يبقى قوي ، حيث يشير غيست وويرزبيكي إلى أن "طول مدة الإقامة في الحي يعزز الروابط الاجتماعية ويزيد من المشاركة المجتمعية حيث يصبح الأفراد أكثر ارتباطاً بالبيئة الاصلية " ¹.

¹ Guest, A. M., & Wierzbicki, S. K : **Social Ties at the Neighborhood Level , Two Decades of GSS Evidence**". Urban Affairs Review, 35(1), 1999,p95 .

رغم مرور حوالى ثلاث عقود على الترحيل من مدينة القصبة الا ان الأفراد الذين يقيمون في الحي الجديد غالباً ما يكونون أكثر ارتباطاً بالتراث والتقاليد. هذا الارتباط يسمح لهم بأن يكونوا حماة للهوية الثقافية حيث ينقلون القيم والعادات من جيل إلى آخر، وفي هذا الصدد يوضح مورييس هالبواش عن الذاكرة الجماعية ودورها في تشكيل الهوية الثقافية أن "الذاكرة الجماعية تتشكل من خلال التفاعلات الاجتماعية المستمرة، حيث يعمل الأفراد على الحفاظ على الهوية الثقافية من خلال مشاركة الذكريات والتقاليد"¹.

لكبار السن وخاصة أولئك الذين تزيد أعمارهم عن 55 سنة يلعبون دوراً محورياً في الحفاظ على التراث والتقاليد. فهم يعتبرون مستودعاً للذاكرة الجماعية، حيث يحتفظون بالمعرفة التقليدية وينقلونها إلى الأجيال الشابة. وفي هذا السياق، يشير أسمان بشأن دور الذاكرة في الحفاظ على الهوية إلى أن "كبار السن هم حراس الذاكرة الثقافية، حيث يعملون على نقل التراث من خلال الحكايات والطقوس التي تعزز الهوية الجماعية"². و هذا ما التمسناه من مجموع المبحوثين حيث لهم استعداد للحوار و نقل كل صغيرة و كبيرة بهدف اثبات انتمائهم و هويتهم القصباجية و الحفاظ عليها من الاندثار .

يبقى نوع الأسر الممتدة تشكل النسبة الأكبر من العينة 73.5% أين يعتمد عليها كنموذج أساسي للتعايش في مجتمع الدراسة كما يمكن إعتبارها وحدة اجتماعية قوية تحافظ على التراث من خلال التماسك العائلي. هذا النوع من الأسر غالباً ما تكون أكثر التزاماً بالتقاليد حيث تعمل على تعزيز القيم الثقافية من خلال ممارسة العادات و التقاليد العائلية في مختلف المناسبات التي تقوي بدورها الراس المال الاجتماعي لدى الاسر . وفي هذا الصدد، يذكر كولمان أن "الأسر الممتدة توفر شبكة دعم قوية تسمح للأفراد بالحفاظ على تقاليدهم في مواجهة التغيرات الاجتماعية"³.

¹ Halbwachs, M : **On Collective Memory**. University of Chicago Press, 1992, p 78.

² Assmann, J: **Collective Memory and Cultural Identity**, New German Critique ,1995, p129 .

³ Coleman, J. S : **Social Capital in the Creation of Human Capital**. American Journal of Sociology, 1988,94, p 108 .

الفصل الثاني

لمحة عن القصبة العتيقة

تمهيد:

- 1 - الموقع و الديمغرافيا
- 2 - اختلاف التسميات عبر الزمن لمدينة القصبة
- 3 - الموروث الحضري و دوره في ترسيخ ذاكرة القصباجي
- 4 - ترسيخ هوية القصباجي من خلال الفترة الاستعمارية
- 5 - العمران و الهندسة المعمارية

خلاصة

تمهيد:

تُعدّ القسبة من أعرق المناطق في العالم و الشمال الافريقي اذ تشكل نواة المدينة القديمة، وتحمل في طياتها إرثاً حضارياً وثقافياً عريقاً يعكس تاريخ البلاد وهويتها. منذ نشأتها، كانت القسبة مركزاً للحياة الحضرية حيث عرفت تطوراً عمرانياً فريداً من نوعه يمزج بين الطابع الأندلسي العثماني والأمازيغي، مما جعلها تحفة معمارية تشهد على عصور من الرقي والازدهار الحضاري.

لعبت القسبة دوراً اقتصادياً وسياسياً مهماً منذ قرون مضت ، حيث كانت مركزاً تجارياً استراتيجياً يربط شمال إفريقيا بالدول المتوسطية ، كما كانت معقلاً للثورة التحريرية إبان الاحتلال ما جعلها رمزاً للنضال والصمود. ورغم التغيرات الحضرية الحديثة وعمليات الترحيل التي شهدتها لازال سكان القسبة منتشبين بعاداتهم وتقاليدهم، لتبقى الروح القصباجية حاضرة في أنماط العيش والتكافل الاجتماعي حتى وإن تغيرت معالم العمران.

في هذا الفصل، سنسلط الضوء على القسبة باعتبارها منطقة ذات طابع خاص، بدءاً بالتعريف بها جغرافياً و تاريخياً، ثم التطرق إلى خصائصها الديمغرافية، فاستعراض لاهم التسميات التي عرفتها المدينة عبر الحقب الماضية ، قبل الانتقال إلى أهم العوامل المساهمة في ترسيخ الهوية القصباجية الحالية من خلال الموروث المادي بحيث ركزنا على بعض المجالات الخارجية كونها ترددت في خطابات المبحوثين اين لمحنا بروز مجالات كالمساجد ،المقهى،الحمام ،السوق و العيون ،كما تطرقنا الى الموروث الامادي في القسبة ودوره في ترسيخ الهوية القصباجية من خلال التعاملات المختلفة في الحياة اليومية كا دور الكلمة في المجتمع القصباجي و اهمية التكافل و التضامن والطريقة الفريدة من نوعها في العيش في القسبة من اجل الحفاظ عليها بسبب نماطها العمراني، واخيرا اظهرار ملامح الهوية القصباجية قبل وخلال حرب التحرير و كيف ساهمة في الثورة و في اثبات وجود السكان القدماء حتى بعد الترحيل .

ويبقى هدفنا الذي نسعى اليه في هذا الفصل هو البحث و فهم خلفيات أحتفاظ السكان بعاداتهم وتقاليدهم بالاضافة لفهم الأسباب وراء تسميتهم للحي الجديد بنفس اسم الحي القديم، استكشاف الروابط الاجتماعية والثقافية التي تربط السكان بماضيهم .مما توجب علينا العودة إلى الحي القديم لفهم أعقق لماضي هذا المجتمع وثقافته. كما نسعى إلى تحليل و إستخلاص رؤى حول تأثير هذا الترحيل على الهوية الثقافية للسكان بعد الترحيل .

1- الموقع و الديمغرافيا

تحتل قصبة الجزائر موقع استراتيجي مقارنة بمدن البحر المتوسط كما انها تعتبر من أجمل المدن البحرية متوسطيا و عالميا" تُصنف كثالث أجمل مدينة بعد ريو دي جانيرو و نابولي"¹ تقع الجزائر عند خط عرض 36°46 شمالاً وخط طول 2°59 شرقاً، تطورت العاصمة الجزائرية على أرض منحدره تتدفق نحو البحر، ابتداءً من قلعة القصبة.



خريطة رقم 04 تبين حدود بلدية القصبة (Google Earth 2024)

بسبب طوبوغرافيتها، تنقسم قصبة مدينة الجزائر العتيقة، التي تمتد على مساحة 105 هكتاراً، إلى قسمين:

القسم الأول، "الجبـل" ويمثل القصبة العليا التي استطاعت الحفاظ على نمطها المعماري القديم ، أما القسم الثاني "al-wata" أو "السهـل" و يمثل القصبة السفلى والتي قام المستعمر بتغييرات كبيرة في نمطها العمراني بعد دخوله للجزائر اين قام بمسح الجهة البحرية لاعطائها طابع اوروبي كما فتح طرقات وسط القصبة ، و هي تقع على ارتفاع حوالي 20م فوق مستوى سطح البحر .في الجزء العلوي من المدينة، الذي يُعرف بـ "الجبـل" استقرت التجمعات البربرية. هناك عاش السكان الأصليون المعروفون باسم "البـلـدي" (سكان البلاد). في المقابل، الجزء السفلي من المدينة، أو ما يُعرف عادة بالقصبة، احتضن البحرية

¹ Nadi Assari : *Alger des origines à la régence turque*, Alger ,Éditions Alpha, 2007,p 17.

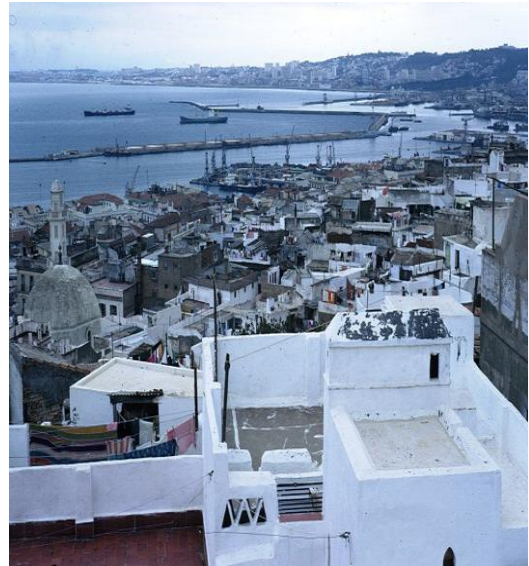
وأحياء الضواحي الواقعة خارج أسوار المدينة (مثل باب عزون وباب الواد) التي تعود أصولها إلى الحقبة العثمانية¹.

تعتبر القصبة منطقة سكنية تاريخية استقبلت في الماضي سكانًا من مختلف الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية من العائلات العريقة والتجار والحرفيين عبر عدة حقب زمنية ما جعل سكانها تتكتسب عادات و تقاليد حضرية كبيرة

و في وقتنا الحالي ، تعتبر القصبة منطقة ذات كثافة سكانية عالية مقارنة بمساحتها ، حيث يعيش فيها حسب احصائيات 2020 40734 نسمة أي بـ 37716 ن/كلم² . قاطنيها خليط من السكان المحليين الذين يمثلون تراثًا ثقافيًا غنيًا. ومع ذلك، تشهد المنطقة تذبذب في عدد السكان بسبب التدهور العمراني الذي تعرفه البلدية من جهة و كإستراتيجية للوافدين بهدف الاستفادة من سكن في اقرب الاجال فمن 49902 نسمة في 1998 الى نسمة 36762 في 2008³ ثم . رغم ذلك فكل من يسكنها يسحر بنمطها المعماري الفريد من نوعه حتى يصبح من اهلها يسكن بيوتها و يسير على نهج الاولين، من ممارسات يفرضها عليه النمط الهندسي لبيوتها و ازقتها بشكل أساسي . بمساجدها و اسواقها يمارس من خلالها عادات اهل المدينة التي يتفق الجميع عليها رغم الاختلاف الثقافي الا انه كل من يرتحل اليها يعشقها و يذوب فيها .



صورة رقم 12 لقصبة الجزائر (موقع ويكيبيديا مارس 2024)



صورة رقم 11 منظر لميناء الجزائر من احد اسطح القصبة (موقع ويكيبيديا مارس 2024)

¹ Ibid, P 17

² الدليل الإحصائي لولاية الجزائر لسنة 2020
³ الإحصاء العام للسكان و الاسكان 2008

2- اختلاف التسميات عبر الزمن لمدينة القصبة :

تعتبر قصبة الجزائر معلم تاريخي ومعماري هام في الجزائر اين نلمس الماضي العريق لهذه المدينة من خلال ازقتها و منازلها القديمة التي تروي قصصها عبر الازمنة .أنشأة المدينة خلال العهد الفينيقي اين عرفت بإسم "اكوسيم " ثم في العهد الروماني بـ " إكوزيزم " و بعدها أصبحت مأهولة بجماعات سكانية بربرية أطلق عليها اسم "بني مزغنة " و في سنة 950م قام الامير بولوغين بن زيري بتطوير المدينة معماريا و جعلها مركزا للتجارة البحرية لمرفأها الاستراتيجي الذي تحتله بالنسبة للبحر المتوسط و أطلق عليها اسم "الجزائر" نسبتا لاربعة رؤوس بحرية الموجودة قرب الميناء . لكنها بقيت منسية بسبب تعاقب الممالك بعد الزيريين ثم الحماديين لتعود للوجود بقدوم المسلمين من بلاد الاندلس سنة 1492 بعد سقوط غرناطة و فرار المسلمين . عرفت القصبة ازدهارا اقتصاديا و ثقافيا تحت وصاية قبيلة الثعالبة .

بعد المحاولات المتوالية لاحتلال المدينة من طرف الاوروبيين استتجد اهل المدينة بقيادة سليم تومي بالاتراك لكن بعد اخراج الاسبان سيطر بابا عروج على مقاليد الحكم و اصبحت المدينة تحتل المنطقة المتوسطية لتوفرها على اكبر اسطول بحري بمينائها الاستراتيجي الهام .

بلغت القصبة أوج ازدهارها خلال فترة حكم العثمانيين ، اين صارت مركزاً عسكرياً و سياسياً مهماً، بحصونها القوية وأزقتها الضيقة التي صممت بأسلوب يماثل الهندسة العثمانية والأندلسية. أصبحت مدينة الجزائر متكاملة عمرانيا اذ تلبي احتياجات سكانها بتوفير الحماية والرفاهية . لكن مع دخول المستدمر عام 1830، تعرضت القصبة لحملة تشويه أثرت على ملامحها الأصلية، اين تم تهديم أجزاء كبيرة منها لإقامة منشآت حديثة. ورغم ذلك، تبقى القصبة محتفظة بمكانتها التاريخية كأحد أبرز رموز مدينة الجزائر، حتى تم إدراجها ضمن قائمة التراث العالمي لليونسكو عام 1992.

تشويه الاسم العربي "الجزائر" - وفقاً لرئيسه لسبس المؤرخ والجغرافي الفرنسي - بطرق مختلفة من قبل الشعوب الأوروبية التي كانت على اتصال مع الجزائر .

يعود أصل اسم الجزائر إلى تشويهات مختلفة للاسم العربي "الجزائر" من قبل الشعوب الأوروبية التي تفاعلت مع المنطقة. تُعرف العاصمة اليوم بأسماء مختلفة في اللغات الأوروبية، مثل "أرجيل" في الإسبانية، "ألجير" في الإيطالية، "ألجيرز" في الإنجليزية والهولندية، و"ألجير" في الألمانية. بدأت العلاقات التجارية مع الجزائر في القرن الحادي عشر عبر البحارة الكاتالونيين والبيزانين والجنوبيين. وقد تم تبني ترجمات

مختلفة لاسم "الجزائر" من قبل الإسبان والفرنسيين والإيطاليين، والتي أصبحت لاحقاً مقبولة لدى الشعوب الأوروبية التي قامت بتعديلها لتناسب مع لغاتها.¹

اليوم، تقف القصة شاهداً حياً على تعاقب الحضارات، ووجهة للسياح والباحثين والفنانين الذين يستهويهم اكتشاف جمالها المعماري وأسرارها التي تعكس تاريخاً يمتد لقرون طويلة.

القصة ليست فقط مكاناً جغرافياً، بل هي ذاكرة تعكس التاريخ والثقافة العريقة للجزائر. من خلال مشروع الحفاظ عليها تُجدد القصة حضورها كرمز للتاريخ الأندلسي والعثماني. تتألق القصة بجمالها ونستشفها في عيون الشعراء والفنانين، حيث تمنح أسماء مثل "المحروسة" و"المحمية بالله" و"المنصورة" و"البهجة"، دلالة على قيمتها الروحية والجمالية.

القصة اليوم تُشكل "متحفاً مفتوحاً"، يجسد مقاومة الزمن ويذكر الأجيال الجديدة بأهمية الحفاظ على التراث للأجيال القادمة.²

3- الموروث الحضري و دوره في ترسيخ ذاكرة القصباجي :

يتم تعريف الموروث الحضري على أنه : "مجموعة مكونة من المباني الأثرية والهندسة المعمارية المبتذلة التي تحيط بها - وخاصة - المنازل"³ إن هذا الكل على وجه التحديد هو الذي يشكل قيمته الكبيرة في حين أنه من الممكن ألا يكون لأي عنصر إذا تم عزله عن الباقي ، فقيمه تشمل عدت أبعاد :بعد الاقتصادي والاجتماعي والبيئي وأخيراً الثقافي وكلها متشابكة بشكل معقد. فالتركيبة المتغيرة لهذه الأبعاد الأربعة تميز كل منطقة عن الأخرى بطبيعة تراثها العمراني الذي يؤثر بدوره في ترسيخ هوية سكان المدينة على كل المستويات سواء في طريقة التعامل مع المجال المادي بمبانيه و ازقته او كل ماهو لامادي من تعاملات مع السكان في المجال المعاش . و هو ينقسم الى شقين أساسيين و هما موروث مادي و موروث لامادي

3-1. الموروث المادي من خلال المجال الخارجي:

لا يرتبط الموروث المادي بالضرورة بالتراث الذي سيتم نقله، وهو نابع من التاريخ القديم إلى حد ما للإقليم أو الجماعة التي تم أخذها بعين الاعتبار. ولذلك فإن الموروث بالضرورة له بعد جماعي.

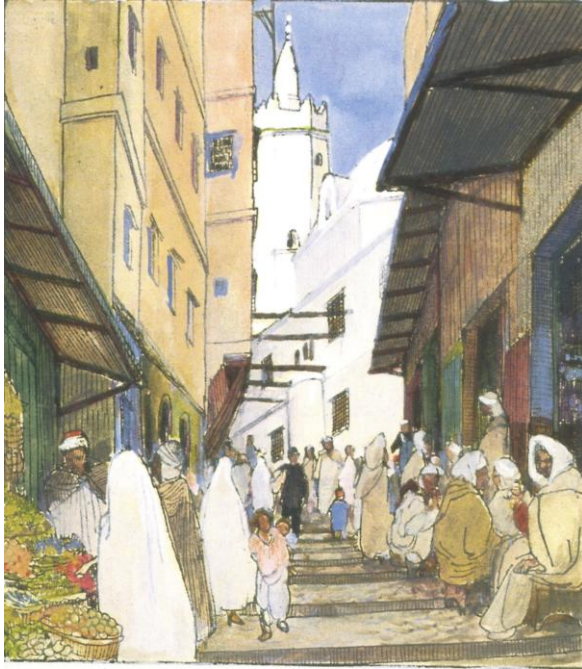
¹Nadi Assari : *Alger des origines à la régence turque*, Alger ,Éditions Alpha, 2007,p18

²paule guion : *la casbah d'Alger* , Éditions publisud, 1999,p 7

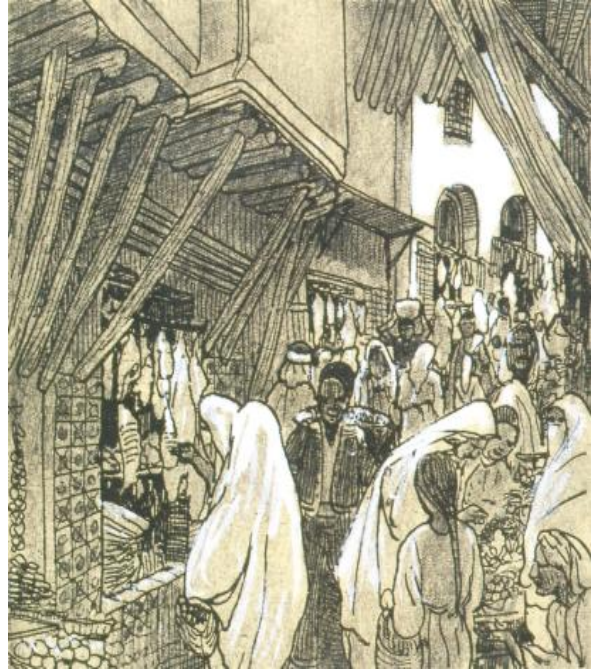
³ Laurent et Vincent Geronimi : *Transmettre un patrimoine : seuils et soutenabilité*, *Techniques Financières et Développement* vol 118, no. 1 (2015), 51-64.

كما يمكن تعريفه بأنه "مجموعة من السلع المادية التي من خصائصها تمكين إقامة صلة بين الأجيال، الماضية والمستقبلية. ولذلك فهو يأتي من تراث نتاج للتاريخ القديم إلى حد ما أو لمنطقة أو مجموعة اجتماعية".¹

فنجده يتجسد في مختلف المباني التي نجدها في المدينة العتيقة و التي توالى عليها الاجيال من مختلف المناطق و الاديان .كانت القصبة تحتفظ بجوهرها التقليدي الذي يشبه الحياة في الحقبة العثمانية الى وقت قريب. بقيت التقاليد شفوية دون تغييرات كبيرة، مما جعل الحياة اليومية في القصبة مثلاً على استمرارية التراث.



صورة رقم 14



صورة رقم 13

صور توضح السوق اليومي واللباس التقليدي لسكان القصبة في بداية القرن 19²

من خلال المقابلات التي اجريناها مع السكان تبين لنا انه هناك عادات توارثها سكان القصبة من خلال المجال المادي المستغل و الذي يلعب دورا مهما في توارث الهوية و التراث القصباجي العتيق ،بحيث نلاحظ تقاسم المجال الداخلي و الخارجي بين النساء و الرجال لذلك نجد مجالات حكرا على الرجال و اخرى على النساء لكن لاحظنا ان السكان ركزوا على مجالات دون الاخرى و قد حاولنا حصرها كالآتي:

¹ Vernières, Michel : **Le patrimoine : une ressource pour le développement** , Techniques Financières et Développement, vol. 118, no. 1, 2015, pp. 7-20.

² paule guion : **la casbah d'Alger** , Éditions publisud, 1999,p 209 .

- المقهى :

كما اشرنا اليه سابقا ان القصة مقسمة الى قسمين القصة السفلي و التي نجد بها مقاهي يتردد عليها السكان منها الحديثة والتي عادت نجدها تسمى قاعة الشاي « salon de thé » بحيث عادت ما تكون مختلطة بين الجميع و من كلى الجنسين . كما نجد مقاهي لازال السكان يترددون عليها رغم ترحيلهم نحو احياء جديدة كا قهوة التلمساني في جهة البحرية و قهوة القوراري .

بالاضافة الى مقاهي بالقصة العليا لازالت تحمل طابع القصة العتيقة بحيث تلمح فيها الاصاله و تاريخ المنطقة اين يشير الجميع انها بقية على حالها منذ الاستقلال بموسيقاها الشعبية و ديكورها القديم بحيث نلمس عراقة المنطقة بمجرد الوقوف على عتبة المقهى وهذه المقاهي تلعب دورا مهما في توطيد العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع القصباجي .

فزيادتا عن الدور الذي تلعبه في ملاقات السكان نجدها تلعب دور الاعلامي الذي تستقي منه كل الاخبار عن الجيران بسبب القرب المجالي بحيث يتم تبادل الاخبار عن كل صغيرة و كبيرة و في كل المجالات بالاضافة انه مكان تلمح فيه التوترات الحاصلة بين الجماعات في الحي اين تخلق تمييز بين السكان القدماء و الجدد في الحي بطريقتهم في الحديث و سرد الحكايات الماضية باستعمال لغة اقل ما يقال عنها انها لغة قصباجية محلية والتي يستعملها السكان عادتا لاطهار اقدميتهم في الحي كاسرد قصص عن دكاكين كان اصحابها ينشطون في الحي او عن وقائع حدثت منذ زمن الثورة و هم شاهدون عليها بالاضافة لحفلات الزفاف او الختان او عن الرياضة و المنافسة العنيدة بين المولودية و اتحاد العاصمة . فمن خلال احد الخرجات التي قمنا بها في القصة مع احد القدماء دار حديث بينه و احد المترددين على المقهى لمحنا طريقة خاصة لتمييز القدماء عن الجدد بحيث عن طريق الحديث الذي يدور بينهم من اسئلة تبدأ عن الحومة التي يسكنها او كان يسكنها ثم عن العائلة فمكان عقد القران اين أغلب قدماء القصة لا يكفي انهم مولودون بالقصة بل غالبيهم عقد القران في دار القاضي وهذا من بين معايير انتقاء القدماء من الجدد. كما انها تلعب دورا اجتماعي بحيث يشير احد المستجوبين الى انه مجال عندما يقرر الابن الزواج من فتاة بعد ابلاغ الوالدة التي تتحرى عن الفتاة عن طريق مجالات نسوية ، تخبر بدورها الاب يقوم بالتحري عن عائلة الفتاة عن طريق اصدقائه و معارفه اين يتقدم لوالد الفتاة مع احد اصدقائه داخل المقهى الذي يتردد عليه و من خلال هذا المجال يبدأ في التحري عن العائلة ثم الحديث عن ما اذا كان من العائلات القديمة بالقصة و هل العائلة ذات سمعة في الحي .

كما نجد انه يستخدم كمكتب للفنانين اين يتم استقبال طلبات الفنانين لافراحهم و اشهر هذه المقاهي مقهى "مالاكوف" او كما كانت سابقا تسمى "قهوة الفنارجية" و التي عرفت استقبال حفلات لأكبر الفنانين للطابع الشعبي العاصمي و التي لا تزال تلعب هذا الدور ليومنا هذا من خلال احياء الامسيات الرمضانية بالاضافة لعديد الاعياد كا اليوم الوطني للقصبة والذي يصادف كل 23 فيفري اين تقيم جمعيات القصبة في احياء ليالي و سهرات في ذات المقهى .



صورة رقم 17
مقهى مالاكوف (الكاتب أفريل 2020)



صورة رقم 16
مقهى سيدي رمضان
le Repère (الكاتب أفريل 2020)



صورة رقم 15
مقهى التلمساني (الكاتب أفريل 2020)

- الحمام :

الذهاب إلى الحمام في القصبة كان دائما جزءا من حياة سكانها اليومية، وهو تقليد ورثوه منذ العهد العثماني. السبب وراء هذا الاعتماد على الحمامات العامة هو أن أغلب البيوت التقليدية كانت تفتقر إلى مصادر المياه داخلها أو حتى لحمامات خاصة. لهذا كان السكان يتوجهون إلى الحمامات العامة لقضاء حاجتهم من النظافة والاستحمام حيث يولى المجتمع القصباجي أهمية كبيرة للنظافة ففي حوار مع عمي

الزوبير احد قدماء القسبة يقول : "من زمان يقولك جوز على عدوك بطرف صابون او ماتجوزش عليه بكتف لحم "لم يكن الذهاب إلى الحمام مجرد نشاط عادي، بل ارتبط بعادات وطقوس محددة. كان هناك تجهيزات خاصة قبل الذهاب، وأزياء معينة يتم ارتداؤها، وأدوات استحمام مميزة. هذه الطقوس أضافت بُعدًا ثقافيًا واجتماعيًا خاصًا للحمام في حياة أهل القسبة، حيث أصبح ليس فقط مكانًا للنظافة، بل أيضًا مركزًا اجتماعيًا يجمع الناس (في أوقات منفصلة للرجال والنساء) ومعلمًا جغرافيًا معروفًا يستخدمه السكان كمرجع أثناء تنقلاتهم.

اذ يبقى استعمال هذا المجال مقسم في الوقت منذ الصباح لغاية الخامسة مساء للنساء اين يتعدى دور الحمام كمكان للاستحمام و النظافة ليلعب دور الاعلام عند الفئة النسوية اين يتم تبادل الاخبار عن كل كبيرة و صغيرة تدور في القسبة سواء من العائلات القديمة او الجديدة ، اضافتا لاختيار العروسة المستقبلية لابناءهم . كما يستعمل بالنسبة للرجال بعد الخامسة مساء للاستحمام بالاضافة لكونه مأوى للغرباء عن المدينة ليلا فيلجأ اليه كمرقد الا انه هذه الوظيفة توقفة خاصتا منذ العشرية السوداء بسبب تدهور الضروف الامنية في العاصمة .

حاليًا، لا تزال القسبة تحتضن الكثير منها مقارنة ببلديات الأخرى، و الاكيد ان الحمامات في القسبة تؤكد أنها ليست مجرد أماكن للاستحمام، بل إنها لا تزال تمثل معالم اجتماعية وجغرافية مهمة في حياة القصباجيين.



صورة رقم 19 لمدخل حمام النيل بـ قسبة الجزائر (المصور حبيب بوسنة)



صورة رقم 18 لمدخل حمام سيدي محمد الشريف بـ قسبة الجزائر
(صور الفنارجية-انستاقرام)

يلعب المسجد دورًا كبيرًا في حياة سكان القصبة وأهميته يتعدى مجرد كونه مآكن للعبادة بل يُعتبر جزءًا أساسيًا من النسيج الحضري والاجتماعي. القصبة نفسها تمتد على حوالي 105 هكتارًا، وهي معروفة بتضاريسها الصعبة وكثافتها السكانية العالية، حيث يعيش فيها حوالي 40734 نسمة¹. هذا الحي التاريخي يضم 14 مسجدًا، و11 مدرسة قرآنية². يعتبر المسجد أكثر من كونه مكان للعبادة، بل يعتبر من ركائز الحياة الاجتماعية في القصبة. إذ لاحظنا من خلال خطابات المبحوثين أنه يستعمل لارشاد عن الأماكن، كما أنه مرتبط بقصص عن المنطقة من أولياء صالحين. كما تبين أن المساجد تجمع سكان الحي ويعزز إحساسهم بالانتماء وتقوية الذاكرة الجماعية لديهم. بعض المساجد لها أسماء تحمل قصصًا خاصة، مثل مسجد "علي بن أبي طالب" الذي بناه قرصان في عام 1622، أو مسجد "كتشاوة" اسمه مستوحى من استخدام المنطقة قديمًا كمكان لرعي الماعز حسب أقوال أحد المستجوبين. حتى مع الاستعمار الفرنسي، الذي كان له تأثير كبير في احتواء الثورة بحيث يشهد امام "مسجد سيدي رمضان" بالدور الذي لعبه الأئمة في فترة الثورة التحريرية نظرًا لأن جل السكان يترددون على المساجد للعبادة بالإضافة للدور المحوري الذي كان يلعبه المسجد في توزيع الزكاة والمؤونة على أبناء القصبة في هذه الفترة الصعبة، حتى المساجد التي تم محوها من قبل المستعمر لاتزال راسخة في ذاكرة القصبانيين. مثل مسجد "السيدة" "مسجد سيدي ربي"، و"مسجد ميزومورتو" الكبير الذي تم هدمهم في بداية الاستعمار لكن لا تزال حاضرة في حديث الناس رغم عدم وجودها.

في الماضي، أشار الكاتب A. Devoulx دي فولوكس إلى أن القصبة كانت تضم أكثر من 166 مكان للعبادة: 13 مسجدًا كبيرًا، 109 مسجد صغير، 32 مصلًى و12 زاوية³. أما اليوم، فبقي فقط حوالي 25 مكانًا للعبادة بين مساجد وقاعات صلاة ومدارس قرآنية. هذا التغيير الكبير يعكس جزءًا من التحولات الذي مرت بها المنطقة، ومع ذلك تظل المساجد تلعب دورًا محوريًا في حياة السكان. المساجد ليست مجرد أماكن للصلاة؛ بل تُعتبر مساحات اجتماعية تجمع بين الناس. حتى طريقة الحضور للمسجد تخلق نوعًا من التقسيم الاجتماعي - مثل الأشخاص القدماء للقصبة والحرصيين على

¹ الدليل الإحصائي لولاية الجزائر 2020 ص 7

² نفس المرجع السابق ص 80

³ T. Shuval : **Introduction à la deuxième partie**, dans *La ville d'Alger vers la fin du XVIIIe siècle* (1), CNRS Éditions, 2002, <https://doi.org/10.4000/books.editions-cnrs.3692>.

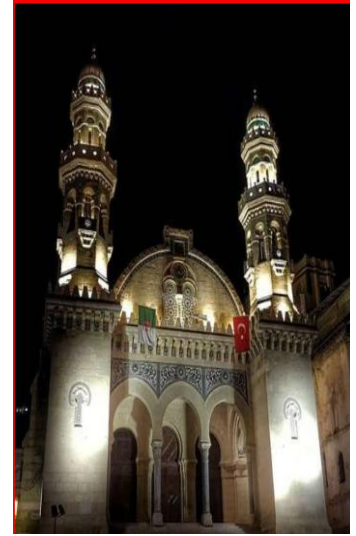
صلاة ، يفضلون الجلوس في الصفوف الأولى من الجهة اليسرى . كل هذه التفاصيل الصغيرة تُظهر كيف أن للمساجد أهمية تتعدى دور عبادة، بل تعتبر كجزء من هوية القصة وتاريخها.



صورة رقم 22 داخل مسجد سيدي رمضان
(الكاتب 20/03/2018)



صورة رقم 21 لجامع سفير
(الكاتب 20/03/2018)



صورة رقم 20 لمسجد كتشاوة
(موقع جريدة الموعد اليومي 17/12/2018)

- العيون :

كانت جزءًا أساسيًا من حياة سكان الجزائر خاصة في مدينة القصبة، حيث كانت المصدر الرئيسي للمياه الصالحة للشرب. في البداية، كان السكان يعتمدون على مياه الجبال المحيطة، التي كانوا يخزنونها في جرار فخارية. أول عين معروفة في المدينة كانت قرب باب البحر (بالقرب من موقع الأميرالية حاليًا)، وكانت تُعتبر مصدرًا مشتركًا لتموين بالمياه لكل السكان، حتى أنهم بدأوا يقدسونها مع مرور الوقت. في القرن الخامس عشر، ومع وصول المسلمين الفارين من الأندلس عام 1492، بُنيت شبكة لنقل المياه إلى داخل القصبة. مع الوقت اعتمدت العائلات القصباجية على العيون المنتشرة في الأحياء. في القرن السادس عشر، كانت الجزائر تضم حوالي 150 نافورة¹. مع مرور الزمن، تضاعف هذا العدد إلى 23 نافورة في الثمانينيات، واليوم لم يتبق منها سوى 7 نوافير ما زالت تعمل، منها "عين سيدي رمضان" و"عين بير جباح" و"عين سيدي محمد الشريف". البقية إما جفت أو لم يتبق منها سوى مواقعها أو زينتها.

¹مقابلة شفوية مع المختص في التاريخ. محمد بن مدور، دار عزيزة، الديوان الوطني لتسيير و استغلال الممتلكات الثقافية المحمية 2017/03/17

خلال الاستعمار الفرنسي، لاحظ الفرنسيون أهمية هذه العيون، لكنهم لم يفعلوا الكثير للحفاظ عليها، رغم أنها رمز ثقافي ومعماري فريد.

كما انها لم تكن مجرد مصدر للمياه. بل كانت جزءًا من حياة الناس اليومية، مكانًا يلتقي فيه سكان الحي، ويلعب فيه الأطفال، وتجتمع فيه النساء للحديث كما كانت مصدر رزق لبائعي المياه حتى أن بعض النوافير حملت أسماء تعكس استخداماتها، مثل "عين الهاجل" التي كانت مكانًا مخصصًا للنساء الأرامل والمطلقات، و"عين العطش" التي اشتهرت بجودة مياهها. اليوم، ورغم التغييرات التي طرأت على المدينة، تظل العيون رمزًا من رموز ذاكرة القصة وهويتها الثقافية. لا يزال السكان المحليون يسعون للحفاظ عليها وترميمها، لأنها ليست مجرد معالم تاريخية، بل جزء من روح المكان.



صورة رقم 25

عين بن شبانة (الكاتب 20/03/2018) عين سيدي رمضان (الكاتب 20/03/2018) عين بير جباح (الكاتب 20/03/2018)



صورة رقم 24



صورة رقم 23

- الأسواق

خلال الفترتين العثمانية والفرنسية، كانت الأسواق في مدينة الجزائر القديمة تتركز في الجزء السفلي من القصبة، المعروف باسم "الأوطا"، أي المنطقة المسطحة. بعد أن تم تدمير هذا الجزء بالكامل، نُقلت الأسواق إلى مناطق تقع عند حدود القصبة العليا والسفلى، مثل شارع عمار علي وشارع أرباجي عبد الرحمن.

في ذلك الوقت، كان هناك أكثر من 55 سوقًا متخصصًا، وكل سوق يختص بنشاط معين. مثلًا، كان هناك سوق المرصصين المعروف بـ"سوق الرصاصية"، وسوق العطور "العطاريين"، "سوق الخضاريين" المخصص للخضر والفواكه وقنداقجية "سوق متخصص بخشب البنادق و البراميل الخشبية"¹ وغيرهم من الأسواق المتعددة. حتى يومنا هذا، لا يزال الجزء السفلي من القصبة يحتفظ بطابعه التجاري. بعض الشوارع لم تعد تُعرف بأسمائها الأصلية، بل أصبحت تُسمى حسب الأنشطة التجارية التي تُمارس فيها. مثلًا، "زنقة العرائس" هو اسم شارع تُباع فيه مستلزمات الزواج واحتياجات العرائس، في حين أن "زنقة اللوز" سُميت بهذا الاسم بسبب وجود محلات كثيرة تباع المكسرات بصفة عامة.

دور الأسواق في القصبة يتجاوز البيع والشراء، فقد كانت هذه الأسواق بمثابة أماكن للقاء السكان وتبادل الأخبار والآراء. كما كانت تُعتبر نقاطًا لتوجيه في القصبة، إضافةً إلى دورها الحيوي في تلبية احتياجات السكان اليومية.

في الوقت الراهن، لا تزال العائلات المرحلة من القصبة تتردد على الأسواق لشراء احتياجاتها من الباعة الذين يعرضون بضاعتهم على الأرصفة المخصصة لذلك داخل القصبة. ولا يترددون في العودة إلى إليها في كل المناسبات بحيث عبر غالبية العائلات المرحلة عن اشتياقهم لهذه الأسواق التي تمثل لهم جزءًا مهمًا من هويتهم وذاكرتهم القصباجية. خلال بعض المقابلات التي أجريناها، لم نطرح أسئلة مباشرة حول الأسواق، لكن في بعض الحوارات المفتوحة، ذكر السكان الأسواق كمعالم اجتماعية واقتصادية مهمة، وقدموا لنا معلومات جديدة عن دورها في حياة سكان القصبة.

3-2 تميز اولاد القصبة من خلال الموروث الامادي :

يمكن القول إن ارتباط السكان بالمدينة العتيقة لا يقتصر فقط على الروابط العائلية الحالية بل يمتد بجذوره إلى الماضي وإلى عالم الأجداد. يظهر هذا الامتداد جليًا في طريقة التعامل في الماضي بين القاطنين فيما بينهم داخل أسوارها و أسواقها. هذا الامتداد من ذاكرة الأجداد إلى أبناء الحاضر تستعيد قوتها وتشتد في ظروف معينة.

التقاليد الشفهية بما تحمله من قيم ثقافية وتعليمية، تطفو على السطح في تفاصيل الحياة الاجتماعية، إذ تلعب دورًا محوريًا في الحفاظ على الذاكرة الجماعية، وبناء جسور التواصل بين الأجيال. من هنا ينبع

¹ T. Shuval : **Annexe I : La répartition des marchés**, dans *La ville d'Alger vers la fin du XVIIIe siècle*, CNRS Éditions, 2002, <https://doi.org/10.4000/books.editions-cnrs.3697>.

شغف المدينة بالأساطير ،البوقالات والأمثال، الحكايات والشعر الشعبي، حيث تعكس هذه العناصر تراثاً غير مادي متوارثاً، يعيد إحياء الدروس والتعاليم التي تناقلتها الأجيال عبر القرون.

هذا التراث، الذي تشكله كلمات الأجداد وقصصهم، لا يتلاشى مع مرور الزمن، بل يجد امتداده في المخيلة الجماعية للسكان موثقةً أثر الأجداد في ذاكرة الأحياء وكأنهم لا يزالون جزءاً من النسيج الاجتماعي والثقافي

للمدينة.وهذا ما يجعلهم يتميزون عن باقي المدن الحديثة و من اهم هذه الموروثات الامادية نجد :

- الكلمة و مكانتها في المجتمع القصباجي

في الجزائر القديمة خلال فترة الغزو، كان الأمية لا تزال ظاهرة اجتماعية، لكن رغم ذلك، كانت الكلمة تحظى بمكانة عالية. ورغم النشاط الكبير للمدارس والزوايا، لم يكن هناك حاجة لتوثيق الالتزامات كتابياً ، لأن خيانة الكلمة كانت كافية لنبد الشخص في المجتمع. و حسب شهادة حمدان خوجة¹ عن مواطني القصبية بعد عامين من الاحتلال " معظم التعاملات تتم دون عقود مكتوبة ودون الحاجة إلى شهود ويؤدي الناس التزاماتهم بوفاء."² في مجتمع القصبية، كان للتقليد الشفهي مكانة عظيمة تفوق الاعتماد على الكتابة. كانت الكلمة الموثوقة تُعتبر رمزاً للصدق والشرف وخيانة الوعد كانت تؤدي إلى عزلة اجتماعية. عند إقامة حفلات الزفاف أو المناسبات العائلية كان السكان يتبادلون الأدوات الثمينة مثل المجوهرات دون الحاجة إلى عقود مكتوبة أو أدلة تثبت ذلك حيث كانت النية الحسنة والالتزام الأخلاقي هما الأساس في هذه المعاملات.

- التكافل و تلاحم الاجتماعي في القصبية :

في القصبية القديمة كانت الحياة تتميز بعلاقات إنسانية قوية تضاهي الحياة القروية، حيث كان الجميع يعرفون بعضهم البعض ويتشاركون الأفراح والأحزان. رغم وجود البطالة كانت روح التضامن التقليدي

¹ حمدان خوجة، وُلد سنة 1773 و تُوفي سنة 1845 هو من كراغلة الجزائر. حفظ القرآن وتعلم العلوم الدينية، ثم تلقى تعليمه في الأصول والفلسفة والطب. بعد وفاة والده اتجه إلى التجارة ونجح فيها مما جعله من أغنياء الجزائر. خلال الحملة الفرنسية على الجزائر، ساهم في الدفاع عن بلاده بطريقته الخاصة.

² paule guion : **la casbah d'Alger** , Éditions publisud, 1999,p 106 .

تخفف من آثارها الاجتماعية. في أوقات الشدة كانت الأسر تتحد لدعم بعضها البعض مما يعكس ترابط المجتمع وقوة العائلة في مواجهة تحديات الحياة.¹

النفقات كانت تُركز على الضروريات فقط بينما كانت الحياة اليومية تعتمد على ضوء النهار، حيث كانت المصابيح الغازية هي المصدر الأساسي للإضاءة في الليل. و مع غروب الشمس كانت الحياة تأخذ طابعًا مختلفًا، وكأنها حذر للتجوال غير رسمي.

- طريقة العيش في القسبة

تميزت الحياة في القسبة بأسلوب معيشة منظم وفقًا لعادات وتقاليد متوارثة حيث كانت طريقة العيش فيها تفرضها النمط المعماري في القسبة بموادها المستخدمة في البناء و طريقة التصميم الهندسي الذي يتشاركه العائلات في الدويرات. حيث ان بعض الفضاءات العامة مخصصة للرجال، مثل الساحات الصغيرة، في حين حُصصت الأسطح للنساء. حتى داخل المنازل كان هناك توزيع دقيق للمساحات وفق جدول زمني صارم، إذ كان يجب على آخر رجل مغادرة المنزل في ساعة مبكرة، حتى وإن لم يكن لديه عمل.

بمجرد خروج الرجال كانت النساء تفتح ستائر مداخل البيت كإشارة إلى عدم وجود الرجال ولن يتم إنزالها إلا عند عودتهم، حيث كانت تُترك أحذيتهم أمام الباب كدليل على وجودهم داخل المنزل، مما يعني أن الجارات لا يمكنهن الاقتراب أو تبادل الزيارات. وكان يُعتبر من غير اللائق سماع صوت امرأة عند وجود رجل غريب.

أما الأعمال المنزلية فقد كانت تتم وفق نظام يعرف بـ"الدالة"، وهو ترتيب دوري تشارك فيه النساء لتنظيف المساحات المشتركة داخل المبنى، مثل السلالم (الدروج) الأفنية الداخلية (وسط الدار) والممرات (السقيفة) حيث يتم تنظيم هذه المهام من قبل صاحبة المنزل (مولات الدار). كان التنظيف يُجرى يوميًا، مع ضرورة تجنب استخدام كميات كبيرة من الماء، ويجب تشييف الأرضية مباشرة بعد رمي الماء حفاظًا على الدويرات المبنية من الطين والحجر، والتي يمكن أن تتضرر بشدة بسبب الرطوبة، مما قد يشكل خطرًا على قاطنيها. مع اقتراب شهر رمضان أو المناسبات الدينية، كانت العائلات تقوم بتبييض منازلها من خلال طلاء الجدران بالجير وإصلاح الأبواب المكسورة. كما كان من غير المقبول أن تظهر العائلات الثرية

¹ Ibid, p 46

أي تميز عن جيرانها حتى عند تحضير الطعام كانت النساء يتشاورن لاختيار نفس الأطباق. وفي حال قامت إحداهن بطهي وجبة مختلفة، كانت ترسل جزءًا منها إلى جاراتها لمشاركتهن.

عند انتقال عائلة جديدة إلى القصبة، كان يتم تقديمها رسميًا إلى الجيران من قبل صاحبة البيت أو المالك ، وكانت الفتيات يُهيأن للحياة وفق تقاليد القصبة بدءًا من إعداد الطعام وطرق التزيين إلى أسلوب الكلام والتعامل.

حتى مغادرة المنزل كانت تخضع لعادات معينة، فحينما تقرر إحدى العائلات مغادرة القصبة نهائيًا سواء برغبتها أو نتيجة التهجير القسري الذي فرضته القوات الفرنسية خلال الاستعمار كانت النساء يقمن بتنظيف المنزل بالكامل، ثم يتركن شمعة مضاءة في وسط الغرفة قبل الخروج، وكأنها عادة تُقام لتوديع هذا البيت المقدس.

بعض هذه العادات لم تكن مجرد تقاليد اجتماعية بل فرضتها طبيعة البناء في القصبة حيث كان من الضروري تجنب استخدام المياه بكثرة أثناء التنظيف لحماية الجدران الطينية من التآكل والانهييار. وقد أكدت الدراسات التي أجراها المهندسون المعماريون خلال إعداد مخطط ترميم القصبة بالتعاون مع منظمة اليونسكو عام 1981، أن تسرب المياه يشكل تهديدًا خطيرًا لاستقرار المباني. وكان الخوف الأكبر لدى السكان هو انهيار احد البيوت و الذي كان متلاصق مع البيوت الاخرى مما يعني أن انهيار منزل واحد قد يؤدي إلى سلسلة انهيارات متتابة، حيث تبدأ الجدران بالانحناء (يقال عنها "الدار جافت") ثم تنهار تمامًا، مما يشكل خطرًا كبيرًا على سكان المنطقة بأكملها¹.

4 - ترسيخ هوية القصباجي من خلال الفترة الاستعمارية:

تبقى الفترة الاستعمارية محفورة في الذاكرة الجماعية لساكني القصبة من خلال سرد عدة احداث اثناء المقابلات المباشرة مع سكان المحروسة تعود قصصها الاحداث في فترة حرب التحرير . باعتبارها مقر للجنة التنسيق والتنفيذ لجبهة التحرير الوطني، فقد كانت مدينة الجزائر منطقة مستقلة في أوت 1956 وفي عام 1957 أصبحت الجزائر منطقة عمليات ومسرحا للنضال . عرفت الجزائر أشد

¹ Reda Sebih : **Langues et mise en mots de l'identité spatio-linguistique**, cas de la Casbah d'Alger ,thèse de doctorat en sciences du langage, Université d'Alger 2, 2012-2013,p 224.

الفترة دموية في تاريخ حرب التحرير، من جانفي إلى أكتوبر من نفس العام، حيث سجل رسميا وضع أكثر من 24000 جزائري تحت الإقامة الجبرية ، و 4000 مفقوداً ، والآلاف الآخرون لا اثر لهم¹ .

و هذه الاحداث تلعب دورا مهما في اظهار الهوية القصباجية وذلك من خلال شهادات موثقة او شفوية تبرز فيها مركزية القصة في تقوية حرب التحرير . اين شكل النسيج العمراني في القصة بأزقته الملتوية و الضيقة مكان مثالي لتحرك المجاهدين فاصبحت المدينة العتيقة مسرحا للمقاومة في الجزائر العاصمة و الوسط كما اרכת المستعمر و جعلته يتخذ اجراءات عسكرية قامعة لاطفاء لهيب معركة الجزائر . يتجلى هذا من خلال التعابير و الروايات المنقولة من السكان والتي في الغالب تحاول اثبات انتمائها و هويتها القصباجية من خلال سرد وقائع تلك الفترة كادليل على اقدمية المستجوبيين فنجد مثلا في لقاء مع احد القدماء للقصة يحدثنا عن حادثة استشهاد على لابوانت كما يشير الى منزله الذي كان يجاور مكان وقوع الاحداث في اشارة منه لاقدميته في الحي .

كما يتجلى ذلك في من خلال الأفلام التاريخية مثل (معركة الجزائر) التي ساهمت في توسيع الذاكرة الجماعية وربط الحيز المكاني ببطولات التحرير . علاوة على ذلك، يُنظر إلى مفهوم "القصباجي الحقيقي" كامتداد لهذه الذاكرة حيث يُميز من خلال علاقته بالأحداث الثورية ودوره في النضال و بأحقيقته في الحفاظ على هذا الارث المادي و الامادي في نفس الوقت .



صورة رقم 26 لتجمع بعض سكان المرحليين من منطقة سوق الجمعة بالقصة للاحتفال باليوم الوطني للقصة. (الكاتب 22-02-2025)

¹الدليل الاحصائي لولاية الجزائر 2020 ص 2

5 - العمران و الهندسة المعمارية

البيت الجزائري التقليدي المعروف ، يتميز بتصميم معماري متناسق يضم طابقين أو ثلاثة، يبدأ من "السقيفة"، وهي قاعة استقبال مصممة بأناقة تؤدي إلى فناء داخلي يُعرف بـ"وسط الدار"، محاط بأروقة بأقواس مدعومة بأعمدة. الغرف موزعة على ثلاثة مستويات: "البيوت" في الطابق الأرضي، "الغرفة" في الطابق الأول، و"المنزه" في الطابق الثاني. يُغطى المنزل بفناء واسع يسمى "السطح"، وهو مساحة تطل على البحر وتستخدم بشكل أساسي من قبل النساء.

البيوت الجزائرية التقليدية تمثل الطراز المتوسطي الكلاسيكي، مع تصميم يركز على الفناء المركزي المفتوح المحاط بصالات وأبواب مزدوجة. تتميز هذه المنازل بتصميم داخلي دقيق، حيث يستقبل الضيف في مكان شرف مجهز بأريكة ومنافذ جدارية تُستخدم كخزائن. أما الواجهات الخارجية، فتُبرز جمال التصميم المعماري التقليدي بمطارق الأبواب المصنوعة من البرونز أو الحديد المشغول والمظلات المغطاة بالبلاط. المنزل الجزائري ليس فقط مكانًا للإقامة، بل هو عمل فني يعكس روح المدينة الساحرة. أزقتها الضيقة وممراتها المقنطرة تضيف عليها عنصر الغموض، مما يجعلها مصدر إلهام دائم للفنانين.¹



صورة رقم 28 تبين
شرفة تطل على وسط الدار (الدرينوز)



صورة رقم 28 تبين
النمط المعماري لدار بالقصبة (وسط الدار)



صورة رقم 27 مدخل الدويرة بالقصبة
(المصور الياس فيلاي)

¹ paule guion : **la casbah d'Alger** , Éditions publisud, 1999,p 17.

خلاصة الفصل

لطالما كانت القصبة القلب النابض للهوية الجزائرية، ليس فقط كموقع جغرافي بل كموروث ثقافي واجتماعي ظل شامخاً رغم التغيرات العميقة التي شهدتها المجتمع. هوية متجذرة في التاريخ من الحضارة الفينيقية و الرومانية وصولاً للفترة الجزائر في ظل الدولة العثمانية التي عرفت ازدهارا حضاري لتوفر عدت عوامل جغرافية،سياسية،عسكرية ،دينية،اقتصادية و اجتماعية .هذا ما انعكس في الحقبة الاستعمارية، اين عرف المجتمع المدني في القصبة تنظيمًا متينًا يعكس ترابط سكانها وتماسك نسيجها الاجتماعي. فقد لعبت المساجد و المراكز التعليمية والفكرية، دورا مهم في ترسيخ الهوية الحضرية لساكنة المحروسة و نشر الوعي وتعزيز روح المقاومة ضد محاولات طمس الهوية الشئ الذي تجلى من خلال التلاحم و التآزر في اوقات المحن و الشدة .

ورغم أن الاستقلال كان بداية عهد جديد، إلا أن التنظيم الاجتماعي في القصبة عرف تحولات كبرى، خاصة مع التدهور المستمر للعمران داخل المدينة و انتهاج سياسات للترحيل التدريجي لسكانها نحو أحياء حديثة ذات طابع عمراني مختلف تمامًا عن ذلك الذي ميز القصبة العتيقة. فقد تم استبدال البنايات المترصة، بأزقتها الضيقة وبيوتها ذات الفناء الداخلي، بمجمعات سكنية تفتقد للروح الجماعية التي لطالما كانت سمة أساسية للحياة القصباجية، هذا ولد شعور الانسلاخ عن المدينة العتيقة عند السكان و الذي اوصل المدينة لحالة اللامبالاة من طرف سكانها .

و في هذا الصدد نجد البروفيسور "العربي اشبودان" يحدثنا عن الشرخ الذي حدث لسكان مدينة القصبة بعدالاستقلال من تدهور للمدينة العتيقة بسبب غياب سياسة و اذحة تساهم في انقاذ هذا الارث و هنا يؤكد البروفيسور "العربي اشبودان " ان إعادة بناء العلاقة مع المدينة يجب ان تمر باسترجاع للرموز و المعالم التاريخية و الثقافية و ذلك بضرورة خلق فضاء حضري يشارك فيه المواطن بصفته فاعلاو ليس متفرجا ¹.

ورغم هذا الترحيل لم تتطفئ جذوة الهوية القصباجية إذ لا تزال العادات والتقاليد حاضرة في مختلف أشكال التضامن والتآزر بين سكانها الاصليين . فالروح الجماعية للقصبة لا تزال تتجلى في المناسبات

¹ ICHEBOUDENE Larbi : **Vivre la ville**, la question des repères. Contribution à propos d'Alger, crasce 2010,pp164-165.

الاجتماعية ،الأعراس، المناسبات الدينية، وحتى في الأسواق الشعبية التي حافظت على طابعها التقليدي .
القصبة لم تعد مجرد حي، بل تحولت إلى رمز و ذاكرة جماعية يعيشها أهلها رغم المسافات، ويحملونها
معهم أينما حلوا، جاعلين منها جزءاً لا يتجزأ من هويتهم.

الفصل الثالث

التحليل السوسيولوجي للفرضية الأولى

1 - أثار الترحيل الإجباري على العلاقات الاجتماعية :

1.1- انخفاض التفاعل بين الجيران

2.1- ضعف الترابط الأسري التقليدي

3.1- تراجع الدعم الاجتماعي غير الرسمي

4.1- نقص المشاركة المجتمعية

2 - تأثير النسيج العمراني على التلاحم الاجتماعي

1.2- فقدان الهوية الثقافية والمعمارية

2.2- انعزال السكان

3.2- غياب الفضاءات العامة

4.2- بعد المرافق والخدمات

خلاصة الفصل

1 - أثار الترحيل الإجباري على العلاقات الاجتماعية :

الترحيل الإجباري للسكان عملية يتم من خلالها إرغام و إلزام مجموعة من الأفراد أو المجموعات على مغادرة أماكن إقامتهم فرضاً دون موافقتهم، فهذا النوع من الترحيل يمكن أن يترك آثاراً عميقة على الأفراد حيث ينتج لديهم الإحساس بالغضب و الخسارة والظلم، وأيضاً بتمزيقه من مجالته و تفكك الروابط الاجتماعية و ضعف الهوية الحضرية، بالإضافة إلى بعض الصعوبات و التحديات التي سيواجهونها في الأحياء التي يعاد إسكانهم فيها كما قد تكون لها بعض الآثار الجانبية إن لم نحكم عليها بالسلبية على مجموعة السكان المرحلين في جميع جوانب حياته الاجتماعي أو النفسي و حتى الاقتصادي.

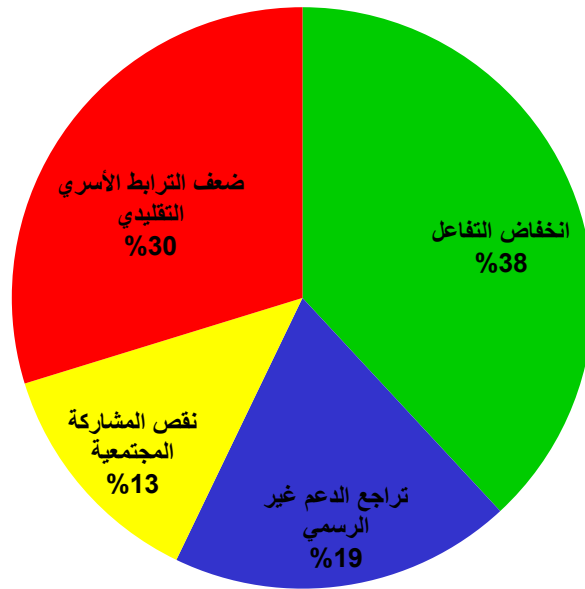
سنتناول في هذا الجدول محور بعنوان " أثار الترحيل الإجباري على العلاقات الاجتماعية " فمن خلال حساب تكرارات خطابات المبحوثين جعلنا لها فئات تمثلها و استخرجنا من خلالها محاور تضمها، حيث نلاحظ من خلال النسب أن هناك توزيع متفاوت للتكرارات الخاص بكل فئة مما يظهر لنا أن بعض القضايا قد تكون أكثر أهمية من غيرها في نظر المبحوثين.

جدول رقم (06) : يمثل تأثير الترحيل الإجباري دون مراعاة للنسيج العمراني على السكان المرحلون

المحور	الفئة	التكرارات	النسبة
آثار الترحيل على العلاقات الاجتماعية	انخفاض التفاعل	32	38.10%
	تراجع الدعم غير الرسمي	16	19.05%
	نقص المشاركة المجتمعية	11	13.10%
	ضعف الترابط الأسري التقليدي	25	29.76%
تأثير النسيج العمراني على التلاحم الاجتماعي	انعزال السكان	32	28.32%
	غياب الفضاءات العامة	26	23.01%
	بعد المرافق والخدمات	13	11.50%
	فقدان الهوية الثقافية والمعمارية	42	37.17%
المجموع		197	100%

يعتبر الترحيل الإجباري أو الإلزامي ظاهرة اجتماعية معقدة تحدث اختلالات عميقة في بنى العلاقات الاجتماعية حيث يترك تأثيرا مستمرا على المرحلين و كذا محيطهم الجديد فمن المنظور السوسيولوجي تظهر لنا هذه النتائج الآثار العميقة للترحيل المفروض على السكان، يظهر في تراجع العلاقات الاجتماعية للأفراد حيث أصبحت أقل تفاعلا من ذي قبل و يمكن تفسير هذا من خلال الشرح الإحصائي و السوسيولوجي للفئات الأربعة الممثلة لهذا المحور .

شكل رقم 06 يوضح آثار الترحيل على العلاقات الاجتماعية



1.1 - انخفاض التفاعل بين الجيران :

إن انخفاض التفاعل بين الجيران (السكان القدامى)¹ بعد عملية الترحيل يؤدي لا محال إلى تفكك الروابط الاجتماعية التي تعتبر ركيزة أساسية في حياة الأفراد حيث تشير هذه الفئة في الجدول إلى أعلى نسبة و المتمثلة في 38.10 % و هذا يعكس تحديا كبيرا في الحفاظ على شبكة العلاقات الاجتماعية و على الروابط الاجتماعية بعد الترحيل الإجباري.

¹ في بحثنا سوف نستعمل أحيانا في بعض المحاور كلمة سكان قدامى و أحيانا المرحلون و أحيانا أخرى السكان الأصليين، فهذه العبارات كلها توحي لنفس المعنى في مضمون بحثنا و هي مجموعة السكان القدماء المرحلون من أحيائهم الأصلية إلى أحياء جديدة.

فهذا الأخير ينتج نوع من القطيعة في العلاقات التي إستغرق السكان لبنائها سنوات، حيث انه في البيئة الجديدة سيصعب اعادة بناء هاته العلاقات بسبب الشعور بالاغتراب و العزلة و كذا احساسهم بعدم انتمائهم لهذا النسيج الاجتماعي الجديد.

إن ركيزة العلاقات الاجتماعية في أي مجتمع يمكن أن تنطلق من التفاعل الاجتماعي الذي يعتبر عملية أساسية في بناء الهويات داخل الأحياء و الجماعات، حيث يعمل التفاعل الاجتماعي على اكتساب الفرد للقيم و المعايير الاجتماعية و ترسيخها فمثلا يرى G.Herbert Mead الذي يعتبر من مؤسسي مدرسة التفاعلية الرمزية و الذي تحدث عن الدور الذي يلعبه التفاعل الاجتماعي في تكوين هوية الذاتية للأفراد حيث يرى في تحليله أن الفرد ينمي ذاته من خلال التفاعل الاجتماعي مع الآخرين، و من هنا نلاحظ أن النظام الاجتماعي يبني من خلال التفاعلات اليومية بين الأفراد في الأحياء فهو لا يفرض من الخارج كما أن الأفراد يمكنهم إعادة إنتاج النظام في كل مرة يتفاعلون فيه. "يتطور مفهوم التفاعل حول فكرة أن الأفراد هم الذين يخلقون النظام الاجتماعي من خلال تفاعلاتهم اليومية، وليس التفاعلات التي يحكمها نظام خارجي يفرض نفسه على المشاركين ومن هنا يتطور الاهتمام بملاحظة الممارسات الاجتماعية بطريقة المعتادة"¹.

إن خطابات السكان أثناء المقابلة كانت مباشرة و تعبر على نوع العلاقات التي كانت سائدة بالأحياء القديمة بالقصبة العتيقة،و على أنها لم تكن محصورة في فضاء معين أو دائرة معينة بل تعدت ذلك لتكون تفاعلات متينة عملت على بناء هوية جماعية تميزهم عن غيرهم، حيث يذكر المبحوث "عمي رزقي" قائلا: "les relations هنا pratiquement مكاش...منقصدش مكاش كامل و لكن اذا ت comparé مع القصبة يا حصرال...ماكناش جيران كنا عايلة واحدة فاميلية".

فمن خلال القراءة السوسيولوجية لخطاب المبحوث نستشف أن هذه المجموعة من السكان مرتبطة و متعلقة بماضيها العريق حيث يواجهون صعوبة في التخلي عن ما يجمعهم مع الجيران و المجال القديم، هذا ما يولد لديهم الإحساس بعدم الاستعداد للانخراط و الانضمام إلى الأحياء الجديدة فافتقاد المبحوثين للأصدقاء و الجيران القدماء يجعلهم يشعرون بالانعزال و الغربة ما ينتج نوع من الصعوبة في التفاعل كون هاته الأحياء الجديدة لا تعكس هويتهم الأصلية في نظرهم و تعتبر تجربة جديدة يخوضونها تختلف جذريا عن حياتهم السابقة.

¹ Traverso, Véronique : **Interaction** , Les concepts en sciences infirmières 2ème édition, Association de Recherche en Soins Infirmiers, 2012. p.208-209.
<https://doi-org.snd11.arn.dz/10.3917/arsi.forma.2012.01.0208>

يمكن تفسير ضعف و انخفاض التفاعل الاجتماعي للسكان الأصليين للقصة بعد انتقالهم إلى الأحياء الجديدة من خلال العلاقة القوية الموجودة بين الهوية والماضي فالمجموعات المرحلة تجد صعوبة في التفاعل كونها تشعر بأن المجال الجديد لا يعكس هويته و قيمه المتجذرة و المتأصلة في الماضي ولكن مع مرور الزمن يمكن لهاته المجموعة التكيف تدريجيا و ذلك عبر إيجاد توازن بين ماضيهم و الحاضر المعاش و يحاولون بذلك اختراع عناصر جديدة تساعد على بناء هوية عامة و أكثر ملاءمة ، مما يساعدهم على بناء روابط اجتماعية جديدة في المجال الجديد دون التخلي عن هويتهم الأصلية.

2.1 - ضعف الترابط الأسري التقليدي:

من جانب سوسيولوجي تظهر الأسرة التقليدية كوحدة اجتماعية تمثل نموذجا اجتماعيا قائما على القيم الثقافية و الاجتماعية الموروثة، حيث تلعب دور في تقوية الترابط الاجتماعي و كذا الدعم المتبادل في مختلف جوانب الحياة بالإضافة الى تعزيز الصلة بين أفرادها، فلقد أشار اميل دوركايم Emil Durkeim الى أهمية الأسرة في تحقيق التماسك الاجتماعي من خلال الالتزام بالأدوار الاجتماعية المحددة. فإلى أسرة تعتبر سلسلة من الروابط المتبادلة التي تواجه الأزمات¹

في حين نجد P.Bordieu يرى أن الأسرة تلعب دورا بارزا في نقل رأس المال الاجتماعي عبر الأجيال فهي تقوم بتوريث القيم الاجتماعية و كذا الشبكات و العلاقات الاجتماعية بين الأجيال، ما يؤدي الى تعزيز الترابط و التماسك داخل المجتمع و تحقيق الاستقرار و لكن في حال تراجع الروابط الممتدة بسبب الهجرة قد يؤدي الى خلق نوع من الاغتراب العائلي و الأسري و تتعرض هذه العلاقات إلى الضعف الذي يهدد التماسك الاجتماعي ما يؤدي الى انخفاض الدعم المتبادل.

فمن خلال قرائتنا للجدول نلاحظ أن السكان يركزون في خطباتهم على أهمية الترابط الأسري التقليدي فلقد كررت الكلمة المعبرة عنها 25 مرة ما يقابلها نسبة 29.76% و هذا يشير إلى أن مجموعة السكان القدماء المرحلين من القصة يعانون من نوع من التمزق العائلي التقليدي.

فالترحيل الإجباري لسكان القصة شكل أزمة حادة للعلاقات الأسرية الممتدة حيث أدى هذا إلى تفكك الشبكات العائلية التقليدية و أضعف تماسكهم الاجتماعي ما أدى الى نقص الدعم المعنوي و العاطفي بين أفراد الأسرة، فمن خلال مقابلاتنا مع سكان القصة ذكر أحد السكان المدعوا " عمي ابراهيم" البالغ من

¹ Vallon, Serge : **Qu'est-ce qu'une famille ? Fonctions et représentations familiales**. VST – Vie sociale et traitements, 2006/1 no 89, 154-161. <https://doi.org/10.3917/vst.089.0154>.

العمر 68 سنة قائلا " كرحلونا قطعونا مجذورنا كل واحد وين حطوه... ما جمعونا... نص راه هنا نص بقا في القصبة نص داوهم لـ d'autre quartier ". و يضيف مبحوث آخر " حنا لكبار منقدروش نروحو للقصبة راه بعيدة زد مكاش l'entraide... كما كنا زمان". فقبلا كان التعاون قائما بين أفراد الحي لتقديم المساعدات في كل الأوقات خاصة الحرجة منها كالأزمة المالية أو الوعكة الصحية، و لكن بعد الترحيل إلى الأحياء الجديدة أصبح الحفاظ على العلاقات و المعاملات و التفاعلات أمرا صعبا و هذا ما أدى إلى خلق فراغ و فجوة في الشبكات الاجتماعية بين السكان.

فالتمزيق المجالي أدى إلى تفكيك العلاقات الأسرية، حيث اثر ذلك على أشكال التفاعل اليومي اذ كانت العائلات تعتمد على العلاقات المرتكزة بالدرجة الأولى على القرب المجالي كالزيارات اليومية بين الجيران و كذا بين العائلات بالإضافة إلى تقديم المساعدات في أوقات الشدة، حيث ذكرت السيدة "زهرة" من قصبة الثنية قائلة: " كنخرج نشري مانخافش على ولادي الجارة تطل عليهم كل دقيقة جارتي عايلتي الثانية... و انا كف كف ولادها ولادي ". فبعد المسافة أحدث نوع من القطيعة بين السكان الأصليين كما حد من إمكانية تقديم الدعم الفوري في حالة الحاجة إليه و هذا أدى إلى ظهور نوع من الضغط النفسي و العاطفي حيث أصبحت الأسرة مضطرة إلى تحمل المزيد من المسؤوليات.

ان هذا الوضع ينتج نوعا من التوتر النفسي لدى السكان الأصليين ما يؤدي الى زيادة التخييلات حول أن الأمور كانت لتكون أحسن و أفضل لو بقيت العائلة في حيها القديم (القصبة) و هذا يجعل المجموعة تعيش في حالة من الاغتراب الاجتماعي ما يجعلهم يعيشون في تصوراتهم و مخيالهم عن العائلة المتماسكة المثالية التي تركوها في أحيائهم بالقصبة و هذا ما يجعل تكيفهم مع الواقع الجديد و المجال الجديد أمرا صعبا.

3.1 - تراجع الدعم الاجتماعي غير الرسمي

يشير مفهوم الدعم الاجتماعي غير رسمي إلى تلك المساعدات و الإعانات التي يقدمها الأقارب و الأصدقاء و الجيران لمساعدة بعضهم البعض لمقابلة صعوبة الحياة اليومية كإعتناء الجار بأحد أفراد عائلة جاره في غيابه، مساعدة الجار في رعاية الأطفال، تقديم مساعدة مالية أو نصيحة... الخ، تختلف عن الرسمية في كون هذه تقدمها المؤسسات و تتطلب بعض الإجراءات و الالتزامات.

يمكن اعتبار الدعم الاجتماعي غير الرسمي كظاهرة في حد ذاتها فهي تعكس عدة ابعاد سوسيولوجية معقدة لها علاقة مباشرة بالتغير الاجتماعي و بالعلاقات و الشبكات الاجتماعية و بالتفاعل الاجتماعي و

بمدى تقبل المجال الجديد فلفهم هاته الظاهرة من خلال خطابات المبحوثين لقصة الجزائر، لابد من تحليل عدة عوامل حتى نتمكن من تقديم تفسيراً اجتماعياً لسبب تراجع الدعم الاجتماعي غير الرسمي في الأحياء الجديدة سواء كانت "الثنية ببومرداس" أو "الضفة الخضراء" ببرج الكيفان بالجزائر، فمن خلال الجدول نلاحظ أن النسبة تشير إلى 19.05% فهي نسبة معبرة و ذات قيمة لدى هاته المجموعة من السكان، كونهم أشاروا إلى هذه الفكرة في خطاباتهم فهي تعبر عن مشكلة حقيقية تشغلهم، و تجعلهم يحسون بوجود ثغرة اجتماعية و نقص و تراجع في الدعم الاجتماعي الذي إعتادوا عليه في أحيائهم بالقصة، فهذا التراجع مربوط في نظرهم بالتغير الاجتماعي الذي يعيشونه بسبب الترحيل الإجباري و الذي أثر على حياتهم اليومية و ولّد لديهم شعور بالانفصال و الانقطاع عن التضامن التقليدي الذي كان يشكل جزءاً مهماً من حياتهم في الأحياء القديمة.

ففي هذه الأحياء القديمة تكون العلاقات الاجتماعية متأصلة و راسخة بعمق بحيث تعتبر المساعدات و الإعانات التي يقدمها الأقارب والجيران و الأصدقاء جزءاً مهماً من رأس المال الاجتماعي فوفقاً لتعبير "بيير بورديو" رأس المال الاجتماعي يتمثل في شبكة العلاقات و الروابط المتبادلة فهو يعتبرها مصدراً للقوة و الدعم و التي تتطلب التزاماً أخلاقياً من الأفراد تجاه بعضهم، في هذه المجتمعات يُنظر إلى الدعم و المساعدة كواجب اجتماعي وليس كفعل تطوعي و هذا مما يعزز أكثر شبكات الدعم غير الرسمي و ذلك من خلال العناية بالأطفال و الدعم المالي في حالة الحاجة إليه بالإضافة إلى التعاون في الأزمات، فهذه الشبكات و العلاقات تعمل وفق مفهوم المعاملة بالمثل الذي أشار إليه عالم الأنثروبولوجيا مارسيل موس

Marcil Mauce ، حيث يتوقع الأفراد أن يحصلوا على دعم مقابل عند الحاجة إليه، حيث تخبرنا الحاجة زهور: "...كل واحدة ترد بالها على جارتها ولادها نعسم كتروح للحمام و لا عند الطبيب... كيقرب سيدنا رمضان كل وحدة تمد واش تقدر مالدرهم و نتعاونو نجيرو قبل ما يلحق سيدنا رمضان..." أما لالا فاطيمة فتقول: "في القصة ما يخلصنا حاجة نتعاونو نترافدو كل واحد ارد بالو على جارو راه فاميلتو ما نعرفوش كلمة الجار كنا فاميليا واحدة. نسكنو في دار و دويرة وحدة درك كجينا لهننا ماوليناش كزمان حنا لكبار في العمر مانجموش نروحو للقصة كل خطرة. راهي بعيدة و قعدو قلال اللي كحتاجوهم اعونونا و لكن ما بقات الحالة كزمان نقصت نقصت ..."

فمن بين العوامل التي أشرنا لها سالفاً، نذكر تفكك و انحلال الروابط الاجتماعية التقليدية فهي غالباً ماتكون قوية في الأحياء القديمة (القصة)، و التي تعتمد كثيراً على التضامن التقليدي للتكافل و تقديم

المساعدات في الفترات الحرجة و أثناء الأزمات في الحياة اليومية، حيث بعد انتقال العائلات من أحيائهم الأصلية فقدت الشبكات الاجتماعية التي كانت تقدم لها هذا الدعم و الاعانات مثل الأقارب و الجيران و الأصدقاء.

بالإضافة إلى خوف بعض العائلات المرحلة من هذا المجال الجديد الذي يجعلهم منغلقون على أنفسهم و منكشون و لا يحاولون الانفتاح لبناء شبكات اجتماعية جديدة تسهل لهم الحصول على الدعم الغير الرسمي من قبل مجموعة السكان الجدد بالأحياء الجديدة.

إن ما نلاحظه في هاته المجموعات يعكس تأثير ما يسميه عالم الاجتماع اميل دوركايم Emil durkeim بالتضامن الآلي و التضامن العضوي في المجتمعات الريفية أو التقليدية، أين يعتمد الأفراد على التضامن الآلي القائم على الروابط القوية و العلاقات بين الأفراد حيث ينظر إلى الفرد كجزء من الجماعة و ليس مستقلاً عنها، و في حالة السكان المرحلون من القصة سينتقل السكان من التضامن الآلي إلى التضامن العضوي و هذا يؤدي إلى تلاشي و تراجع الروابط التقليدية و تجد المجموعة الأصلية نفسها مضطرة للتعامل مع المؤسسات الرسمية لتلبية احتياجاتها المختلفة.

4.1 نقص المشاركة المجتمعية:

تعتبر المشاركة المجتمعية أحد أهم ركائز بناء المجتمعات القوية و المتماسكة و المتعاونة إذ تعد وسيلة لهاته الجماعات للتفاعل و الاحتكاك مع محيطهم المباشر و يولد لديهم بذلك شعوراً بالانتماء و يساهم في تطوير مجتمعهم ،حيث يعمل أفراد المجموعة على المشاركة في القرارات و التعاون مع الآخرين بهدف تحسين البيئة المحيطة و هذا يؤدي إلى تعزيز روح التعاون و يقوي العلاقات و بذلك يكرس إحساس المجموعة بالانتماء للمحيط الجديد.

لكن في حالة الترحيل الإجباري تتغير المعطيات و تتفاوت الأسباب، فمن خلال استعراض البيانات أعلاه في الجدول و من خلال محاولة تحليل الفئات تحليلاً سوسيلوجياً نجد أن هناك عدة أسباب مختلفة يمكن أن تؤدي إلى تراجع و نقص المشاركة المجتمعية و يمكن إدراجها في عدة عوامل من بينها التحديات النفسية التي لها علاقة بالترحيل الإجباري و خاصة الاجتماعية منها ضعف الشبكات الداعمة للمجموعة و الإحساس بالعزلة و الانفصال الهوياتي، حيث تشير النسب أعلاه المعبرة عن تراجع المشاركة المجتمعية في أحياء "الضفة الخضراء و الثانية" إلى 13.10% و ذلك كون الترحيل الإجباري أثر على مشاركتهم بأحيائهم

الجديدة إذ يذكر أحد المبحوثين من "الثنية" قائلا: "كجينا لهذا كنا مدببين ما قدرناش نفهمو... وين كنا وين جينا" و يضيف آخر قائلا: "ما فهمناش وعلاش جبونا ... premièrement c'est à cette endroit ... loin deuxièmement il n'on pas prit en considération L'architecture et la construction traditionnelle

رماونا هنا و خلاونا". إن خطابات المبحوثين تحمل عدة معان و أبعاد نفسية و سوسيولوجية عميقة يمكن التطرق لتحليلها من زوايا متعددة ، فخطاباتهم تظهر لنا بطريقة مباشرة و بشكل واضح شعورا قويا بالاعتراب و الانفصال عن الماضي و عن الأحياء الأصلية و عن القصة العتيقة و كل ما تركوه هناك من أصدقاء و جيران و أماكن و عادات و تقاليد ... مجتمعا كان يعزز عاطفته و انتمائه إلى مجموعة ما و مجال ما مجتمع كان جزء منه، حيث تعبر كلمة "رماونا" على شعوره بأنه فردا ليس مهما في المجتمع و انه منعزلا وحيدا في المجال الجديد ما يولد لديه نوع من الشعور بعدم الرغبة في الاحتكاك و التفاعل الاجتماعي و بذلك عدم رغبته في المشاركة المجتمعية ما يجعلها ضعيفة في الأحياء الجديدة، فمن منظور سوسيولوجي يرى فرانتر فانون

Frantz Fanon في دراسته حول أثر الاستعمار على الهوية الفردية و الجماعية حيث ركز في دراسته حول مفهوم "التشييء" و ذلك بجعل الأفراد يحسون و كأنهم أشياء و ليس أشخاصا، ففي حالة هاته المجموعة من السكان و في خطابهم بقولهم أنهم يشعرون و كأنهم تم "رميهم" و كذلك "رحلوا إجباريا" فهذا يجعلهم يحسون بأنه يتم التعامل معهم كأشياء تنقل من مجال إلى مجال دون احترام اراداتهم و اختياراتهم، ما يؤدي إلى تعزيز الإحساس و الشعور بالعزلة ما يزيد صعوبة التأقلم في المجال الجديد و هذا يؤدي إلى نقص و ضعف المشاركة المجتمعية و الانخراط الاجتماعي.

ولتعويض هذا النقص يحلل لنا البروفيسور " العربي اشبودان " بان: السكان الاصليين يحنون الى الماضي كآلية للتعامل مع خيبة الواقع الحضري أين يتم تمجيد الماضي كأسلوب لتعويض الانهيار الرمزي و الاجتماعي الذي تعيشه الاحياء الجديدة ¹

ففي علم النفس يعتبر ما تعرض إليه مجموعة السكان المرحلين اجباريا صدمة لها انعكاساتها النفسية حيث ينتج لدى الفرد إحساسا بأنه اقتلع و استؤصل من جذوره و نقل إلى مجال جديد بطريقة اجبارية قاسية

¹ العربي اشبودان، أستاذ التعليم العالي بجامعة الجزائر 2 . مقابلة شفوية حول موضوع " الحنين في المدينة القديمة" بمخبر لزيارات (مخبر التحليل السوسيوي- أنثروبولوجي لتنمية الأقاليم). 2018/04/02.

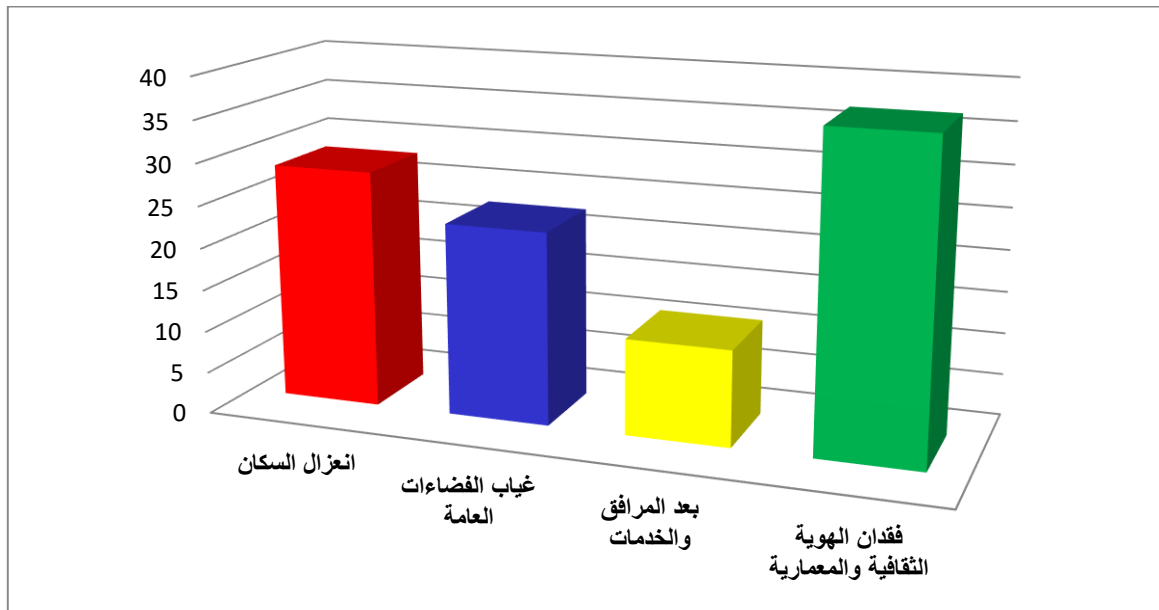
هذا يؤدي إلى ترك مشاعر القلق و الخوف و التوتر تسبب لديه حالة من الانكماش و الانطواء على الذات و بذلك الانغلاق ما يجعله يحول بينه و بين مشاركته الاجتماعية في المجال الجديد.

إن المجال ليس مجرد فضاء مادي (الحي) بل هو فضاء ثقافي و اجتماعي (الثقافة السائدة أو القيم الاجتماعية التي يتأثر بها) يحمل في طياته ذكريات و تجارب و طفولة ... عملت على تشكل هوية الأفراد و المجموعة في أحيائهم و بذلك يولد الشعور بالانتماء، فالترحيل الاجباري يقطع الصلة بين المجموعة المرحلة و بيئتهم القديمة و يولد احساسا بالبعد و الوحدة و الانقطاع عن المكان الذي يعتبر بالنسبة له المكون الأول لهويتهم، و يزيد من شعورهم بعدم الانتماء للمجال الجديد مما يعيق رغبتهم في المشاركة الفعالة في الأحياء الجديدة سواء بالضفة الخضراء أو بالثنية، و يذكر لنا السيد كيربيبي الذي يسكن بالضفة الخضراء و لا يزال يزاول عمله بالقصبة و يتجه إليها كل صباح للعمل و يعود في المساء يشير إلى أن القصبة بقي فيها بعض السكان الذين لا يزالون واقفون عليها و من ضمنهم السيد كيربيبي الذي يعمل كمدير بجمعية Sauvons la Casbah d'Alger و الذي يعمل جاهدا لإنقاذ القصبة من الزوال، كما أخبرنا في حوارنا معنا إلى أن العمارة التي يسكن فيها لا تزال محافظة على بعض العادات و التقاليد و يحتفلون برمضان و يقومون بتجيير العمارة في المناسبات، و يذكر أن التداخل بين الجيران لا يزال قائما لأن جيرانه الذين كان يسكن معهم من نفس الدار و الدويرة رحلوا إلى نفس العمارة الشيء الذي جعل العلاقات تبقى مستمرة بالمجال الجديد و لكن لا ينفي أن بعض الجيران من عمارات أخرى عرفت نوع من التراجع في العلاقات مع القصبة القديمة و ذلك راجع لعدة أسباب من ضمنها كبر السن و بعد المكان.

2 - تأثير النسيج العمراني على التلاحم الاجتماعي:

النسيج العمراني هو نوع من العلاقة و الترابط بين مختلف العناصر في بيئة عمرانية معينة كالشوارع و البنايات و كذا المساحات الخضراء و المرافق العامة و هو يوجي إلى تنظيم مكاني منسجم، و نقول أن هناك نوع من الانسجام بين النسيج العمراني و التلاحم الاجتماعي لما تتكامل و تتسجم العناصر المختلفة المادية العمرانية مع الحياة المجتمعية للسكان، و لكن في تحليل خطابات السكان توصلنا إلى اكتشاف أن هناك نوع من التناقض و التعارض بين ما تركه السكان المرحلون في مجالهم القديم (تصميم متميز من العمارة الاسلامية التقليدية) و ما وجدوه في مجالهم الجديد (تصميم يركز على استغلال المساحات بامتداد رأسي قصد الاستفادة من المساحة)، و لقد أسفر التحليل على النتائج التالية انعزال السكان، غياب الفضاءات العامة، بعد المرافق و الخدمات، فقدان الهوية الثقافية والمعمارية، و سنقوم بتحليل كل فئة على حدى.

شكل رقم 07 يوضح تأثير النسيج العمراني على التلاحم الاجتماعي



1.2 فقدان الهوية الثقافية والمعمارية:

تمثل الهوية المعمارية لقصبة الجزائر مزيجا فريدا من التراث الثقافي والتاريخي وهي من أبرز الشواهد على الذاكرة الجماعية للمدينة العتيقة، و لها دور أساسي في تشكيل هوية سكانها وتقوية الروابط الاجتماعية

فيما بينهم فهي مثال حي و معبر على عادات و تقاليد و قيم سكانها الشيء الذي يجعلها جزء لا يتجزأ من الوعي الجماعي لسكانها و للمجتمع ككل.

تعد الهوية الثقافية والمعمارية جزء محوري في تكوين الأفراد و الجماعات حيث تشكل البيئة التي يعيش فيها سكانها و ينتمون إليها جزء مهم من تجاربهم وذاكرتهم الجماعية، ففي حالة سكان القصبة المرحلون الى أحياء جديدة ذات بنايات حديثة و نمط معماري مختلف، هذا التغيير المفاجئ والجذري في البيئة العمرانية يمكن أن يكون له أثر عميق على سكانها و شعورهم بفقدان الهوية الثقافية والمعمارية بالأحياء الجديدة، فأحياء القصبة العتيقة ليست مجرد أزقة و دويرات سكنية، بل هي مرآة تعكس تاريخ المجتمع وعاداته، فمن خلال النسب المدرجة في الجدول أعلاه تشير فئة فقدان الهوية الثقافية و المعمارية إلى أعلى نسبة بين الفئات المدروسة و الممثلة بـ 37.17% وهذا راجع إلى الارتباط العميق بين سكان القصبة وهويتهم المعمارية والثقافية التي تشكل جزءا مهما من ذاكرتهم الجماعية، و تعزز انتمائهم المكاني و الثقافي فأزقة القصبة الضيقة و المنعرجة و الزخارف العثمانية و الساحات المفتوحة و الأسطح و الأسواق التقليدية كلها عملت على ترسيخ الانتماء إلى القصبة الأم و إلى تشكيل هوية جماعية قوية.

و لكن عند انتقال سكان القصبة إلى الأحياء الجديدة سواء " بالضفة الخضراء أو الثنية " و التي تفتقر إلى العناصر الجمالية و المعمارية التي تعود عليها السكان الأصليون للقصبة مثل فقدان العناصر المكانية التي كانت تشكل جزء مهم و أساسي من الحياة اليومية للسكان كالأسواق، المساجد، فناء الدويرة (وسط الدار) و الأزقة الضيقة التي كانت توفر فرصا للالتقاء و الاحتكاك والتفاعل اليومي، يؤدي إلى الإحساس بنوع من الاغتراب الثقافي و العزلة الاجتماعية داخل بيئة معمارية تفتقر إلى الذاكرة المشتركة حيث يشير أحد الباحثين في خطابه معنا إلى أهمية الأخذ بعين الاعتبار المظاهر المعمارية و تصميم المنازل و الحرف التقليدية و الفنون و الفضاءات العامة لما لها من أهمية في تشكيل الهوية الثقافية و المعمارية قائلا: " الحكايات تاع زمان ورثناها مجدودنا الحفلات الدينية و صيام الطفل لأول مرة و عرس الختان و المأكلة تاع زمان و اللبسة و حايك النساء و ريحة الياسمين في زنيقات القصبة و النساء يتلمو في وسط الدار واش مبوقلات و حكايات و ماء الزهر نوجدوه في الدار... واش نقول واش نخلي جينا هنا صدمنا ماكاش كفاش نوصفلك قعدت شحال مقدرتش نستوعب كل شي... La casbah est une partie de nous et nous sommes aussi une partie d'elle " إشارة منه على أهمية الذاكرة الجماعية في الحفاظ على التراث و نقله للأجيال الأخرى فهي تعتبر وسيلة للحفاظ على الروابط الاجتماعية و الهوية الثقافية و استمراريتها و عدم اندثارها، أما ذكره لـ " وسط الدار "

و " زنيقات القصبة" فهذا دليل على الارتباط الوثيق لسكان القصبة بتراثهم المعماري الذي يعتبر جزءا من هويتهم الجماعية فالتراث في نظر سكان القصبة ليس مجرد عناصر مادية كوسط الدار و الأزقة الضيقة بل يتعدى هذا المفهوم إلى أوسع من ذلك ليشير إلى سرد مشترك يربط بين السكان و حيهم و يخلق لديهم الشعور بالانتماء الى مجتمع متماسك و متجذر في ثقافته، فحكايات سكان القصبة المتعلقة بوسط الدار و بالأزقة و الدويرات ليست مجرد وصف لذلك المكان و إنما عبارة عن قصص عميقة تحمل في طياتها معان و عبر عن الحياة اليومية بالقصبة.

إن الترحيل الإجباري للسكان الأصليين من الأحياء التقليدية إلى الأحياء ذات البنايات الحديثة يحمل في طياته أبعادا اجتماعية معقدة تؤدي بصفة مباشرة إلى العزل الاجتماعي و ذلك على مستويات متعددة، فمن جهة يتسبب هذا الترحيل في فقدان الهوية المكانية لسكانها تدريجيا و المرتبطة بتاريخهم الثقافي و الاجتماعي و العاطفي بالمكان الذي يعيشون فيه، و ذلك نتيجة لعوامل متعددة أولا قطع الجذور مع الماضي مع التاريخ و الثقافة حيث نعلم أن الأماكن تحمل في أعماقها تاريخ و رموز تعبر عن ذاكرة ذلك المجتمع و عن تقاليده و عاداته، و في حالة الترحيل كما هو الحال مع سكان القصبة القدماء ترحيل من مكان مشبع بعبق التاريخ والتراث الثقافي الذي يعكس ماضي المدينة وهويتها الأصيلة إلى أماكن ذات بيئة مختلفة تغيب فيها السمات العمرانية التقليدية و الاستخدامات المختلفة التي يتيحها المكان و الرموز و المعاني التي تضيف على المكان طابعه الخاص، و التي تشكل جزء من الهوية الجماعية، حيث أن هذا الانتقال ينتج نوع من القطيعة مع الأماكن التي تحمل ذاكرة جماعية.

ثانيا اختلافا النسج العمراني في المجال الجديد حيث أن هذا الأخير يكون منظم بطريقة لا تشبه العمارة التقليدية العتيقة و تفتقر للخصائص الجمالية و المعمارية التي تربط سكان القصبة بهويتهم الثقافية و ذو تصميم لا يعزز اللقاءات العفوية التي كانت سمة من سمات حياة سكان القصبة الأصليين.

ثالثا فقدان العلاقات الاجتماعية المرتبطة بالمكان حيث يفقد السكان لهاته العلاقات المرتبطة بالمكان في الأحياء الجديدة، فمعلوم أن القصبة ليست مجرد حي سكني مادي بل هو عبارة عن فضاء اجتماعي و ثقافي نشأت ضمن جدرانه علاقات اجتماعية قائمة على التضامن و التعاون، علاقات ناتجة على التفاعل اليومي و المستمر في أزقتها الضيقة و كذا في الساحات المشتركة، فعلاقات السكان بالقصبة تتميز بنوع من الترابط الحميمي مع الجيران فالجار و الجيران و تبادل الزيارات بين الدار و الدويرات أمر ضروري في حياة سكانها، و بالتالي يمكن القول أن فقدان الهوية المكانية ليس مجرد فقدان جغرافي بل يشمل أيضا

فقدان لذاكرة المكان و انقطاع للعلاقات الاجتماعية و تلاشي الشعور بالانتماء الذي يربط السكان بحبيهم الأصلي.

نلاحظ من خلال ما ذكرناه أن هوية المكان لها علاقة بالعمارة حيث يرتبط التصميم المعماري بالزمان والمكان ويتجسد ذلك في طريقة تصميم المباني التي تعكس ثقافة وتاريخ المجتمع المحلي وهذا يساهم في منح المكان طابعاً فريداً و مميزاً، فتشكيل هوية المكان تعتمد على عناصر ثلاث أساسية و المتمثلة في الخصائص المعمارية والمظهر العام، الدلالات والرموز المتعرف عليها و الأعمال والوظائف المهيمنة. فالخصائص المعمارية و المظهر العام يتضمن التصميم الداخلي (ساحة وسط الدار، الأسطح...) و الخارجي (الأسواق، الأزقة...) و الذي يعكس الطابع المعماري الخاص بالمكان، أما لأعمال والوظائف المهيمنة فهي ترتبط باستخدامات المكان المختلفة و أيضاً طبيعة الأنشطة التي يمارسها الساكن فيه، و تعبر الدلالات والرموز المتعرف عليها عن القيم و المعاني والرموز و المؤشرات و الدلائل التي تمنح للمكان هويته الخاصة التي يتميز و ينفرد بها الساكن بهذا المجال.

ومن جهة أخرى يؤدي هذا الترحيل الإجباري للسكان الأصليين إلى تفكك العلاقات الاجتماعية و انقطاعها مع مرور الزمن هاته العلاقات التي نشأت نتيجة سنوات من العيش المشترك و الاحتكاك و التفاعل المستمر بين السكان، و التي تمثل بالنسبة للساكن شبكات دعم نفسي واجتماعي و عاطفي فانقطاعها يؤدي إلى الإحساس بالعزلة و الابتعاد و الانفصال و الوحدة.

في مقابلة مع البروفيسور "صفار زيتزن مدني" يبرز لنا تأثير عدم احترام النسيج العمراني على التلاحم الاجتماعي "بسبب إنتهاج الدولة لمخططات السكن السريع و الغير مدروسة في فترة الثمانينيات ، هذه السياسات ركزت بشكل كبير على حل أزمة السكن الناتجة بعد الاستقلال ، لكن احداث فجوة عميقة تجلت في فقدان ملامح الهوية الثقافية والمعمارية للمدن الجزائرية . فبدلاً من مراعاة الأبعاد الحضرية والاجتماعية الأصيلة ، أدى التوجه الطارئ نحو بناء تجمعات سكنية على نطاق واسع إلى اقتلاع السكان من سياقهم الثقافي والمعيشي المميز وتوجيههم نحو أنماط حياة حضرية مفروضة وغير متجذرة . هذا التحول الاجباري ساهم في تفكك الروابط الاجتماعية التقليدية و إضعاف النظم الاجتماعية القائمة ، مما أثر بشكل على تلاشي الهوية الثقافية المحلية التي كانت متأصلة في تلك الأنماط المعيشية . بالإضافة إلى ذلك ، فإن التركيز على الكمية وسرعة الإنجاز في هذه المجمعات السكنية أهمل بشكل كبير الاعتبارات المعمارية

الأصيلة ، مما أدى إلى ظهور فضاءات حضرية نمطية وغير مميزة تتعدم بها ادنى الخصائص المعمارية التي تعكس ثقافة و هوية و تاريخ المدن الجزائرية.¹

2.2 انعزال السكان

"العزلة ظاهرة اجتماعية بمعنى من المعاني لأنها تفترض الشعور بالذات الأخرى، وإن أكثر أشكال العزلة تطرفا و كآبة هو ما تعانيه وسط المجتمع في العالم الموضوعي"² أما الانعزال فهو ظاهرة يبتعد فيها الفرد عن محيطه الخارجي و عن المجتمع و يمتنع عن التفاعل مع الأفراد الآخرين، و يكون ذلك نتيجة اختياره الشخصي أو بسبب بعض الضغوطات الخارجية ما يؤدي به إلى عدم التواصل و الانطواء، و يظهر ذلك من خلال امتناعه عن المشاركة في بعض الأنشطة الاجتماعية يرى دوركايم Emile Durkheim أن الروابط الاجتماعية القوية هي عنصر ضروري و أساسي لأنها تحسن حياة الأفراد اجتماعيا و نفسيا فعندما تتعرض هذه الروابط للتفكك أو أنها تصبح ضعيفة يمكن للفرد أن يشعر بالضياع و عدم الأهمية و هذا يعزز الشعور بالوحدة و الانعزال

أما فيبر Max Weber يرى أن الأفراد يعتمدون على المجتمع في إعطاء معنى لحياتهم وعندما ينعزلون فهم يفقدون هذا المعنى ففي نظر فيبر الانعزال يعمل على فصل الأفراد عن الأنظمة الاجتماعية التي تجعل لحياتهم معنى و هدف و قيمة، فلما يغيب انتماء الفرد فيإمكان هذا أن يؤدي إلى فقدان المعنى الحقيقي للحياة.

من خلال معطيات الجدول أعلاه تشير النسبة المعبرة على انعزال السكان المرحلون من القصبة بالأحياء الجديدة إلى نسبة 28.32% حيث أشار المبحوثون في خطاباتهم إلى عدم توافق السكنات بالأحياء الجديدة مع السكنات بالأحياء القديمة ما نتج نوع من الصدمة لدى السكان حيث يقول أحد المبحوثين: « c'était un choque pour nous...auq'un rapport »

إن الترحيل الإجباري لسكان القصبة من أحيائهم الأصلية و من منازلهم و دويراتهم ذات النسيج العمراني الأصل و العتيق المشبعة بالهوية الجماعية المميزة لهم، إلى أحياء جديدة لا تمد بصلة للنسيج العمراني القديم و تختلف عنها بشكل جذري، تعتبر في نظرنا أحد الظواهر السوسيولوجية الصعبة التي يمكن أن تؤدي إلى الوحدة و الانكماش و بذلك فقدان الهوية الاجتماعية، فهذا الترحيل قد يؤدي الى شعور

¹ صفار زيتون مدني ، أستاذ التعليم العالي بجامعة الجزائر 2 . مقابلة شفوية حول موضوع "اشكالية الاندماج في الاحياء الجديدة" بمخبر لرادات (مخبر التحليل السوسيو- أنثروبولوجي لتنمية الأقاليم). 2018/05/14.

² نيقولاى بردياتق: العزلة و المجتمع ، ترجمة فؤاد كامل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982، ص95.

هاته المجموعة من السكان بفقدان هويتهم الثقافية والاجتماعية، هذا الاختلاف في النسيج العمراني يؤثر على الأفراد و يؤدي الى عدم قدرتهم على بناء علاقات اجتماعية في المجال الجديد، و في هذا الصدد يحدثنا أحد المبحوثين من الضفة الخضراء قائلا: "رحلونا لهذا و ما حترموش

L'architecture ancienne, sa conception, sa planification et la cour centrale de la maison راهي أثرت علينا و على "le voisinage et les relations en générale

إذا ما حاولنا تحليل دلالات الإجابة التي قدمها المبحوث من منظور سوسيولوجي يمكننا استكشاف أهمية الهندسة المعمارية و مدى ارتباطها بالقيم الاجتماعية و انعكاسها بذلك على العلاقات و التفاعلات بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع.

فالهندسة المعمارية ليست مجرد مواد بناء و كتل إسمنتية أو خطوط هندسية أو مجموعة من الجدران و النوافذ و الأسطح بل هي أكثر من ذلك بكثير فهي ترتبط ارتباطا وثيقا ببعض المعاني و الرموز ذات دلالات ، و كذا بمعاني الغير مادية و التي تحدد كيفية استخدام هذا المجال و التي تؤثر أيضا على حياة الأفراد و الجماعات و على طريقة التفاعل فيما بينهم داخل المجتمع ، كما أنها انعكاس للقيم الاجتماعية وأداة تؤثر مباشرة على طبيعة العلاقات بين الأفراد و كيفية تفاعلهم.

كما يشير قول المبحوث أعلاه " راهي أثرت علينا و على le voisinage et les relations en générale" فهذا يعني أن التصميم العمراني و البنايات العمودية أثرت على العلاقات الاجتماعية و هنا إشارة إلى الحنين إلى الماضي، حيث أن الهندسة المعمارية القديمة المعروفة بها أحياء القصبة و التي تحوي دويرات ذات تصميم منفرد يحوي مجالا مفتوحا و ذات استعمال مشترك مثل الساحات المكشوفة داخل الدويرة و الأزقة الضيقة و كذا الأسواق الشعبية تعمل على تشجيع اللقاءات و بذلك التفاعلات و الاتصالات المباشرة بين السكان ما يعزز مفهوم الجماعة لدى هاته الفئة من السكان، فهذه الفضاءات تمثل الحيز العام في علم الاجتماع و التي تسمح للأفراد بالتواصل بحرية، خلافا على البنايات العمودية و الحديثة ذات مجال مغلق داخليا (الموجه نحو الداخل بدلا من الخارج) و ضيق ما يقلص نوعا ما اللقاءات و بذلك ينمي مفهوم المجتمع و الجماعة و الذي يتميز بالعلاقات السطحية التي تؤدي أحيانا إلى الانكماش و الانعزال.

إن هذا التحول من الهندسة المعمارية التقليدية إلى الهندسة المعمارية الحديثة أي البنايات العمودية ركز على تحسين الكفاءة والفعالية في استخدام المساحات لكنه أثر سلبا على العلاقات و التفاعلات و الروابط الاجتماعية بين السكان كما أثر أيضا على نوعية العلاقات الاجتماعية و غير الروابط التي كانت

تتسم بالقوة في المجتمعات القديمة، فغياب المجال المشترك و المتمثل في فناء الدار أو الدويرة (حيث أن وسط الدار في دويرات القصبة عبارة عن ساحة مربعة الشكل و دون سقف أي مكشوفة) و الذي كان أساسي في الحياة اليومية لسكان القصبة أدى إلى اضمحلال و تلاشي رأس المال الاجتماعي .

إن النسيج العمراني و الهندسة المعمارية بصفة عامة ليس مجرد انعكاس للتطورات الهندسية والتصميمية من الناحية الجمالية و الفنية بل هو في الحقيقة عامل بنيوي يعمل على اعادة تشكيل و تكوين العلاقات الاجتماعية كما يؤثر أيضا على طريقة تعامل و تفاعل الأفراد و الجماعات داخل مجتمعهم.

من خلال هذا التحليل يمكننا القول أن التصميم المعماري التقليدي لم يكن فقط ذات تصميم داخلي و خارجي مميز و عنصر تاريخي يعكس ثقافة ذلك المجتمع و قيمه بل كان يعطي الأهمية القصوى للرمزية و كل ما يعبر على الانتماء إلى ذلك الزمان و المكان (مثل الأقواس،الساحة المكشوفة و النقوش،...) كما كانت تشجع على اللقاءات اليومية و التفاعلات بين الأفراد هذا أدى إلى تكوين و بناء مجتمعات متماسكة و عمل على تعميق الادراك بالانتماء إلى تلك الأحياء و ساعد في بناء مجتمع متماسك.



صورة رقم 30 تبين النمط المعماري بالقصبة العتيقة (سيدي محمد الشريف)



صورة رقم 32 تبين النمط القصبية ببرج الكيفان

صورة رقم 31 تبين النمط المعماري القصبية بالثنية

3.2 غياب الفضاءات العامة:

تعتبر الفضاءات العامة أماكن مشتركة و مفتوحة للجميع، حيث تكون متاحة لجميع السكان دون تمييز أو قيود فهي تشمل كل من الساحات، الحدائق، الأسواق والأزقة و الشوارع...، كما انها تُتيح فرصاً للالتقاء و للتفاعل الاجتماعي وتعزز الشعور بالانتماء لذلك المجتمع¹.

إن غياب الفضاءات العامة التي تعتبر عنصراً جوهرياً في حياة الأفراد و الجماعات يعتبر معضلة و مشكلة سوسيولوجية لها تأثير مباشر على طبيعة التفاعلات و العلاقات الاجتماعية، فهي مكان حيوي مهم يتيح للسكان فرصاً للالتقاء و التفاعل و توطيد العلاقات القائمة على التعاون و الحميمية و الثقة و...فهذه الفضاءات تعزز التماسك الاجتماعي و تعتبر بالنسبة للسكان أو الفرد رمزا من الرموز الثقافية و كذا الاجتماعية التي تعزز الهوية الجماعية.

تعد الفضاءات العامة أماكن حيوية لتبادل الآراء و الأفكار و النقاشات حول المشاكل اليومية التي يواجهها السكان أو الأفراد في مجتمعهم بصفة عامة و في حيهم بصفة خاصة، وكذا التعبير عن عن

¹ تعريف إجرائي لمفهوم الفضاءات العامة مقدم من قبل الباحث لعبادي طارق.

القضايا التي تشغلهم مثل مشاكل النظافة، الأمن و...و محاولة اقتراح و ايجاد حلول للمشاكل الاجتماعية أو البيئية التي يواجهونها، و يقول في هذا الصدد البروفيسور Gautier Pirotte في مقال له بعنوان "Citoyens, démocratie participative et espaces publics" إن قلب المجتمع المدني يتشكل من نسيج جمعياتي يُؤطر النقاشات ضمن فضاءات عامة منظمة تهدف إلى حل المشكلات المتعلقة بالقضايا ذات الاهتمام العام " مفهوم المجتمع المدني يرتبط بشكل لا جدال فيه منذ العصور اليونانية القديمة بمسألة التعايش المشترك، فالناس يتجمعون لأنهم يتشاركون ويدافعون ويحافظون على رؤية للعالم وتصور مثالي لمجتمع عادل وخير¹...إذن هاته الفضاءات العامة تتيح للسكان فرصة الالتقاء و الاجتماع لمشاركة الآراء و النقاشات حول المشاكل التي يواجهونها قصد ايجاد أو اقتراح حلول لهاته القضايا المشتركة و ذلك بعيدا كل البعد عن الرقابة و القيود المفروضة فهذا المجال العام ليس مجرد مكان مادي لتجمع السكان بل هو وسيلة أساسية و ضرورية لتعزيز المشاركة و التفاعل الاجتماعي.

فمن خلال النسب المعبرة أعلاه في الجدول نلاحظ أن غياب الفضاءات العامة ترجم بنسبة 23.01% و هي مرتفعة و معبرة في نفس الوقت لما لها من أهمية لدى سكان القصبة المرحلين و الذين تعودوا على المساحات التي تعزز اللقاءات و المشاورات و الاحتكاك اليومي وجها لوجه والمتمثلة في الساحات المفتوحة داخل الدويرات و الفضاءات القريبة من الدار.

فالفضاءات العامة في المساكن التقليدية تشكل جزءا أساسيا و محوريا من هيكل الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع فهذه الفضاءات صممت بطريقة تجعلها تلبي احتياجات الأسرة من جانبيين الجانب المعماري الذي يتمثل من خلال المحافظة على الخصوصية والتفاعل الاجتماعي في وقت واحد و يلاحظ هذا من خلال المساحات الداخلية المفتوحة (ساحة الدار أو الدويرة) اذ تسمح بتجمع العائلات لممارسة الأنشطة اليومية (مثل تحضير الطعام، إقامة حفلات، سهرات و لعب الأطفال) فهذه الفضاءات تُستخدم كأماكن تتيح التفاعل الاجتماعي و تسهل عملية التواصل بين أفراد الأسرة و الجيران فهذه التجمعات العائلية والجماعية تعمل على تعزيز العلاقات و الروابط بين الأفراد داخل الأسرة و بناء الشبكات الاجتماعية بين أفراد المجتمع (و نقصد هنا بين سكان القصبة) فهي أماكن لتبادل النقاش و الحديث و تعزيز التماسك الاجتماعي.

¹ Pirotte Gautier : IV. Citoyens, démocratie participative et espaces publics, La notion de société civile, La Découverte, 2007, p p. 45 -64 . <https://droit.cairn.info/la-notion-de-societe-civile--9782707146946-page-45?lang=fr>.

و الجانب الآخر هو الثقافي حيث أن هاته الفضاءات تُعتبر مكانا حويا للحفاظ على الموروث الاجتماعي و الثقافي حيث تنقل العادات و التقاليد و الأساطير و القصص من جيل إلى آخر كما أنها تعتبر بيئة تعليمية تتميز حيث يتفاعل الصغار مع الكبار و يتعلمون منهم طريقة الكلام و الحوار، التربية الحسنة، الأخلاق الحميدة و كذا تعلم المشاركة في الأنشطة اليومية كل هذا يجعل من الفضاءات العامة مكان بامتياز لتقوية الروابط الأسرية و الروابط الجماعية و التماسك الاجتماعي و تدعم روح التعاون و التضامن.

و في حديثنا مع السكان المرحلون من القصبة الأم إلى القصبات الجديدة في كل من الضفة الخضراء و الثنية، ذكر لنا أحد المبحوثين المدعو "عمي مخلوف" من الثنية قائلاً فيما يتعلق بالفضاءات العامة و أثر غيابها على العلاقات بين السكان قائلاً: « l'espace public est très important car il favorise l'interaction sociale et la cohésion entre les habitants... C'est un lieu clé pour l'expression et la participation à la vie publique. ».

احنا بناتنا حددنا « Des endroits où l'on peut se rencontrer discuter et échanger » إن كلام المبحوث يعكس واقع اجتماعي مهم ذا علاقة بغياب أو نقص الفضاءات العامة في الأحياء الجديدة و عن مدى تأثيره على التفاعل الاجتماعي فيما بينهم، فمن خلال تحليل كلام المبحوث فعلى الرغم من غياب هذا المجال المهم في الأحياء الجديدة فالتفاعل الاجتماعي لم يتوقف بل قام السكان بالبحث على بدائل و اختراع أماكن خاصة بهم للالتقاء و للحفاظ على التواصل و العلاقات الاجتماعية، و هذه طريقة يسعى من خلالها السكان إلى التكيف الاجتماعي و فرض أنفسهم بأحياء الثنية، حيث يمكن ربط كلام المبحوث و مدلولها بنظرية "الفضاء العام البديل" "The Theory of Communicative Action" التي طرحها يورغن هابرماس Jürgen Habermas أين يبحث الأفراد عن فضاءات جديدة للتفاعل والمشاركة في الحياة العامة لما تكون الفضاءات التقليدية مغلقة أو مفقودة، هنا يكون الفضاء البديل بمثابة ساحة للقاءات غير رسمية للنقاش والتفاعل و تبادل الآراء و الأفكار.

فبصفة عامة و من قراءة سوسيولوجية يمكن القول أن الفضاءات العامة ليست مجرد أماكن مادية جامدة بل هي عبارة عن رموز ثقافية واجتماعية تشدد و تقوي الهوية الجماعية وتعيد تشكيل الروابط بين السكان في الأحياء، حيث لها دور حيوي في حياة السكان و تعتبر أداة للتواصل الاجتماعي و مكان بامتياز لتشكيل الرأس المال الاجتماعي و ذلك من خلال التفاعلات بين السكان داخل الأحياء، فمن خلال هاته الفضاءات يتمكن الفرد من التعبير عن آرائه و مشاكله و محاولة إيجاد حلول لها من خلال التواصل و

التشاور فغيابها يؤثر على عملية التواصل بين الأفراد و قد تضعف العلاقات و تتلاشى مع مرور الزمن و تتراجع بذلك روح الانتماء الجماعي فوجودها أمر ضروري و مهم في نظر السكان القدماء للقصبة للحفاظ على التماسك الاجتماعي.



صورة رقم 35 تبين

أماكن التقاء المسنين في الحي

صورة رقم 34 تبين

أماكن التقاء الشباب في الحي

صورة رقم 33 تبين

أماكن التقاء النساء في الحي

صور لأماكن الالتقاء عند السكان القدماء المرحليين من القصبة نحو برج الكيفان (الكاتب مارس 2024)

4.2 بعد المرافق والخدمات:

تعتبر المرافق بنى تحتية أساسية تلبي احتياجات الأفراد داخل الأحياء التي يعيشون فيها أو البنايات أو كل ما يحيط بها و المتمثلة في التعليم، الصحة، النقل، المياه والكهرباء، الصرف الصحي ، الأمن و الطرق إضافة إلى المساحات الترفيهية مثل الحدائق والمرافق المتصلة بها.

أو بتعبير آخر هي مجموعة متكاملة من الهيئات والخدمات التي تشرف على إدارتها الدولة أو بعض الجهات المختصة بهدف توفير بعض الخدمات التي تعتبر ضرورية و أساسية لتلبية احتياجات السكان حيث تسعى هاته المرافق إلى تحسين ظروف الحياة اليومية للسكان و توفير بيئة أفضل لهم و كذا حماية و رعاية مصالحهم المشتركة.

في ظل التوسع العمراني السريع واتجاه الدولة نحو البناء العمودي أصبحت قضايا بعد المرافق و الخدمات تطفوا على السطح، و أصبحت واحدة من أهم الإشكاليات التي تواجه السكان في هاته البنايات

الحديثة، و هذا نتيجة التركيز على الكفاءة في استخدام المساحات على حساب احتياجات السكان اليومية و لهذا تأثير كبير على عملية التفاعل الاجتماعي داخل هاته الأحياء، فمن خلال الجدول أعلاه نلاحظ من خلال النسب أن المبحوثين عبروا عن بعد المرافق و الخدمات عن الأحياء التي رحلوا إليها مقارنة بالطبع بالأحياء بالقصبة العتيقة التي كانت كل المرافق و الخدمات قريبة من دويراتهم و سكناتهم على حد تعبيرهم في المقابلات التي أقيمت معهم سواء بأحياء الضفة الخضراء أو الثنية، حيث أظهرت نتائج المقابلة أن 11.50% من المبحوثين يعبرون عن تدميرهم و استيائهم من بعد المرافق و الخدمات الضرورية في الأحياء الجديدة كما أنها تفتقر للهيكلية التي تجعل الساكن يحس بالراحة و الاسترخاء، و هذه النسب تشير إلى أن هناك مجموعة من السكان يواجهون بعض الصعوبات للوصول إلى المرافق و الخدمات الأساسية التي كانت في أحيائهم القديمة بالقصبة قريبة و متاحة و كانت جزءا من حياتهم اليومية في المنازل التقليدية.

من الناحية السوسولوجية يمكننا تفسير هذا الاستياء من خلال عدة عوامل اجتماعية وثقافية التي تؤثر على نمط حياة الأفراد في المجتمعات الحضرية، حيث نجد في المنازل التقليدية و العتيقة أن المرافق العامة تعتبر جزء لا يتجزأ من الحياة اليومية حيث كانت المرافق قريبة من أماكن السكن و جزء منه و هذا يساهم في بناء شبكة من العلاقات و يساعد في تطوير التواصل الاجتماعي و يتيح فرصا للحوار بين السكان، فقربها لم يكن له دور فقط في تلبية احتياجات اليومية للسكان الساكنين بتلك الأحياء و لكن له بعد أعمق من ذلك و المتمثل في خلق بيئة اجتماعية مفتوحة، حيث سمحت الفناءات المنزلية (وسط الدار) و الأزقة الضيقة المتعرجة و الأسواق الشعبية بالنقاء السكان وجها لوجه طيلة اليوم و تبادل الحديث و الحوار و الأفكار و كذا الأنشطة الجماعية، حيث يذكر احد المبحوثين من الضفة الخضراء في هذا الصدد السيد عبد الرزاق قائلا: " في الدويرات فالقصبة دائما نتلاقى بحبابي و صحابي نهار اللي مانشوفوش كاشي واحد نقول وقيل راه مريض و لا سافر...كنا نتلاقوا و نهذرو على كل شي خطرا جارنا Il avait une fuite d'eau تلاقينا حكالنا رحنا عاوناه...الواحد كيخرج صباح اصلي و لا يقضي و...لازم نوقفو نهذرو شويا مع أنو نتلاقوا دائما...الصحة تاعهم ماتت شبعش...هنا ناقصنا بزاف كل واحد وين سكنوه و ماكاش une place تلمنا و لا حتى je dit bien dans la rue mais pas dans la Houma " نفهم من هذا الحديث أن المرافق العامة في المجتمعات التقليدية تتجاوز كونها مجرد أماكن للخدمات اليومية بل كانت بمثابة فضاءات للتواصل و التفاعل الجماعي و تتيح للأفراد التفاعل بشكل مستمر مع بعضهم البعض و هذا كان يقوي روح الجماعة و يخلق نوع من البيئة العائلية ذات الاحتكاك و التعامل اليومي و يحسن و يقوي التماسك بين السكان و ينمي روح التعاون و التضامن و يولد ذلك الانتماء

إلى هاته الأحياء ، فقول المبحوث أنه لا يوجد مكان يجمعنا و أن السكان لا يمكنهم الالتقاء في مكان يجمعهم مثل ما كان سالفًا بالقصبة حيث اللقاءات المتكررة بفناءات الدار و الدويرة و بالأزقة الضيقة للقصبة و الأسواق المتعددة، كما يشير أيضا في كلامه الى أنه لا يلتقي حتى مع أصدقائه و لو في الشارع و شدد و أكد على أنه "الشارع" و ليس الحومة لأن للمفهومين دلالات مختلفة فالشارع هو فضاء وظيفي مفتوح يستخدم للإشارة إلى المسار الذي يستعمله الأفراد للانتقال من مكان إلى آخر أي أنه يستعمل للتنقل و تكون فيه التفاعلات الاجتماعية أقل حميمية و أكثر رسمية و الشارع يفتقر عادة إلى ذلك الشعور بالانتماء كما يفقد أيضا دوره التقليدي كفضاء و مجال للتفاعل بين السكان ليصبح عبارة فقط عن ممر يستعمله الساكن للوصول إلى المباني و هذا يقلل من فرص الالتقاء و التواصل. بينما مفهوم "الحومة" فيشير للفضاء القريب من المنزل و يتواجد به الجيران و الأحباب و الأصدقاء و يتفاعلون فيما بينهم بشكل يومي و متكرر فهو فضاء للتفاعل العميق حيث الروابط القوية و هي عنصر مهم لتكوين الهوية الجماعية و تنشئ لدى ساكنها الشعور بالانتماء للمجموعة و للحي.

فحديث المبحوث عن "الشارع و الحومة" بعد انتقاله من المنازل التقليدية بالقصبة العتيقة إلى السكنات و البنايات الحديثة ذات نمط معماري مختلف، يحمل في طياته دلالات عميقة تعبر عن التحولات الاجتماعية التي مر بها السكان كما يشير في نفس الوقت إلى شعورهم بافتقارهم للتواصل اليومي و التفاعل الاجتماعي الذي كان سمة سائدة في الحي القديم بالقصبة، فالجميع يعرف بعضهم البعض و العلاقات تتسم بالحميمية و مبنية على الثقة المتبادلة، و الذي كان يعمل على تقوية روح الجماعة لدى السكان و الارتباط العاطفي القوي بالمكان، فالسكان القدماء أحسوا بنوع من التباين الظاهر بين الحياة الاجتماعية المفتوحة (من خلال ساحة الدار و السطوح و الأزقة و الأسواق، المقاهي...) في الأحياء القديمة و الانعزال الذي قد يشعر به السكان بالأحياء الجديدة ذات نمط سكني يركز على البنايات الأفقية، حيث يعيش السكان في شقق و وحدات سكنية معزولة عن بعضها، و يسهم هذا الانعزال في ضعف الروابط الاجتماعية و قلة التفاعلات اليومية ما يؤدي إلى الشعور بالوحدة في الأحياء الجديدة.

يمكن القول أن استياء السكان من بعد المرافق و الخدمات بالأحياء الجديدة راجع للتحول العميق الذي يعيشونه بهاته الأحياء في جميع جوانب الحياة خاصة في أبسطها حيث يتمنى فقط مكان يجمعه بأصدقائه و جيرانه مكان تستمر فيه العلاقات الحميمية و تستمر فيه التفاعلات و اللقاءات و العلاقات الاجتماعية و تستمر فيه خاصة الحياة بهاته الأحياء الجديدة، و التي كانت قد تساهم في تعزيز التفاعل و التماسك الاجتماعي، حيث يذكر دوركايم بأن التوازن بين الفرد والمجتمع يتحقق من خلال وجود بنية اجتماعية

متماسكة تمكن الأفراد من التفاعل و المشاركة في الحياة الجماعية و لكن هذا التوازن يختل عند عدم وجود المرافق التي تربط الأفراد بالمجتمع حيث يصبح الفرد منعزلا و تضعف روابطه الاجتماعية.



صورة رقم 36 توضح سيارات النقل غير الرسمي من حي القصة ببرج الكيفان مباشرة نحو القصة العتيقة (الكاتب مارس 2024)¹

خلاصة الفصل

إن الترحيل الإجباري عملية يتم من خلالها إقتلاع مجموعة من السكان من جذورها و فصلها عن منبع تراثها و عاداتها أي من الأحياء الأصلية التي يسكنون فيها إلى أحياء لا تمت بصلة للمجال القديم لا من ناحية الهندسة العمرانية لا من ناحية موافقة المكان (الضاحية و خارج الولاية) باعتبار أن سكان القصة كانوا يسكنون بمركز العاصمة و الحياة بالمركز تختلف تماما عن العيش على ضفاف المدن مثل " أحياء برج الكيفان" و خارج الولاية " أحياء الثنية "، فهذا الانتقال الذي يصحبه تغيير مفاجئ يؤدي إلى فقدان المعالم و ضعف الهوية الجماعية مع مرور الزمن و تفكك النسيج الاجتماعي و العلاقات التي تعتبر عمود فقري يربط بين أفراد المجتمع و تعمل على حفظ التراث بأنواعه و نقله للأجيال القادمة.

إن ركيزة العلاقات الاجتماعية في أي مجتمع يمكن أن تنطلق من التفاعل الاجتماعي الذي يعتبر عملية أساسية في بناء الهويات داخل الأحياء و الجماعات، حيث يعمل التفاعل الاجتماعي على اكتساب الفرد للقيم و المعايير الاجتماعية و ترسيخها فمثلا يرى G.Herbert Mead الذي يعتبر من مؤسسي مدرسة التفاعلية الرمزية و الذي تحدث عن الدور الذي يلعبه التفاعل الاجتماعي في تكوين هوية الذاتية للأفراد حيث يرى في تحليله أن الفرد ينمي ذاته من خلال التفاعل الاجتماعي مع الآخرين، و من هنا نلاحظ أن النظام الاجتماعي يبني من خلال التفاعلات اليومية بين الأفراد في الأحياء فهو لا يفرض من

¹ لاحظنا ان السكان عمدوا الى خلق استراتيجية غير رسمية بربط الحي الجديد بالحي القديم عن طريق خلق جسر مباشر للنقل غير الرسمي لغرض ربط و تسهيل الوصول للقصة العتيقة و قضاء مختلف حاجياتهم اليومية .

الخارج كما أن الأفراد يمكنهم إعادة إنتاج النظام في كل مرة يتفاعلون فيه. "يتطور مفهوم التفاعل حول فكرة أن الأفراد هم الذين يخلقون النظام الاجتماعي من خلال تفاعلاتهم اليومية، وليس التفاعلات التي يحكمها نظام خارجي يفرض نفسه على المشاركين ومن هنا يتطور الاهتمام بملاحظة الممارسات الاجتماعية بطريقتها المعتادة"¹.

العلاقات الاجتماعية متأصلة و راسخة بعمق في الأحياء القديمة بحيث تعتبر المساعدات و الإعانات التي يقدمها الأقارب والجيران و الأصدقاء جزءا مهما من رأس المال الاجتماعي فوفقا لتعبير "بيير بورديو" رأس المال الاجتماعي يتمثل في شبكة العلاقات و الروابط المتبادلة فهو يعتبرها مصدرا للقوة و الدعم و التي تتطلب التزاما أخلاقيا من الأفراد تجاه بعضهم، في هذه المجتمعات يُنظر إلى الدعم و المساعدة كواجب اجتماعي وليس كفعل تطوعي و هذا مما يعزز أكثر شبكات الدعم غير الرسمي و ذلك من خلال العناية بالأطفال و الدعم المالي في حالة الحاجة إليه بالإضافة إلى التعاون في الأزمات، فهذه الشبكات و العلاقات تعمل وفق مفهوم المعاملة بالمثل الذي أشار إليه عالم الأنثروبولوجيا "مارسيل موس" ، حيث يتوقع الأفراد أن يحصلوا على دعم مقابل عند الحاجة إليه.

إن أساس العلاقات بين السكان بالقصبة هو التعاون و الدعم الاجتماعي غير الرسمي حيث كان هذا الأخير قائما بين أفراد الحي لتقديم المساعدات في كل الأوقات خاصة الحرجة منها كالأزمة المالية أو الوعكة الصحية، و لكن بعد الترحيل إلى الأحياء الجديدة أصبح الحفاظ على العلاقات و المعاملات و التفاعلات أمرا صعبا و هذا ما أدى إلى خلق نوع من الفراغ في الشبكات الاجتماعية بين السكان.

يمكن تفسير ضعف و انخفاض التفاعل الاجتماعي للسكان الأصليين للقصبة بعد انتقالهم إلى الأحياء الجديدة من خلال العلاقة القوية الموجودة بين الهوية و الماضي فالمجموعات المرحلة تجد صعوبة في التفاعل كونها تشعر بأن المجال الجديد لا يعكس هويته و قيمه المتجذرة و المتأصلة في الماضي ولكن مع مرور الزمن يمكن لهاته المجموعة التكيف تدريجيا و ذلك عبر إيجاد توازن بين ماضيهم و الحاضر المعاش و يحاولون بذلك اختراع عناصر جديدة تساعدهم على بناء هوية عامة و أكثر ملاءمة مما يساعدهم على بناء روابط اجتماعية جديدة في المجال الجديد دون التخلي عن هويتهم الأصلية

¹ Traverso, Véronique : **Interaction** , Les concepts en sciences infirmières 2ème édition, Association de Recherche en Soins Infirmiers, 2012. p.208-209.
<https://doi-org.snd11.arn.dz/10.3917/arsi.forma.2012.01.0208>

الفصل الرابع

التحليل السوسيولوجي للفرضية الثانية

1 - إعادة إنتاج الممارسات الاجتماعية

1.1. استمرارية بعض العادات الاجتماعية

2.1. استمرارية التواصل بين السكان

3.1. محاولة الحفاظ على الأدوار الاجتماعية

4.1. إحياء البعض من الأنشطة الثقافية التقليدية

2 - التسمية كأداة للهوية الثقافية

1.2. اختراع تسمية جديدة تعكس الهوية الأصلية

2.2. ترسيخ الانتماء المكاني

3.2. إضفاء طابع رمزي على التسمية

4.2. استعمال أسماء الأماكن الأصلية في الأنشطة اليومية

3 - تعزيز الهوية الجماعية في الحي الجديد

1.3. بناء هوية جماعية جديدة مستوحاة من الماضي

2.3. استمرارية الشبكات الاجتماعية بين السكان

3.3. تعزيز الشعور بالانتماء للمجتمع الجديد

4. أيهما أولى بالأحياء الجديدة، التكيف أم الاندماج، ؟

1.4. التكيف

2.4. الاندماج

خلاصة الفصل

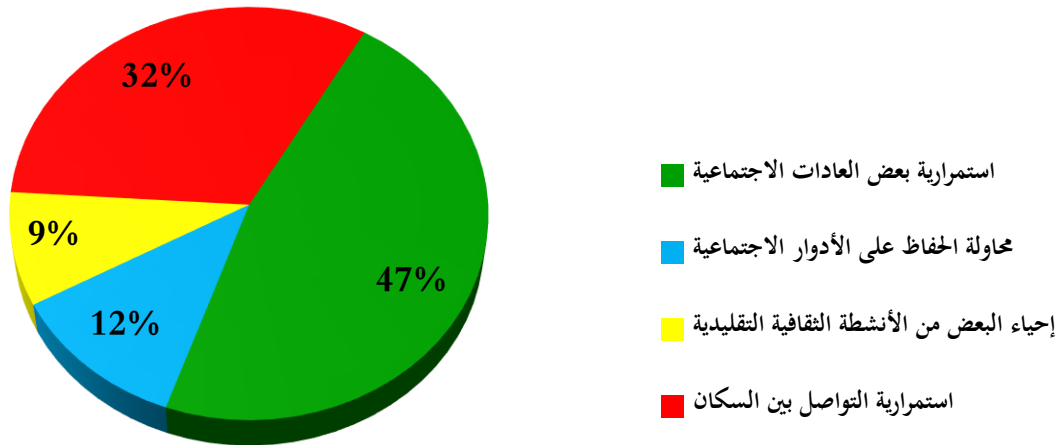
جدول رقم (07): يمثل محاولة المرحلون اختراع تسميات بالمجال الجديد كوسيلة لإثبات وجودهم

المحور	الفئة	التكرارات	النسبة
إعادة إنتاج الممارسات الاجتماعية	استمرارية بعض العادات الاجتماعية	32	47.06%
	محاولة الحفاظ على الأدوار الاجتماعية	8	11.76%
	إحياء البعض من الأنشطة الثقافية التقليدية	6	8.82%
	استمرارية التواصل بين السكان	22	32.35%
التسمية كأداة للهوية الثقافية	اختراع تسمية جديدة تعكس الهوية الأصلية	68	29.31%
	استعمال أسماء الأماكن الأصلية في الأنشطة اليومية	42	18.10%
	ترسيخ الانتماء المكاني	63	27.16%
	إضفاء طابع رمزي على التسمية	59	25.43%
تعزيز الهوية الجماعية في الحي الجديد	بناء هوية جماعية جديدة مستوحاة من الماضي	44	55.00%
	استمرارية الشبكات الاجتماعية بين السكان	28	35.00%
	تعزيز الشعور بالانتماء للمجتمع الجديد	8	10.00%
المجموع		380	100%

1 - إعادة إنتاج الممارسات الاجتماعية:

إعادة إسكان العائلات لا ينجز عنه دائماً التخلي عن العادات الاجتماعية والثقافية للسكان الأصليين في مجالهم الجديد. عكس ذلك لوحظ في العديد من الحالات تشبث واستمرارية المرحليين في ممارساتهم التقليدية، فمن خلال هذا المحور سنركز على التفصيل في كيفية استمرارية العادات الاجتماعية في الحي الجديد، وحرص على التواصل بين المرحليين القدماء للحفاظ على هويتهم المشتركة من الزوال، مع تناول جوانب مثل ضعف الأدوار التقليدية لكبار الحي والأسر التقليدية، تناقص الأنشطة الثقافية و العلاقات الاجتماعية بسبب تأثيرات المجال الجديد.

شكل رقم 08 يوضح إعادة إنتاج الممارسات الاجتماعية



1.1. استمرارية بعض العادات الاجتماعية:

تعتبر العادات الاجتماعية ضرورية في حياة الأفراد والمجتمعات و تلعب دورا أساسيا في تشكيل العلاقات بين الأفراد و تنظيم حياتهم، فهي مجموعة من السلوكيات والممارسات التي يمارسها الأفراد في حياتهم اليومية كالاحتفال بالمناسبات الدينية أو الوطنية أو العائلية و أنماط اللباس و الطقوس المتبعة في الزواج و الأكلات التقليدية و هي تنبع من القيم والمعتقدات السائدة في ذلك المجتمع، فهاته العادات تورث من جيل إلى جيل وتُعتبر جزء من هوية المجتمع وثقافته و تعمل على تقوية التماسك الاجتماعي بين أفرادها. تشير البيانات المتاحة في الجدول الى أن نسبة المبحوثين الذين أظهروا استمراريتهم في العادات و التقاليد بالأحياء الجديدة تفوق بشكل ملحوظ النسب المتعلقة بالفئات الأخرى، و الممثلة بـ 47.06% و هذا يظهر مدى أهمية هذه العادات و التقاليد كعنصر مركزي في تكوين الهوية الجماعية للسكان و دافع للاستمرارية بالمجال الجديد و إثبات الذات. تقول خالتي فاطمة ساكنة قديمة بأحياء القصبة العتيقة و من ضمن السكان المرحلون إلى "أحياء الثنية": "...الواحد اقول الصبح في هذ الدار كاين لتساع les chambres واسعين...مي الحالة باردة متحشيش بالفرحة تخص جارتي اللي طل عليا في كل وقت اللي نقسم معاها واش عندي...كل واحد مغلق على روحوا و بعاد على بعضانا...ماكاش واش يجمعنا...مع الوقت وليت كنخرج لسوق نتلاقوا مي رانا حبيبات ماشي كما القصبة كاين واحد l'ambiance احس بها غير وليد القصبة...وليد وليدي صام أول مرة.في القصبة نطلعوه لسطح تاع الدويرة باش ياكل أول لقمة لكن هنا في bâtiment ماكاش سطح حطيناه في البالكون و درنالو كل ما يلزم و فرحنا به...يا وليدي هذا واش يخلينا عايشين كتنفكرو زمان و يامات القصبة... "و تضيف لالة عويشة:" مازالي نطيب الحلوى كزمان واش

ملمقروط و الطابع و الكعيكعات و الغريبة ...الديول حنا نديروهم في رمضان...ماء الزهر كاين اللي يديروه فالدار..."

إن محافظة سكان القصبة على بعض العادات الاجتماعية والطقوس القديمة في الأحياء الجديدة كحفلة الاختتان و صيام الطفل لأول مرة و بعض التحضيرات التقليدية في الزواج ، و اعتماد نفس الطريقة في تحضير بعض الأكلات التقليدية و إحياء الجلسات الرمضانية بين النساء بإقامة البوقلات و تحضير بعض الحلويات كالكعك و المقروط المعسل و الشاي و حكايات زمان مثل "خداوج العميا و فاطمة المعكرة" و غيرها، تجسد أبعادا اجتماعية وثقافية عميقة توحى إلى أهمية هاته الممارسات الاجتماعية في تماسك الأفراد فيما بينهم فهي تعطيهم الشعور بالوجود و تدفعهم للاستمرار في العيش بهذه الأحياء، و التي يعتبرها السكان المرحلون جافة ينقصها ذلك الإحساس بالعيش و تفتقد لذلك الهيكل المشبع بالقيم و العلاقات و العادات و الرموز و المتمثل في تصميم المنازل العتيقة و روح التعاون و التضامن الذي يميزها، حيث يرى Émile Durkheim إميل دوركايم أن الطقوس والعادات و الممارسات القديمة تمثل قوة رمزية تعزز من التضامن الاجتماعي حيث توفر هذه الممارسات إحساس بالانتماء، كما أن انتقال السكان القدماء إلى أحياء جديدة قد يُشعرهم بنوع من الوحدة والغربة لذلك فتجسيد هاته الممارسات و العادات الاجتماعية القديمة المتمسك بها السكان الأصليين للقصبة بالأحياء الجديدة، تمثل وسيلة لإعادة خلق جو حميمي و إعادة إنتاج لقيمهم الثقافية التي تؤكد هويتهم الجماعية، و إن دل هذا على شيء إنما يدل على محاولة سكان القصبة تعريف أنفسهم في الأحياء الجديدة.

إن تمسك السكان القدماء بالعادات و التقاليد و الممارسات الاجتماعية التقليدية و محاولة تجسيدها بالأحياء الجديدة، دليل على محاولة هذه المجموعة تحقيق نوع من التوازن بين الاندماج في المجال الجديد و المحافظة على موروثهم الاجتماعي و الثقافي، كما أن استمرار العادات الاجتماعية تمنح السكان القدماء إحساسا بالاستقرار و تعطي لحياتهم معنى، فهي تمثل بالنسبة لهم رابط معنوي يربطهم بماضيهم و بجذورهم في المجال الجديد، و هنا يمكننا القول أن إعادة إحياء العادات و التقاليد ليست مجرد سلوكيات و ممارسات عشوائية و إنما هي وسيلة يستعملها السكان القدماء للتعبير عن ذاتهم من أجل الاستمرار في تجسيد هويتهم الجماعية التي تميزهم عن غيرهم بالمجال الجديد.

2.1 استمرارية التواصل بين السكان :

إن استمرارية التواصل بين السكان القدماء في الأحياء الجديدة التي رحلوا اليها تشكل عاملا مهما في تسهيل عملية الاندماج و التكيف بحيث تلعب بعض الظروف الاجتماعية و الثقافية دورا جوهريا في طريقة استمرار الممارسات الاجتماعية و ديمومة الروابط و تقويتها كما أنها تؤثر بقوة على العلاقات بين السكان ، لهذا الغرض سنحاول استعراض من خلال هذه الفئة كيف تسهم هذه الظروف في تسهيل أو عرقلة استمرارية التواصل بين السكان في الأحياء الجديدة .

كما هو موضح في الجدول أعلاه فإن نسبة 32.35 % من المبحوثين اعربو عن استمراريتهم بالتواصل مع السكان القدماء المرحلين من حي القصبة نحو الحي الجديد و هم لازالو حرصين على الاحتفاظ باستمرارية العلاقات و ديمومة التواصل بينهم قدر المستطاع وهذا التواصل يمكننا ترجمته و تلخيصه في عدة نقاط من اهمها :

تعتبر استمرارية التضامن الاجتماعي بين أفراد السكان القدماء من القصبة عنصرا أساسيا في تعزيز التواصل الدائم بينهم و ذلك من خلال المساهمة في الأنشطة اليومية من تبادل المساعدات و النصح لتذليل الصعاب التي تواجههم في الحي الجديد "هذا حال أولاد القصبة الاصليين..." على حسب قول احد السكان القدماء للقصبة "...ناس القصبة وين مايكونو عايلة و حدة...كل واحد واجب عليه يرفد خوه كيف ما كان صغيرة و لا كبيرة" و هذا يخلق مناخ يبعث لدى السكان الاحساس بالتضامن و الانتماء لمجموعة قوية في المجال الجديد، كما يضيف السيد عبد النور في قوله " ...نترافدو بيناتنا ، هذا يعاون خوه باش يلقي خدمة ،او اخر يجيب الاولاد من المدرسة...حتى الكبير او يرد بالو على الدار " مشيرا إلى مدخل العمارة على انه كالمنزل الواحد الكل يتكافل و يتواصل لتذليل صعاب الحياة اليومية ، وهذا ما يزيد من التماسك الاجتماعي .

كما انه من خلال المقابلات التي أجريت في ميدان البحث لاحظنا تفاعل كبير داخل الجماعات من السكان المرحليين القدماء بمختلف الفئات العمرية و هذا التواصل الدائم يلعب دور في بناء علاقات قوية تتوسع الى كامل أفراد المجتمع المتفاعلين داخل نفس الحي مما يفتح المجال للتفاهم و المشاركة الايجابية و بطبيعة الحال هذا الاحتكاك يجعلهم يشعرون بأنهم جزء من هذا المجتمع ما يقلل الاحساس بالبعد و العزلة .

و حسب السيد عبد النور احد المبحوثين من الضفة الخضراء فهذا التواصل المستمر و الدائم داخل الحي في الحقيقة نابع من هوية اهل القصبة القدماء بحيث كل من عاش داخل أحياء القصبة هو بطريقة

أو بأخرى احد أفراد عائلة واحدة و كبيرة تتقاسم نفس العادات والتقاليد العريقة و نفس ذكريات الماضي الاستعماري و مأسيتها، دون نسيان الفترة التي قضاها جيل الاستقلال من اكتظاظ و تهميش للقصة العريقة هذا كله يلعب دورا كبير في ترجمة استمرارية هذا التواصل و التكافل خصوصا في بعض المناسبات الدينية أو الاجتماعية كأفراح الزواج و الختان والتي يشير إليها السيد عبد النور لكن في الأخير يتنهد قائلا "dommage... هذو العوايد رهي غير تنقص ، او كل واحد ارجع يدير الملزوم برك ...كلشي رجع غالي " و ما نستشفه من خلال حديثه أن الروابط الاجتماعية داخل هذا المجتمع تخلق جوا من الاستقرار و التلاحم كما يبعث شعور بالارتياح و الإطمئنان رغم البعد عن المجال القديم عن قصة الأم الذي استأصلوا منه لأسباب مختلفة لكن الشعور بالانتماء لماضيهم العريق لا يزال قائما رغم الظروف الاجتماعية و الاقتصادية الصعبة و التي تبقى تتلاشي شيئا فشيئا ، إن هذا التواصل يلعب دورا مهما في تناقل الخبرات و الشعور بالانتماء ما يجعلهم يحافظون على هوياتهم الثقافية من خلال ممارسة عاداتهم و تقاليدهم القديمة في المجال الجديد و التي تعزز استمرارية التواصل بين السكان و تقوي الارتباط بجذورهم الأصلية و بترائهم.

من خلال البحث المقام في كلتا القصبتين "الثنية و برج الكيفان " تم ملاحظة أن الحي لم يتم إعمارها من سكان القصة كاملا بل هو خليط من سكان من مختلف المناطق و الأحياء، كما أن التنوع الثقافي في الحيين لم يعرقل عملية التواصل أيضا فيما بين السكان المرحليين من القصة الأم و بين السكان من باقي الأماكن الأخرى خصوصا في " حي الثنية " أين وجدنا انه من 350 مسكن تم إحصاء 223 عائلة من القصة العتيقة أي ما يعادل أكثر من 63% من السكان من القصة و أما حي قصة " برج الكيفان " فقد تم استقبال 280 عائلة من أصل 680 مسكن أي ما يعادل أكثر من 43% و هذا ما يجعلنا نلاحظ هذا التباين في العادات و التقاليد و محاولة إثبات ثقافة سكان القصة في حيهم المستقبل من طريقة الطبخ أو اللباس واللهجة القصباجية حتى في حديثهم عن الفنانين و الموسيقى الشعبية بالإضافة لمختلف أماكن و أزقة القصة العتيقة ، هذا ما سهل في ربط علاقات اجتماعية قوية تحفظ استمرارية من جهة و فرض وجود الثقافة القصباجية في المجال الجديد من جهة أخرى.

كما انه من بين عوامل استمرارية التواصل بين السكان القدماء يجدر الإشارة للعامل النفسي الذي يلعب دورا هاما للسكان بحيث أن تقاسم نفس التجارب يعطي احساس بالطمأنينة ما يجعلهم يعبرون عن مخاوفهم من فقدان هويتهم الأصلية و محاولة الحفاظ عليها بشتى الطرق من الاندثار و التشتت كما يضيفي في نفس الوقت شعورا بالانتماء عن طريق التواصل المستمر ، وهذا يشعرهم بأنهم جزء من مجتمع في حييهم

الجديد بحيث يحثهم على الاستمرارية و البقاء و اثبات الوجود و ذلك بالاتصال و تقوية علاقاتهم بمختلف الأنشطة الجماعية ، و هذا ما يدفعهم الى الحفاظ على علاقات دائمة بالنسبة للفئات الكبيرة في السن خاصة أما الفئات الأخرى فعلاقاتها تبقى تخضع لاستراتيجيات اجتماعية و اقتصادية أخرى.

لكن الملاحظ والمتفق عليه من اغلب الفئات أن الشعور بالغربة و البعد بسبب التغيرات الجذرية في حياتهم اليومية يمكن التخفيف منها عن طريق التواصل المستمر بين السكان القدماء فيما بينهم و ذلك من خلال تقديم المساندة الاجتماعية و النفسية من بعضهم البعض في الأحياء الجديدة و هذا التمساه من خلال الدور الذي تلعبه الجمعيات الرياضية و الثقافية في الحي من تنظيم لمباريات في ملعب الحي " في الثينة " أو النشاطات الثقافية في حي " برج الكيفان " من حملات للتنظيف أو النشاطات الخيرية في الحي . في الأخير يمكننا الاستخلاص إلى أن العوامل المتباعدة منها الاجتماعية ، الثقافية و النفسية تتداخل بشكل مباشر في المحافظة على استمرارية التواصل بين السكان فيما بينهم وخصوصا القدماء منهم و هذا لغرض توفير بيئة محفزة للاستمرار في المجال رغم تغيره ، بالإضافة الى الارتكاز على أحد العوامل الأساسية و المتمثلة في العامل النفسي و الذي يضفي شعور بالاطمئنان الذي يسمح ببناء علاقات قوية و مستمرة ، فالاستمرارية و التماسك القوي و الدائم يسهل تأقلم السكان المرحلون مع المجال الجديد مما يساعدهم على الاندماج بسهولة و هذا يحقق بدوره حياة مستقرة بأحيائهم الجديدة .

3.1 محاولة الحفاظ على الأدوار الاجتماعية:

بعد ترحيل سكان القصبة إلى الأحياء الجديدة خصوصا أن هذه الأخيرة تختلف عمرانيا عن النمط السكني المعروف و الفريد من نوعه عالميا ، فان ذلك اثر بشكل كبير في الحي الجديد على قوة الأدوار الاجتماعية التي كانت سائدة قديما و التي عرفت بها القصبة بمختلف شرائحها و اختلافها. بحيث بلغت نسبة المبحوثين الذين يقرون بان الأدوار الاجتماعية لاتزال قائمة بنسبة 11.76% وهذا يجعلنا نتنبأ بتلاشي و ضعف الأدوار الاجتماعية التي كانت تكتسي مكانة قوية بين سكان القصبة في الماضي ، وهذا راجع لعدة أسباب نذكر من أهمها :

تأثير النمط السكني إذ أن الانتقال للحي الجديد و الذي هو عبارة عن سكن عمودي مكون من شقق منفردة أين الجيران يتبادلون فقط السلام ويتقاسمون مدخل العمارة التي تعتبر من الاجزاء المشتركة، بينما السكن في القصبة مختلف تماما عن نمط السكن العمودي حيث يشتركون العديد من المجالات و ذلك

بسبب صغر المساحة المشغولة ،و هذا ماجعل السكان يتبنون سلوكيات في مساكنهم الجديدة لم يألفوها من قبل و اكتسبوا حريات خاصة داخل مساكنهم لم يحضو بها سابقا و هذا ما اثر بشكل كبير في إعادة تكيف الأدوار بين الجيران و بين النساء و الرجال و حتى بين مختلف الفئات العمرية سواء داخل المسكن أو خارجه.

و ما لحظناه بالأحياء الجديدة أن شساعة المساحة و اتساعها زادت من عزلة السكان بينما ما كان معروف به في القصبة العتيقة ضيق الدويرات و الأزقة يجعل السكان يلتقون في كل فترة و بطريقة متواصلة حيث عرفت العلاقات كثافة و قوة.

إن اختلاف التصميم المعماري بين القصبة العتيقة و الأحياء الجديدة جعل السكان يعدّلون إن صح القول في أدوارهم و سلوكياتهم السابقة لتصبح تتماشى و تتلاءم مع المجال الجديد، علما أن هذا الأخير يضم سكان من ثقافات و عقليات و طبقات مختلفة حظروا من مختلف مناطق و أحياء الجزائر، حيث تحدثنا السيدة خديجة 63 سنة و تقول لنا في هذا الصدد "...الجيران تاع القصبة باينين او معروفين ،يا في الطياب ولا في شغل الدار ...او الكبيرة دايمن تعلم الصغيرة. نتلاقو في السطح ولا في السحين ... كامل دار وحدة...ايه كاين اللي مازال نتلاق بهم هنا كبرنا " و تضيف قائلة " واش كنا نديروه زمان في القصبة مازلنا نديروه هنا نقص بزاف و لكن نحاولو نحفظو و نبقاو كزمان هنا داخل دويرتنا قعدنا كف كف العويقات يتعلمو الطرز و الكروشي و المجدود انا نعلمهم الديول و الكعيكعات و الصامصا...مولا بيتي كجينا هنا هو يخدم في النحاس قعد كف كف "

و تضيف أخرى حول اختلاف الأدوار بين الماضي و الحاضر لنقول "...هنا كل واحد في دارو ،يعرف شغلو . الجيران تاع هنا شغلهم ما شي كي شغالتنا مختلفين شوية ...مانتشوف واش دارو ، ما تتلاقى بيهم غير اذا خرجنا لكاش صالحة ...و اذا حبينا نتعارضو نعطو في التلفون...بكري كنا ندورو دار بدار باش نعرضو للعرس ولا ختانة..."

من خلال خطابات المبحوثات نلاحظ أن السكان بالأحياء الجديدة أشاروا إلى بعض النقاط التي نعتبرها مهمة و تحتاج إلى التحليل و التعمق فيها أولا أشارت المبحوثة إلى أنهم بقوا متمسكين ببعض الأدوار القديمة كالعادات و التقاليد و الحرف (الطرز و الكروشي و المجدود ... الديول و الكعيكعات و الصامصا... يخدم في النحاس) ، و هذا دليل على قوة الهوية التي تتمتع بها هذه المجموعة من السكان و التي تثبت أن لها جذور عميقة عمق التاريخ و عمق ثقافتهم، فليس من السهل الاحتفاظ بالأدوار في بيئات و محيط مختلف و جديد خصوصا إذا كانت المجموعة المرحلة صغيرة مقارنة بالمجموعات الأخرى.

ثانيا قوة الدعم الاجتماعي فالسكان المرحلون يتكاتفون فيما بينهم و يحاولون البقاء متماسكين و يساعدون بعضهم البعض، فاشترك هذه المجموعة في نفس الخلفية الثقافية (نفس القيم و العادات والتقاليد، جاؤوا من نفس الأحياء، و هم من نفس الطبقة الاجتماعية...) يعمل على تشجيع السكان على الاحتفاظ بهويتهم الجماعية التي تميزهم عن غيرهم من السكان بالأحياء الجديدة.

ثالثا البقاء على تواصل مع الأحياء القديمة يغذي هوية السكان المرحلون و تجعلهم أكثر قوة و ثبات ليستمروا في الأحياء الجديدة، و التواصل إما يكون بالانتقال إلى القصبة لزيارة الأصدقاء و الجيران و الأحباب أو بالتواصل باستعمال الهاتف و هذا ما أشار إليه الكثير من المبحوثين في حديثهم ، خصوصا المرحلون إلى "الثنية" لأن المسافة الطويلة و بعد القصبة عليهم يستخدمون وسائل التواصل الحديثة. رابعا استمرارية بعض السكان في نفس الأدوار التي كانوا يمارسونها بالأحياء القديمة فيما يخص المهن كالحداثة و صباغة الأقمشة و تنظيف أواني النحاس و صنع بعض الأغذية كالديول و الخبز التقليدي و الحلويات التقليدية المختلفة، و هذا يعمل على ترسيخ و حفاظهم بهويتهم المهنية القديمة.

كما يضيف السيد علي 52 سنة " ملي جيت سكنت هنا تبدل عليا كلشي ،حتى المعاملات اصغير ما يقادر الكبير كيما كنا حنا او غالبية الجيران تفرقو ، كانوا في حومة وحدة مترافدين في وقت الديق .لكن اليوم بقينا غير حبيبات... مازلنا كيما كنا في القصبة اما البقية كل واحد لاتي بحالو .لي خرج retaite حاكم جيهة ،و الى خدام يدخل في الليل دايرها غير للرقاد ...اصبحنا نتلاقو فالفيس بوك مع القدم اللي قعدو في الحومة ."

ما أشار إليه المبحوث هنا في خطابه تعتبر نقطة جد مهمة حيث بعد انتقال السكان القدماء (أي المرحلون) إلى الأحياء الجديدة و أصبحوا مبعثرين كل في منطقة ما و في حي ما، حيث نجد بعض سكان القصبة رحلوا إلى "الثنية" و البعض الآخر إلى " برج الكيفان" و الآخر إلى الحراش ، " باينام"... بقيت الوسيلة الوحيدة لاقامة لقاءات و دردشات و إحياء العادات القديمة و الحفلات في المناسبات الدينية و الاجتماعية هو الوسائل الحديثة " كالفيسبوك " حيث أنشئت بعض المواقع التي تعمل على إعادة لمّ شمل السكان القدماء بمواعيد و أيام و أوقات محدّدة و تكون بالقصبة في بعض الساحات و المقاهي الخاصة بهم.

إن الحفاظ على الأدوار الاجتماعية القديمة في الأحياء الجديدة ليس بالأمر الهين و لكنها جد مهمة و ضرورية للحفاظ على الهوية و التاريخ، فهذه الأدوار تمثل رموز تربطنا بالماضي العريق و تضمن

استمراريته عبر الزمن لتتناقله الأجيال القادمة، فاحتفاظ السكان المرحلون بها بالأحياء الجديدة و محاولة تجسيدها يجعل تلك المنطقة تتعرف على بعضا من عادات و تقاليد القصة العريقة.

4.1 إحياء البعض من الأنشطة الثقافية التقليدية:

إن الحفاظ على العادات و التقاليد من بين أكبر التحديات التي يواجهها سكان القصة المرحلين نحو الأحياء الجديدة ، و هدفه الرئيسي الحفاظ على الهوية الثقافية و الحضرية للمجتمع القصباجي ، و لتفسير ذلك من المنظور الاجتماعي و الثقافي فانه وجب علينا التركيز على عدة عوامل متفاعلة فيما بينها و التي تؤدي بنا لفهم و تفسير هذا التغيير الثقافي و الاجتماعي.

فمن خلال النسبة المتحصل عليها والتي شكلت 8.82% من مجموع المستجوبين حول موضوع إحياء الأنشطة الثقافية و التقليدية ، يتجلى عامل العولمة و الحداثة بصفة جلية بحيث يمثلان قوة مؤثرة في الوقت الحالي ، بحيث ان الحياة الحضرية بكل متطلباتها تفرض على غالبية السكان تبني أنماط حياة حضرية حديثة و بالتالي يصعب التمسك و الحفاظ على العادات و الأنشطة الثقافية القديمة و ذلك على كل المستويات الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية ، فحسب ما تروييه السيدة ك.م 62سنة " زمان كنا نعيشو في حومة صغيرة، كل دويرة تدخلها كي شغل دارك ، وكل واحد يساند جارو. الكل كان عندو حرفة ياكل منها الخبز، الحداد والخباز و اللحام ،النساء يتجمعو في الدار الكبيرة .لي تخطط اولي تقتل ...كيما يقولو ناس زمان كل صبح بصنعة . كنا نحتفلو بالأعياد متلايمين، كل بيت يوجد حويجة من ماكلتو، ونجوزو عيادنا او يامانتا نغنيو ونرقصو...لكن دلوقت، كل واحد عايش في L'appartement نتاعو ، كل واحد يجري ورا الدنيا، ويشري كل حاجة تبان جديدة ".

هنا نلمح جليا تأثير العولمة على نمط الحياة التقليدية و كيف تؤثر بالتغيير في سلوكيات و عادات السكان لكن دون أن ننسي تأثير الطراز المعماري التقليدي الذي لعب دور كبير في توطيد العلاقات والحفاظ على استمرارية الأنشطة الثقافية والتقليدية بين سكان القدماء بالقصة ، عكس ذلك في الحالى يتجلى التغيير على كل المستويات سواءا من الجانب المعماري المفروض عليهم او حتى من الجانب الثقافي من خلال الحرف اليدوية التى تتلاشى و تأخذ مكانها مهن جديدة و حديثة تتبع التكنولوجيات الحديثة دون نسيان الموسيقى و طريقة اللباس و نلمح هذا التغيير الجذري خاصة عند الفئات الشبانية .

كما أن للترحيل دور في تلاشي بعض العادات و التقاليد الخاصة بسكان القصبة في الحي الجديد ، فالتغيير في التركيبة السكانية في الأحياء الجديدة مع احتمال اختلاط الثقافات يصعب الحفاظ على الموروث الثقافي القديم للسكان في الحي الجديد .

فوجد السيد ابراهيم 77 سنة عاش معظم حياته في مدينة القصبة العريقة و كبر في أحضان أزقتها ذات الطابع المعماري الفريد من نوعه عالميا .يقول " كنت عايش في دار قديمة مبنية من الحجر بتصميم تقليدي بتراث القصبة، حيوط مزخرفة او نقوش تقليدية.كان فيها جب او بير ،كل عرصة تحكي حكايات جبال زمان .كانت الحومة عامرة بعائلات مشتركين العادات و التقاليد ، يتواصلو بثيقة كبيرة ...لكن كي رحلونا لهاذ les batiment المتشابهة .صبحنا بين الجيران متباعدين او غابت المودة و الثقة.هاذ le changement خلانا فقدنا العادات او التقاليد النناعنا الى خليناهم في الدار القديمة."

غالبا ما تؤثر الهجرة بأنواعها على تغيير في التركيبة السكانية ،بحيث يؤدي التدفق السكاني داخل الأحياء إلى تنوع ثقافي ما يؤثر بصفة مباشرة على العادات و التقاليد خصوصا في الأحياء الجديدة أين يكون المجال فيه خصب و مفتوح لكل ما هو جديد ، وفي اطار بحثنا نلاحظ أن هذا التحول من من بيئة زاهرة بتاريخ ثقافي و معماري كبير نحو بيئة ذات سكن عمودي جديد اثر على فقدان الكثير من العادات و التقاليد في أحياء القصبة الجديدة ، ما يجعل السكان القدماء يحنون و يشاققون لحي القصبة العتيق حيث كانت الحياة فيه مجسدة في الترابط الوثيق بين السكان و المكان.

تؤثر التكنولوجيات الحديثة في الحياة العصرية بعمق على انماط العلاقات الاجتماعية في الأحياء الحضرية الجديدة، اذ ساهمت الثورة الرقمية في تغيير تفاعلات الأفراد فيما بينهم إضافة الى التغيرات المنجزة عنه على مستوى البيئة المعاشة كأماكن استغلال المجالات العامة و الخاصة ، فهذا ينجر عنه بطبيعة الحال تغيرات في الأنشطة اليومية و الممارسات الثقافية في الأحياء الحضرية الجديدة .

والملاحظ أن وسائل التواصل الاجتماعي بتطبيقاته الشائعة أثرت على التواصل المباشر و التلقائي بين السكان داخل الحي و خارجه خصوصا عند الفئات الشبانية و النسوية ، و تم تعويضه بالمحادثات الافتراضية مما يؤدي من جهة إلى اضمحلال و تلاشي الروابط الاجتماعية شيئا فشيئا و من جهة أخرى إلى تغيير جذري في أساسيات التجمع في الحياة الإنسانية أين تصبح الراحة و السرعة تتغلبان على العمق و الترابط لاجتماعيين .

فوجد السيد علي 48 سنة يحدثنا قائلا : "في الحومة القديمة ،كنا عائلة وحدة .البيان دائما مفتوحين، نديروا برك ليزار ،او الجيران يعرفو كل صغيرة وكبيرة على الي عايشين معاهم. في الاعياد ماتصيبش دار

ما فيهاش ضياف ،او الواحد ابدأ ما ياكل وحدو . الاولاد معمريين الحومة الضحك او اللعب .او الكبار يتلاقوا مع العشية ،تحاكو على كل كبيرة و صغيرة ،يتبادلون النصائح و المساعدة ...لكن اليوم ،كي رحلونا لهذا الباطيمات ،كل شي تبدل .في ساعة ولات الحياة ساكنة ،بعض الجيران الجدد كي تتلاقاهوم ، صباح الخير ولا مساء الخير او شي كلمات او السلام .البيان كامل مغلوقين حتى الاولاد رجعو لاسقين غير فالتليفونات .رجعنا نبغو les messages بلا ما نهبطو نتلاقو بأصحابنا او جيراننا .حتى في الاعياد او العزاء غير بالهاتف او كاميرات... نحس بلي ضيعنا حاجات كبار . في الدار نحاولو نحافضو على عادتنا ، او فالمناسبات نعروضو الجيران ،لكن غالبيتهم يعتادو ولا يترددو .الله غالب l'individualisme في الحياة ولات حاجة عادية او كل واحد مشغول بروحو ."

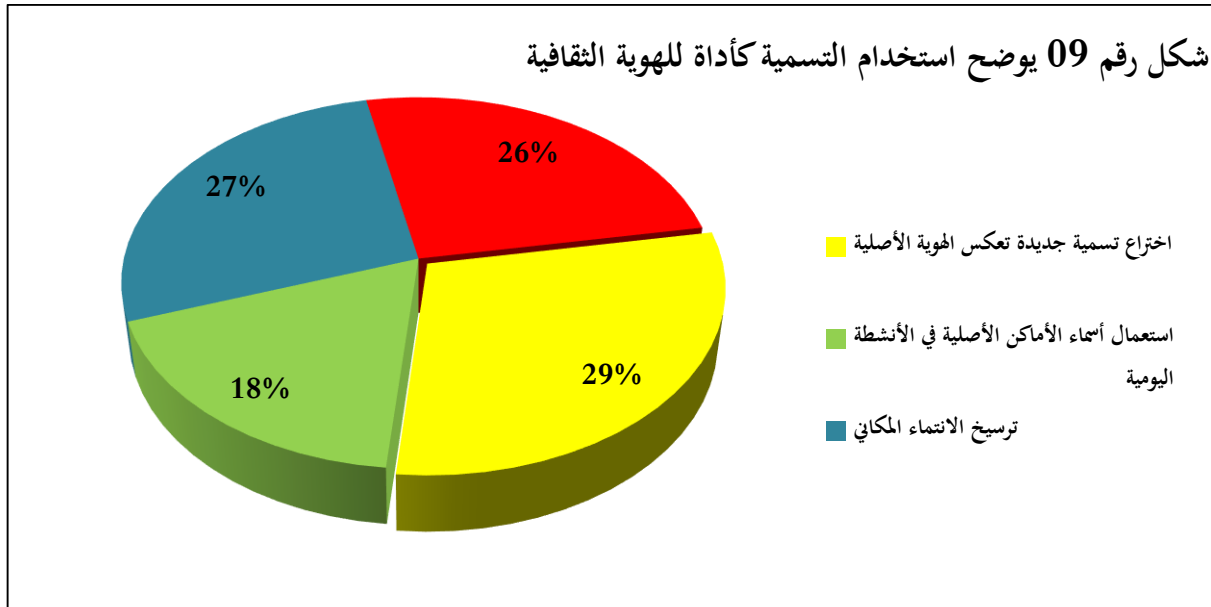
إضافة لذلك ،نلاحظ أن غالبية الأنشطة الثقافية و الاجتماعية بكل عاداتها و تقاليدها الخاصة بالسكان القدماء للقصبة العريقة و التي كانت تحافظ على التلاحم داخل المجتمع القصباجي تتعرض لضغوطات راجعة لتأثيرات وسائل الإعلام و التواصل الاجتماعية الحديثة ، حيث أنتجت هذه الأخيرة نوع من الحياة الذي تتسم بالسرعة و فقدان للهوية و التماسك الاجتماعي ما أدى إلى اضمحلال العادات و التقاليد الخاصة بالسكان الأصليين ، ويصبح ممارسة الأنشطة التقليدية أمراً ثانوياً يقتصر فقط على نطاق ضيق من الأسر القصباجية التي تمارسه على مستوى فضاءات مخصصة كقاعات الحفلات أو في مناسبات تعد على الأصابع داخل المسكن ، محصورة في غالب الوقت داخل حيز الأسر النووية فقط حيث تذكر الحاجة عائشة قائلة: "رانا نحاولو مع ولاد ولادنا نعلموهم شوي معايدنا القدم... هاذ العام صام وليد وليدي المازوز و درنالو كبكري شريات و حطيناه في البالكو... حنا في القصبة عندنا السطح همنا نحاولو نديرو المقدور عليه... بنت جارتنا مالدوية اللي رحلت معنا هنا زوجت بنتها و العرس دارتو في صالة في القصبة عرضت الحباب و الجيران دارتلنا قعدة كزمان بالقاطو تاع زمان و الغنى العاصمي..."

يحاول السكان المرحلون الاحتفاظ و لو ببعض من عاداتهم القديمة بالأحياء الجديدة كحفلات الختان و صيام الطفل لأول مرة و شراء الدريوكة للابن عندما يصل إلى سنتين من عمره، إقامة أعراس بالقصبة بدلا من إقامتها بالأحياء الجديدة و إتباع نفس الطريقة فيما يخص تقديم الحلويات و الآلي الذي لا يزال بعض الأعراس تقيمه في السهرات الخاصة بالرجال، فالحفاظ على القليل أحسن من فقدانه كاملا على حد تعبير سكان القصبة المرحلون، فليس من السهل أن تستمر نفس العادات و التقاليد في غير مكانها الأصلي فأحضارها و نقلها للمجالات الجديدة تعتبر خطوة مهمة للحفاظ على الذاكرة المشتركة و الهوية الجماعية للسكان القدماء.

2 - التسمية كأداة للهوية الثقافية:

عندما نتناول موضوع الهوية الثقافية فإننا نتطرق إلى موضوعا عميقا مرتبطا ارتباطا وثيقا بالمجموعة التي تمثلني و بمدى انتمائي لها، فمن خلالها أجيب عن السؤال من أنا ؟ أو من نحن؟ فالهوية الثقافية تمثل قيمنا و معتقداتنا و عاداتنا و تقاليدنا المشتركة و التي تجعلنا نتميز بها عن المجموعات الأخرى و تجعل لنا وجود جماعي في المجال الذي نتواجد فيه، حيث تعمل هذه الهوية على تقوية الروابط بين أعضاء المجموعة و تزيد من تماسكها لمواجهة التغيرات الاجتماعية، فما الذي يربط التسمية بالهوية الثقافية؟

تعتبر التسمية طريقة نميز بها بين العناصر المختلفة المكونة للمجتمع كأن نعطي اسم لشيء أو مكان أو شخص حتى نتمكن من تفريقه عن غيره و جعله منفردا و متميزا ببعض الصفات، أما إعادة التسمية الأصلية فهي مسألة أخرى أعمق و ذات أبعادا مختلفة و دلالات قوية، أن نعيد تسمية مجال معين بتسمية أخرى و هو موضوع بحثنا المحورية فهذا يحتاج إلى تحليل و دراسة شاملة و سنتطرق إليها من خلال التحليل السوسيولوجي لمضمون خطابات المبحوثين المرحلين من القصبة العتيقة إلى الأحياء الجديدة ببرج الكيفان و الثنية.



1.2 اختراع تسمية جديدة تعكس الهوية الأصلية :

تعتبر قصبة الجزائر أكثر من مجرد اسم لمكان فهو يحمل في طياته هويته ثقافيه عريقة و تاريخا مشتركا وقيما اجتماعيه متوارثة بين سكان الجزائر عامة و سكان القصبة خاصة ، بعد انتقال السكان الأصليين من القصبة الأم إلى أحياء جديدة نقلوا معهم هويتهم الخاصة المرتبطة بالحي القديم حتى يتمكنوا من الالتزام بالاستمرارية والاحساس بالاستقرار في المجال الجديد، و حتى يتمكنوا من التكيف و من تجسيد هذه الهوية بهذه الأحياء قاموا بتغيير تسمية الأحياء التي رحلوا إليها و إعطاء اسم غير رسمي " القصبة " على كل من الضفة الخضراء المسماة رسميا بـ " حي حميد و محمودي " و على أحياء الثنية المسماة " حي 20 اوت 1955 " و هذا تعبيرا منهم عن رفضهم الانقطاع عن قصبة الأم و تغيير التسميات ما هو إلا تعبيرا منهم عن الاستمرارية و ذلك من خلال بناء جسر يربط بين الحياة في الحي القديم والحياة الحالية في الحي الجديد.

إن إعادة استعمال أسماء الأماكن القديمة بعد الانتقال إلى الأحياء الجديدة لا يمكن اعتباره مجرد تذكير بالتاريخ فقط بل من خلاله يحاول السكان الأصليين لقصبة الجزائر الحفاظ على هويتهم الثقافية والحضارية والتي هي طبعا في صراع دائم مع التغيرات الاجتماعية الراهنة، و تبقى هذه التسميات الحامي لهم من تلاشي و اندثار هوية سكان القصبة الأصليين عبر الزمان و المكان.

من خلال هذا المحور سنحاول تحليل الفئات المستخرجة و التي ستسمح لنا باكتشاف أهم الأسباب التي تجعل مجموعة سكان القصبة المرحليين نحو الأحياء الجديدة تعيد إنتاج او إختراع أسماء تترجم هويتهم و ثقافتهم في الأحياء الجديدة عن طريق إعادة تسمية الحي بأكمله بصفة غير رسمية ،رغم الاختلاف الواضح في النمط المعماري و الجغرافي لهاته الأحياء ، و كان ذلك باتفاق تام من طرف ساكني الحي و المدينة بكاملها بداية من السكان المحليين وصولا إلى الهيئات الرسمية كالبدية أو السلطات الأمنية .



صورة رقم 38 تبين التسمية الرسمية لحي القصبة ببرج الكيفان



صورة رقم 37 تبين التسمية الرسمية لحي القصبة بالثنية



صورة رقم 40 توضح رسومات حائطية لتسمية غير الرسمية للحي بقصبة برج الكيفان



صورة رقم 39 توضح رسومات حائطية لتسمية غير الرسمية للحي بقصبة الثنية

من خلال المؤشرات المتحصل عليها من مقابلات المبحوثين ، توصلنا الى انه 29.31 % من المبحوثين يقرون بان الهدف الأساسي من إطلاق تسميات مغايرة لتي وجدوها في الحي الجديد، و الذي كان من طرف السكان القداماء أنفسهم هو محاولة تهيئة المجال الجديد معنويا و رمزيا لإعادة شحنه و تحميله بدلالات و معان مرتبطة بالماضي و بأحياء القصبة قصد الاحساس بالانتماء للمحيط الجديد، فمن خلال هذا السلوك يتم إعادة امتلاك المجال الجديد و إعادة صياغة مدلولاته و مؤشرات و رموزه ليعبر عن قيم سكان القصبة القداماء (أي المرحلون الجدد).

يروى لنا الحاج كمال 82 سنة انه عند وصوله للحي في "الثنية" اين تم ترحيلهم من مختلف أحياء القصبة انصدموا بواقع لم يكونوا يتخيلونه لدرجة أن بعض المرحليين قرروا العودة للقصبة و رفضوا السكنات الجديدة رفضا علانيا، و البعض الآخر كان رفضهم ضمني معنوي و ذلك من خلال إطلاق تسمية "القصبة"

" على الحي 20 اوت 1955 كإعلان صريح بأن أبناء القصة لن يتخلوا عن هويتهم و تاريخهم رغم ترحيلهم إلى مجالات لا تمت بصلة لثقافتهم أو نمط حياتهم السابقة حيث يصرح قائلاً: " حنا اولاد القصة عندنا تاريخنا او وين ما نروحو الناس تحترمنا او تقادرننا... اولاد القصة وين ما يروحو يبانو...و تاريخنا معروف او القصة عمرنا لا نفرطو فيها " من خلال ما ذكره المبحوث فإن عباراته تشير إلى دلالات عميقة حول أن الحي القديم هو جزء لا يتجزأ من هوية سكانها فبالنسبة له الحي لا يمثل مجالا جغرافيا فحسب بل يتعداه ليعبر عن ذاكرة جماعية و ذاكرة تاريخ عريق، و يضيف مبحوث آخر "...حنا أولاد القصة رانا نحترمو اللي ساكنين معانا العلاقات بيناتنا ملاح و في كل مكان كاين لمليح و الدوني و لكن ما نقدرش نتخيل أنو بعد سنين اقولولي وليد حي فلان و لا وليد حي فلان منغير وليد القصة .الهيك كنا ولاد القصة و هنا قعدنا ولاد القصة..." إن تصريح المبحوث بأنه "ابن القصة "و يبقى كذلك رغم انتقاله لحي آخر و ما إعادة تسمية الأحياء الجديدة إلا ليبقى دائما و أبدا " ابن القصة" دليل على رفضه التخلي عن حي القصة العتيق و بالصلة التي تربطه بالماضي، و رغبته في المحافظة على الذاكرة الجماعية التي تربطه بكل يحمله ذلك الحي من قيم و عادات و ذكريات تاريخية اجتماعية.

إن إعادة سكان القصة المرحلون تسمية الأحياء الجديدة (سواء برج الكيفان أو الثنية) بالتسمية القديمة " القصة " تبين لنا العلاقة القوية الموجودة بين المجال و الهوية ، فالتسميات التي نطلقها على بعض الأماكن ليست مجرد رموز و معان و مدلولات بل تتعداه لتعبر عن طريقة للحفاظ على الموروث الحضري من الاندثار و في نفس الوقت تأكيداً للهوية المشتركة، و تعتبر كذلك وسيلة يعبر بها المرحلون عن انتمائهم لتاريخ مجيد و ذاكرة جماعية .

2.2 ترسيخ الانتماء المكاني

تشير عبارة ترسيخ الانتماء المكاني إلى العملية التي يقوم بها الفرد لربط صلة بمجتمعه و بالمكان الذي يعيش فيه تعبيرا منه على تعلقه به، و يظهر من خلال المحافظة على ذلك المكان و العمل على تطويره و تجسيده فيه لموروثه الاجتماعي و الحضاري.

من خلال النسب و البيانات المعروضة في الجدول نلاحظ أن فئة " ترسيخ الانتماء المكاني " ممثلة بنسبة 27.16% و هي تشير إلى أن السكان المرحلون حاولوا عند وصولهم للحي الجديد ترسيخ و إرساء انتمائهم للمجال الجديد بعد أن هيئوه قبلا من خلال إعادة تسميته بـ " القصة " و هذه تعتبر إستراتيجية استعملها المرحلون لتأكيد وجودهم و امتلاكهم لجزء من الفضاء الجديد، حيث يرى Georg Simmel أن

الحي عبارة عن بيئة تجمع الأفراد في مكان معين و هذا الحي يشجع على التفاعلات و يسهل عملية بناء علاقات اجتماعية قوية كما أن الانتماء للحي يؤثر على هوية الفرد و تفاعله.



صورة رقم 42 تبين ملعب الحي المسمي في الحي ب "ملعب مولودية القصبه "

صورة رقم 41 تبين لتسمية الدكان با" القصبه "

إن طريقة ترسيخ السكان المرحون انتمائهم للأحياء الجديدة سواء ب " برج الكيفان أو الثنية " يظهر من خلال المشاركة في بعض الأنشطة الاجتماعية و إن لم تكن عميقة إلا أن السكان يعتبرونها مشاركة مهمة تعبر عن وجودهم بهذه الأحياء، و هنا سنقوم بتناول كل منطقة على حدى و التحدث عن أهم الأنشطة التي يشاركون فيها بالأحياء الجديدة.

1.2.2. ترسيخ الانتماء المكاني بأحياء برج الكيفان " الضفة الخضراء " :

مجموعة السكان المرحلون إلى الضفة الخضراء حاولوا إرساء أنفسهم بهذا المجال فكان تجسيده من خلال المشاركة في بعض الأنشطة الاجتماعية و كذا في الحياة اليومية كالانضمام لبعض النوادي بالمنطقة، المشاركة في تنظيف الحي و المحيط الداخلي للعمارة، غرس بعض أشجار الزينة بجوار البنايات، تجيير البناية من فترة لأخرى، المشاركة في بعض الأنشطة الرياضية كإجراء مقابلات كرة القدم بالحي، إقامة احتفالات ببعض المناسبات و الأعياد و المشاركة في تزيين الحي، حضور بعض الاجتماعات الدورية لمناقشة بعض مشاكل الحي كانقطاع الكهرباء و تسرب الماء و مشاكل أخرى، حيث يقول ساكن ببرج الكيفان : " كجينا تصدمننا ما حملناش المكان و لكن منبعد بدينا شويا شويا نشاركو في بعض الانشطة ما نقولكش ننداخلو و نشربو قهاوي كف كف و لكن لازم على ولاد ولادنا نسقمولهم الحي و يكون نظيف و الباتما تكون نظيفة ... " من خلال خطاب المبحوث نلاحظ أن السكان المرحلون يحاولون المشاركة و لو

في بعض الأنشطة البسيطة و لكنها كما ذكر سطحية و ليست عميقة، فهي لا تصل إلى درجة الجلوس في مقهى أو استضافته في منزله، ففي نظر المبحوث تنظيف الحي و تهيئته و تصليح تسربات الماء و غيرها هي بالدرجة الأولى من أجل تنظيم الحي لأحفادهم لأنهم سيكبرون في هذه الأحياء، لذلك وجب عليهم المشاركة في الحياة المجتمعية.

يضيف مبحوث آخر: "والفت في القصبة نباليبي(بمعنى يكنس) عند باب السقيفة و نظف الزنيقة نمشي قدامها شويا ،هنا كف كف ناخذ البالي و نظف عند داري و دار جاري و نزيد الدروج نكملهوم و مينداك شويا صانيو باش تريح الحالة...في القصبة كان الياسمين...".المبحوث في خطابه يذكر أنه لا يزال يقوم ببعض العادات التي يقوم بها بالحي القديم بالقصبة كحرصه على تنظيف بجوار منزله و ما حوله و يهتم أيضا بتنظيف أمام منزل جاره، و هذا التصرف يظهر روح التعاون و التكافل و تقوي الروابط و العلاقات الطيبة بين الجيران، و هي سمة معروفة لدى سكان القصبة الأصليين و هي جزء لا يتجزأ من حياتهم اليومية.

كما أن سكان القصبة المرحلون و نخص بالذكر هنا البالغون من العمر 65 سنة و ما فوق، فبعد تعودهم على المجال الجديد و تعيين بعض الأماكن الخاصة بهم للتجمعات مع القدماء المرحلون مثلهم، بدأوا في تعريف السكان المتواجدون بهذه الأحياء "ببرج الكيفان " بتاريخ القصبة و أسماء القصور و الأحداث التاريخية التي وقعت بها وعن المعالم الأثرية المعبرة عن أصالة الحي، و عن العادات و التقاليد التي تزين حياتهم اليومية و عن الهندسة المعمارية الفريدة للقصبة و عن أزقتها المنعرجة الضيقة، يحدثونهم عن الذكريات المشتركة التي لا تنتهي و عن الأطباق المعروفة بها قصبة الجزائر و عن أجواء شهر رمضان و التحضيرات الخاصة به بالإضافة للآلي الذي يزين حفلاتهم و مناسباتهم مثل الختان و الزواج...الخ



صورة رقم 44



صورة رقم 43

تبيين أماكن التواصل بين السكان القدماء للقصبة في كلى الحيين الثنية و برج الكيفان (مارس 2024)

إن السكان المرحلون لأحياء الجديدة "برج الكيفان" يحاولون استمالة الجيران و السكان القاطنون بتلك المنطقة و الأحياء إليهم و مشاركتهم هويتهم معهم قصد التفتح عليهم و يسعون إلى جذب السكان نحو هويتهم من خلال مشاركتهم حكاياتهم و قصصهم و الأساطير القديمة و العادات و التقاليد و هذا يساعدهم على بناء علاقات معهم و يكسرون بذلك حاجز الإحساس بالغرابة و العزلة.

2.2.2 . ترسيخ الانتماء المكاني بأحياء "الثنية ":

من خلال خطابات المبحوثين تمكنا من استنتاج كيفية ترسيخ المرحلون إلى أحياء " الثنية " انتمائهم لهذه الأحياء، حيث اتبعوا إستراتيجية مقسمة إلى مراحل حيث حاولوا أولاً استكشاف المجال الجديد من خلال فهم الجغرافيا الاجتماعية للحي، و التعرف على المحيط المجاور و الأنشطة الاقتصادية المتواجدة بذلك المكان و البحث عن الأصدقاء و الجيران الذين رحلوا معهم في نفس الفترة و الأحياء التي وضعوا فيها، و هذا كله بهدف تحسيس و إشعار أنفسهم بالأمان.

ثانياً بعد مدة من تواجدهم في هذه الأحياء الجديدة بدأوا كخطوة ثانية في المشاركة في بعض الأنشطة و الخدمات الخاصة بالحي و البناية من بينها المشاركة في بعض الجمعيات الخاصة بالحي و التي تعمل على تحسين الحي، التعاون على تنظيف الحي و العمارة و ما يجاورها باتفاق جماعي بين السكان، و هي كما ذكر المبحوثون تكون المشاركة الاجتماعية أكثر سهولة لما يجتمع المرحلون في نفس البناية و لكن في حالة خلاف ذلك يكون هناك نوع من عدم التقاهم، كون أحيانا يكون شخص أو اثنين من البناية يرفض

المشاركة في التنظيف أو جمع المال من أجل إصلاح عطل في باب العمارة مثلاً أو إصلاح تسرب الماء أو شراء مصابيح لاستعمالها داخل العمارة للإضاءة، و غيرها من المشاكل المعروفة بالعمارات العمودية و التي لم تكن موجودة في القصة على حد تعبير السكان المبحوثين، "...اللي حطوهم في bâtiment وحدة سلخوا تلقى بيناتهم ثلاثة ولا ربعة براوية عليهم. يقدرؤا يتقهامو. و لكن كيكونو غير زوج و لا ثلاثة مالقصة و الباقي براوية راهي واعة...كاين اللي ما يحبش اعاون يجبد روحو ...حنا في القصة ماكانوش هاذ المشاكل كنا متفهمين على كلش و كانت الدالة في كلش بين النسا في التسياق و الطياب و الغسيل و حنا الرجال نتعاونو في كلشء . اذا ما قدرتش اليوم تخدم عييت و لا مريض نديرو حنا اللي علينا كل خطرا كفاش..."فمن خلال خطاب المبحوث يعتبر التفاهم أساس العيش بالأحياء الجديدة فغيابه يؤدي إلى بعض الصراعات بين الجيران و يضعف التعاون و يخلق خلافات.

ثالثاً محاولة فهم التفاعلات داخل الحي و داخل العمارة لتهيئة الفضاء لمحاولة التكيف السلسل داخل هذا المجال الجديد مع الحفاظ على هويتهم الجماعية التي تميزهم عن غيرهم، و محاولة التكاتف فيما بينهم ، و في نفس الوقت التفتح على الآخرين من خلال تعريفهم بعاتاتهم و تقاليدهم بالأحياء القديمة و الحكايات و التاريخ العريق للقصة.

3.2. إضفاء طابع رمزي على التسمية

تعتبر مسألة إعادة تسمية الأماكن و الأحياء جزء جد هام من عملية بناء هوية السكان المرحلون،فهذه التسمية الجديدة و القديمة في نفس الوقت لها دلالات رمزية ترتبط بتاريخ تلك المجموعة و ثقافتها و ذاكرتها الجماعية، فالسكان الأصليون للقصة بعد إنتقالهم إلى المجال الجديد أعادوا تسمية أحياء " برج الكيفان و الثنية " نسبة إلى أحيائهم القديمة المسماة " بالقصة "، و هي تسمية غير رسمية يتداولونها فيما بينهم بكل فخر و اعتزاز فهي تعبر عن هويتهم الجماعية التي كونوها بالأحياء القديمة على مرّ السنين و يشهد التاريخ على عمقها و أصالتها،إن تغيير التسمية الرسمية للأحياء و إطلاق تسمية غير رسمية عليها و في نفس الوقت محاولة اضعاف الرمزية على هذه التسمية لها دلالات سوسيولوجية عميقة سنحاول مناقشتها في النقاط التالية.

من خلال البيانات في الجدول أعلاه نلاحظ أن النسبة الممثلة للفئة " إضفاء طابع رمزي على التسمية مثلت بـ 25.43% و هي تدل على مدى تمسك السكان المرحلون بأحيائهم القديمة و محاولة إعادة إحيائها بالمجال الجديد فلم يقتصروا فقط على إعادة التسمية بل أضفوا عليها طابعا رمزيا. أولا استمرارية الهوية المجالية و ذلك من خلال الاستمرارية في استعمال نفس التسمية المكانية أو المجالية للأحياء الجديدة " القصبة العتيقة" و هذا دليل على وجود علاقة قوية بين الهوية الاجتماعية و الفضاء المكاني الذي أشارت إليه

Sophie Graveriau et Caroline Varlet في مقال لهما بعنوان " الأصول المكانية والانتماءات الاجتماعية " يحلل المقال العلاقة الموجودة بين المكان و الانتماءات الاجتماعية و كيف أن هذا المجال المكاني يساعد على تكوين الهويات الفردية و الهويات الجماعية، حيث يستعرض و يناقش الأصول المكانية كعنصر مهم للهوية و دور هذه الأصول في تحديد هوية الأفراد الاجتماعية و هنا في مضمون بحثنا سكان القصبة القدماء يحاولون اثبات وجودهم بالأحياء الجديدة من خلال أصولهم الجغرافية و المكان الذي نشأت فيه هذه المجموعة من السكان و المرتبطة بهم تاريخيا و اجتماعيا و المرتبطة كذلك بتجاربيهم و ذكرياتهم فهي تمثل جذورهم العميقة المنغرس في أعماق التراث.

ثانيا الصلة بين الانتماء الاجتماعي و المكان حيث توجد علاقة وطيدة بين المفهومين فانتماء المرحلون لحي القصبة بصفة عامة أو لزنيقة من زنيقات القصبة يعمل على تقوية احساسهم بهويتهم، و هو ما يسمى ببساطة " الهوية المكانية" حيث يكون الساكن متصل و مرتبط بتاريخه و موروثه المجالي أو المكاني.

ثالثا المكان (الحي) كمصدر اجتماعي أي أن حي القصبة يعتبر كمصدر اجتماعي لسكانها فهو يحمل رموز و معان لها علاقة بتاريخهم و ذكرياتهم المشتركة و هم يستعملون نفس التسمية القديمة في الأحياء الجديدة لدعم مكانتهم الاجتماعية المعروفون بها و كذا تعزيز هويتهم الجماعية و استمراريتهما في المكان الجديد، كما أن هذا الأخير يعمل على بناء شبكة علاقات بين السكان و تثبيتها مع الزمن.

إن المكان الذي نعيش فيه ليس عنصرا ماديا فقط و لكن له خلفيات أعمق مرتبطة بالتاريخ و العاطفة التي ننسجها مع كل ركن و زاوية و العلاقات التي أسسناها مع الجيران و الأصدقاء على مر السنين، كما أن الفرد قد يتعرض للانتقال و الحركة من مكان لآخر ما قد يؤثر على نظرة الفرد للمكان الذي عاش فيه إذ يصبح الحنين له أكثر قوة بعد رحيلهم، كما أن الارتباط بمكان ذا جذور تاريخية معروفة و مدينة عريقة يمنح السكان مكانة اجتماعية عالية و يظفي على صورتهم مزيد من الاحترام و التقدير في الحي الجديد.



صورة رقم 45 تبين اظهار التسمية بصورة كبيرة على حائط مدخل الحي ببرج الكيفان صورة رقم 46 تبين هوية الحي في وسط الحي بقصبة الثنية

4.2. استعمال أسماء الأماكن الأصلية في الأنشطة اليومية

يسعى سكان القصبة المرحلون إلى الأحياء الجديدة إلى الحفاظ على ارتباطهم الوثيق بجذورهم و ذلك من خلال إعادة استعمال نفس أسماء الأماكن الأصلية في الأنشطة اليومية، و يدل ذلك على محاولة السكان اعادة بناء الهوية الجماعية الخاصة بهم في الحي الجديد، بداية بإطلاق تسمية " القصبة " على الحي ثم باستعمال الأسماء المألوفة بحياتهم اليومية بالأحياء الجديدة.

من خلال البيانات الظاهرة في الجدول أعلاه نلاحظ أن " استعمال السكان أسماء الأماكن الأصلية في الأنشطة اليومية " معبر عنها بنسبة 18.10% و هذا يدل على مدى تمسك المرحلون بأحيائهم القديمة و رفضهم التخلي عن ذاكرتهم المشتركة و التي تمثل مرجع لموروثهم الحضاري العريق و في نفس الوقت يعبر عن رمز من رموز هويتهم الجماعية ، إن تمسك السكان المرحلون (سكان القصبة) بحيهم القديم دليل على الارتباط الوثيق و العاطفي بجذورهم و تراثهم القصباجي في ظل الصعوبات و التغيرات التي طرأت عليهم و أدت إلى رحيلهم الغير الإرادي من أحيائهم القديمة. حيث تقول احدى المبحوثات من الضفة الخضراء: "...بدينا نوالفو شويا داخل الدويرة كثر منو برا أداخل أحنا نتمسو فيه و كما تشوف ما زال القش القديم تاع زمان نستعملو منقدرش نفرط فيه عندي السني، الطاجين، البراد، البرمة الكروسة حنا مازلنا الهدرة تاعنا ما تبدلتش قعدت كف كف كي جينا ضيف نرحبو بيه نقولولو مرحبا زارتنا البركة، كنقول لوليدي اروح يشري انقولو اسجيك يحمر وجهك،...نقولو أجي لهنّا. راني ماجي. الدراوج. بيت لقعاد ،لخيامة،تبسي،فنيجل قهوة،...ايه قعدنا كزمان يا وليدي خصتنا القصبة و القعدة الزينة..." و تضيف مبحوثة أخرى و لكن من أحياء الثنية: "...مرة الخال نقولولها وخيتي و مازلنا نقولوها حتى اولادي وولادهم باباسيدي، السقفة،

الدربوز، العويقة، النافخ، الميمة، مماني، الطاجين، نقولو نمسحو و نقسحو، البنيقات، الطزدام، التويقة... ايه لكلام الزين تاع زمان وحدو... نهدر كزمان و كنشري في المارشي مكلامي اقولولي انتما تاع القصة باينين ناس بكري تربتهم و الحرمة وحدها... ما كاشها دروق..."

نلاحظ من خلال خطاب المبحوثين أنهم لا يزالون يحتفظون بذلك الطابع التقليدي في طريقة كلامهم، فالارتباط باللغة و ببعض الكلمات القديمة من التراث القديم دليل على التمسك القوي بالذاكرة و التاريخ فهي تحمل ذكريات من عقب الزمن يتقاسمها الأجيال السابقة و تدل على مدى بساطة الحياة في الماضي و أصالتها، و لا يزال يستعملها السكان المرحلون بالأحياء الجديدة لحمايتها من الاندثار و الزوال و ليتعود عليها السكان في الأحياء الجديدة و يتداولونها و تبقى مستمرة للأجيال القادمة معبرة عن تراث أبناء القصة القدماء، بالإضافة لذلك الفخر الذي يحس به سكان القصة عند مجاملتهم من قبل سكان الأحياء الجديدة و الاعتزاز بتراث القصة بشقيه المادي و اللامادي.

إن استعمال المرحلون أسماء الأماكن القديمة و كذا بعض الكلمات و اللهجة المتعارف بها في حياتهم اليومية دليل على تمسك السكان القدماء بموروثهم الحضري و التاريخي و الاجتماعي.



صورة رقم 47 تبين شاطئ الضفة الخضراء ببرج الكيفان و المسماة ب "قاع الصور" من طرف سكان القصة إن الارتباط العميق بـ "اسم المكان" يدل على رغبة السكان في امتداد جذورهم و استمراريتها بالأحياء الجديدة رغم التغيرات المكانية التي طرأت، و هذا راجع لعدة عوامل من بينها:

- إعادة بناء الهوية القديمة بالمكان الجديد حفاظا على تاريخهم و ذاكرتهم المشتركة.
- تقوية الترابط مع المكان القديم و الجديد في نفس الوقت، مع "المكان القديم" من خلال إعادة نفس التسمية و استعمالها في الحياة اليومية، و مع "المكان الجديد" من خلال غرس التسمية و ترسيخها لتصبح مع مرور الزمن جزء من الحياة اليومية و من الذاكرة الجماعية للسكان الذين يعيشون بهذه

الأحياء و بالأحياء المجاورة و كذا بالنسبة لكل سكان ذلك البلد، و تكتسب هذه التسمية شرعية اجتماعية و تنغرس لدى السكان بالمنطقة.

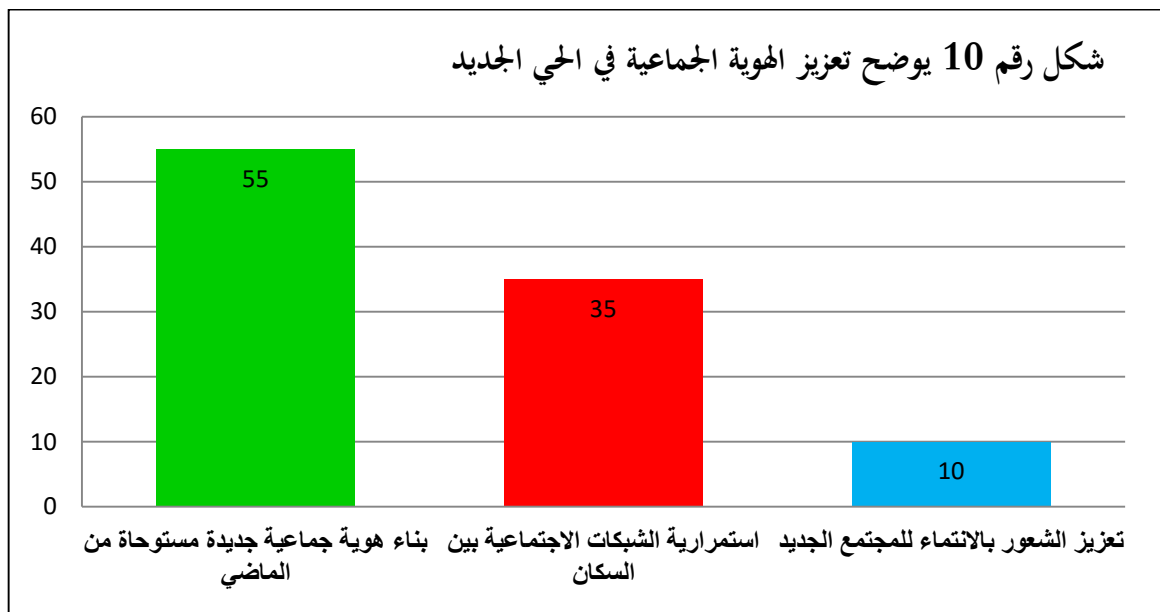
- تقوية الذاكرة الجماعية و استمرارها عبر الزمان و المكان و ذلك من خلال إعادة استعمال المرحلون من القصبة لنفس التسميات القديمة ما يعمل على نقلها عبر الأجيال، و تربط القصبة العتيقة بالقصبة الجديدة.

- رمزية المكان و إعادة تشكيله ليصبح يعبر عن قيم و عادات و تقاليد السكان المرحلون (سكان القصبة) أي تحويل الحي إلى رموز و دلالات و معان تعبر عن هوية سكان القصبة.

- التكيف التدريجي بالأحياء الجديدة فمن خلال إعادة تسمية الحي بأكمله ثم محاولة استعمال نفس أسماء الأماكن القديمة بالحياة اليومية سيتمكن السكان الجدد من التأقلم و التكيف التدريجي مع الأحياء الجديدة و ذلك باحساسهم باحتفاظهم بجزء و لو بسيط مما يمثل حياتهم الماضية ، ما يسمح بمحاولة فهم القيم و العناصر المكونة للحي الجديد و التعايش مع السكان الجدد.

3. تعزيز الهوية الجماعية في الحي الجديد

يعبر مفهوم " الهوية الجماعية " عن كل القيم و العادات و التقاليد و الدلالات و المعان و الرموز التي تتقاسمها مجموعة من الأفراد في مجتمع ما و هي عنصر أساسي لتقوية العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجموعة، فسان القصبة المرحلون يحاولون تعزيز هويتهم الجماعية في الأحياء الجديدة قصد حماية تراثهم الفريد من الاندثار، ترسيخ فكرة التضامن بين السكان داخل الحي الجديد لتقليل الخلافات الداخلية، الشعور بالفخر بثقافتهم و عاداتهم العريقة مما يزيد من احترامهم من قبل الغير بالحي.



1.3. بناء هوية جماعية جديدة مستوحاة من الماضي

" في المفهوم القوي للمصطلح، الهوية تعتبر شيئاً حيث كل مجموعة أو فرد يجب أن يملكه ، أو يبحث عنه: "الهوية هي شيء يمكن للناس (و المجموعات) أن يمتلكوه دون أن يدركوا ذلك. في هذا المنظور، الهوية هي شيء يكتشف وقد يكون هناك خطأ في فهمه". هذا المفهوم يستدعي تشابهاً قوياً بين أعضاء المجموعة، وتمييزاً واضحاً عن غير الأعضاء." ¹

إن سعي السكان المرحلون إلى بناء هوية جماعية جديدة مستوحاة من الماضي بالأحياء الجديدة، هو عملية مهمة تتعلق باستخدام مجموعة السكان ذكرياتهم الماضية و موروثةهم العريق كطريقة لفهم أنفسهم و

¹ Costa, James : **Identité, Langage et société**, 2021/HS1 Hors série, 2021. p.165-169. CAIRN.INFO, shs.cairn.info/revue-langage-et-societe-2021-HS1-page-165?lang=fr.

مكانتهم في الأحياء الجديدة، حتى يتسنى لهم التفتح على السكان الجدد و بناء هوية جديدة بالمجال الجديد، و بهذا ينتج نوع من التفاعل بين الهوية الجماعية القديمة و الهوية الجماعية الجديدة و يتمكن المرحلون من الاندماج بسهولة بهذه الأحياء.

من خلال بيانات الجدول أعلاه نلاحظ أن الفئة الممثلة لهذا المؤشر قد مثلت بـ 55.00% و هي أعلى نسبة ضمن الفئات الممثلة في هذا المحور و ذلك دليل على أهمية الموروث الحضري لدى مجموعة سكان القسبة القدماء، و أن هناك علاقة وطيدة بين الموروث و الهوية و سنحاول التطرق لتحليل هذا المضمون في العناوين التالية.

1.1.3 . العلاقة بين الموروث و الهوية

إن الحديث عن العلاقة بين الموروث والهوية هي أكثر من اعتبارها حفظا للماضي من الزوال بل تعتبر عملية جد مهمة و جوهرية تجمع بين استمرارية الماضي وتشكيل الحاضر والمستقبل حيث يرى Pierre Bourdieu أن التراث يمثل رأسمال رمزي و يشكل إطار مشترك يجمع الأفراد في هوية جماعية فهو يعزز الشعور بالاستمرارية ، و انطلاقا من هذه الفكرة يصبح التراث لا يقتصر على كونه مجرد ذاكرة مادية أو رمزية و لكن يعتبر وسيلة لتحديد من " نحن " وما الذي يميزنا عن غيرنا كأفراد أو جماعات، فاستعمال السكان لبعض الأقوال و الكلمات و أسماء الأماكن في الحياة اليومية (أي في الأحياء الجديدة) يقوي العلاقة بين الماضي و الحاضر و يسهل على السكان تكوين هوية جديدة من خلال تجسيد بعض من العادات و التقاليد القديمة في المجال الجديد.

2.1.3 . تجسيد التراث يجذر الهوية الجديدة

إن الهوية الجديدة تبنى من خلال إعادة إحياء الماضي و استعماله في الحاضر بما يتماشى و تطور الحياة المعاصرة، فإعادة السكان المرحلون استخدام العادات و التقاليد و القيم في المجال الجديد و إحيائها ستعزز أكثر هويتهم القديمة و تسهل بناء الهوية الجديدة، ف "الهوية ليست فقط نتاج للتمثلات و لكنها أيضا نتاج لممارسات مكانية أي بمجرد وجودي و تنقلي إلى أماكن جديدة فهذا يسمح بتغيير المجالات الغربية إلى مجالات مألوفة أي ذات هوية ."¹ كما شدد Gilles Poux منذ مطلع السنوات 2000، على أهمية الهوية الحضرية "لإعادة اعطاء معنى " و " جذور جماعية "²

¹ Mathis Stock : *Construire l'identité par la pratique des lieux*. De Biase A. & Alessandro Cr. " Chez nous ". Territoires et identités dans les mondes contemporains, Editions de la Villette, pp.142-159, 2006.

<https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-00716568>

² Foucher-Dufoix : V. *Le nom sans la chose Enjeux toponymiques autour des « 4 000 » à La Courneuve*. Histoire urbaine, n° 56(3), 89-108. <https://doi.org/10.3917/rhu.056.0089>.

فخطابات المبحوثين في مجملها في ميداني البحث " الثنية و الضفة الخضراء " يركزون على أهمية إعادة إحياء التراث و الموروث في الأحياء الجديدة حتى يتمكنوا من التكيف و الاندماج فيها و بذلك نسج علاقات مع السكان ، حيث يقول الحاج عزيز: "...نحكيولهم على قصبة زمان على واش جاز علينا و أنو الحياة تعلمك تكون صنديد نحب نقصر مع les jeunes هما المستقبل تاينا هما اللي يرفدو لبلاد...مازالى نجير الدار كزمان..." و تضيف مبحوثة أخرى: " جارتى اللي مقابلتني منعرفهاش ما جاتش مالقصبة و لكن كسمعو حنا مالقصبة تهدر معايا و بشويا كدوقتها مكلتنا و حنا معروفين في القصبة ندوقو الجار واش طيب و الجار ادوقك واش طيب هكذا تربينا. كعجهوم طيانا ولات تسقسيني كفاش درتي هذي واش عملتي فيها كيفاش ندوزنها...حنا كلش نطيبوه في الدار المقطفة الديول الشربات ماشي هذ الشربات اللي تتباع الشربات تاع زمان ماء الزهر و القرفة و السكر...حاجة اللي يسقسوني عليها نعلمهاهوم الحق احبونا هنا و يقادرونا..."

3.1.3 . التراث يغذي الذاكرة :

الذاكرة الجماعية لمجتمع ما، لفترة من تاريخه، أو لحدث ملموس يتضمن في مجمله تمثلات كبيرة يتقاسمها الذين يشكلون هذا التاريخ: أفراد و جماعات . هذه التمثلات تنظم حول محور رئيسي يمنحها معنى يسمح لها بأن تصبح أساسا للمجتمع المعني. هذه الشرط التأسيسي للذاكرة، التي عليها شدد موريس هالبواكس في عمله الرائد "الذاكرة الجماعية"، بإنقاذ الماضي من النسيان وتحويله إلى مرجع للهوية المجتمعية، مهمة أساسية.

هذا التحول يجعل استحضار الماضي ضرورة للبقاء حيث تتسم هذه الضرورة بأبعاد أخلاقية وجماعية وهكذا يُصبح واجب التذكّر " ممارسة حتمية لأي تأكيد على الانتماء إلى مجموعة ما " ¹.

تلعب الذاكرة الجماعية للسكان المرحلين من القصبة العتيقة دورا هاما في تشكيل هويتهم الجماعية التي تميزهم عن غيرهم من الجماعات في الأحياء الجديدة حيث تعتبر هذه الذاكرة أداة جوهرية للحفاظ على التراث و الموروث الحضاري الذي يربطهم بجذورهم بالقصبة العتيقة ، فمن خلال محاولاتهم لتجسيد هذه الذاكرة في الأحياء الجديدة سواء بـ " الثنية " أو " الضفة الخضراء " فهم يسعون بذلك إلى إعادة بناء كل ما كوّن ماضيهم العريق و الذي شكل هويتهم عبر الزمن و ذلك بهدف إنقاذه من النسيان.

¹ Vidal-Beneyto, J : *La construction de la mémoire collective Du franquisme à la démocratie* ,Diogène,2003, n° 201(1), 17-28. <https://doi.org/10.3917/dio.201.0017>.

إن هذا التجسيد لا يقتصر فقط على إعادة إحياء العادات والتقاليد القديمة المعروف بها سكان القصبة بل يتعداه لأكثر من ذلك ليشمل أيضا استحضار الرموز الثقافية و الاجتماعية و تداولها يوميا و كذا إعادة بناء العلاقات الاجتماعية التي تعزز الشعور بالانتماء، إن هذه العملية تعمل على تحقيق استمرارية الموروث الحضري و تتيح للسكان المرحّلين الاندماج في حيهم الجديدة مع الحفاظ على هويتهم الجماعية وتراثهم المميز عبر الزمن.

و بصفة عامة يمكن القول أن الذاكرة الجماعية تعمل على ترسيخ الهوية الجماعية للسكان المرحلون في مكان و زمان مختلفين و هذا يظهر لنا مدى أهمية التمسك بالعادات و التقاليد و القيم المكونة للمجتمع و تعليمها للأجيال القادمة.

2.3. استمرارية الشبكات الاجتماعية بين السكان

حاول السكان المرحلون إلى الأحياء الجديدة خلق جوا حميميا فيما بينهم كمجموعة قديمة متعارفة فيما بينهم، من خلال الاستمرارية في علاقات الجيرة و تبادل الزيارات فيما بينهم و إحياء بعض الاحتفالات التقليدية و لكن بطريقة بسيطة و محتشمة، بالإضافة إلى خلق فضاءات خاصة بهم للالتقاء و إعادة إحياء الذكريات الماضية.

إن إعادة إسكان مجموعة من السكان المتجذرين ذات ماض عريق ثقافة متأصلة و اقتلاعهم من جذورهم و من قلب المدينة العتيقة بمركز العاصمة و إسكانهم بأحياء جديدة بالضاحية و خارج الولاية بـ " الثنية " ، بالإضافة إلى كون الأحياء الموجهون إليها لم تكن ذات نمط معماري مشابه للذي تعودوا عليه، حيث كان الانتقال في مجمله يفتقر إلى بعض النقائص التي جعلت السكان القدماء يتوجهون لتعويض هذا باتخاذ استراتيجيات تمكنهم من التكيف و الاندماج قصد الاستمرارية.

1.2.3. التفاعل اليومي:

ترجمت خطابات المبحوثين إلى أرقام تبين لنا أهمية " استمرار شبكة العلاقات بين السكان " و المقدرة بنسبة 35.00% إذ يذكر أحد المبحوثين بـ " الثنية " : " لازم تفهم أنو الكبار اتلاقوا هنا عندنا des endroits spéciaux نروحو نقعدو فيهم و الصغار عندهم les endroits تاغم " و يضيف مبحوث

آخر من " برج الكيفان " : " كايين بلايص نتلقاو فيهم تاعنا معروفين نقعدو فيهم حنا نقصرو على زمان " و يضيف آخر: " كايين une page de face book دايرينها صاحب القصبة اخطو فيها des rendez vous و يتفاهمو على يامات و نروحو نتلاقاو و نحكيو على زمان و نظمو حفلات و قعدات كزمان " .

من خلال كلام المبحوثين نلاحظ أن السكان المرحلون نجحوا في الحفاظ على علاقاتهم القوية في الأحياء الجديدة، كما عملوا على إنشاء مجالات خاصة بهم تجمعهم و تنمي الروابط مع بعضهم البعض، كما أن المجال يظهر من خلال خطاب المبحوث و كأنه مقسم إلى مجال خاص بالكبار للدردشة و الحديث عن أيام زمان و استرجاع الذكريات الجميلة من الزمن الجميل، بالإضافة إلى احتساء الشاي في جو من الحميمية و المودة كأيام القصبة، و مجال مخصص بالصغار للأنشطة الرياضية.

فالتفاعلات اليومية بين السكان المرحلون و تواصلهم المستمر لعب دورا هاما في تخفيف شعورهم بالغربة في الأحياء الجديدة، و تقول أحد المبحوثات برج الكيفان : " جاراتي القدم قعدنا كف كف كما كنا زمان تطل عليا و نطل عليهم اجبو اشربو عندي قهوة و نروح عندهم نتلاقاو في رمضان ماشي كما زمان كل نهار في دار جارة 30 يوم و حنا كل خطرة عندهم نسهرو دورك لا لا نقصت ما رانش بزاف اللي مات و اللي مريض و الصغار اللي جاو دورك والفو هنا خلاص ... في الصيف كنا نروحو لشط لبحر مع لعشيا نقعدو عالشط نديو قهوة لاتاي كعيكعات و نروحو نحكيو على زمان و القصبة...نتفكرو نحكيو و نضحكو و نتحسرو ...كندخل لدار نكون فرحانة تقولي رحت للقصبة و وليت..."

حتى لنساء " برج الكيفان " ما تقلن حول اللقاءات لتذكر الماضي الجميل و الزيارات المتبادلة مع جاراتهن القداماء ، فلقاءات النسوة تعتبر من أكثر اللحظات دفئا وحميمية حيث تجتمعن في جلسات مؤنسة لاستعادة ذكرياتهن في أسطح القصبة و وسط الدار و الأعمال الجماعية التي كن تقمن بها و التفاهم الذي كان يجعل الحياة سهلة و التضامن المعروف بها سكان القصبة القداماء . و غالبا ما تعقد هذه اللقاءات في منازل إحداهن أو في أماكن مخصصة مثل الشاطئ (و هذا بالنسبة لنساء برج الكيفان) ، حيث اللقاءات تكون في فصل الصيف و انطلاقا من الساعة الخامسة مساء للجلوس على الضفة و احتساء الشاي و الدردشة ثم الدخول للبيت قبل حلول الليل.

تستخدم هذه اللقاءات و لو محتشمة (لأنها في الآونة الأخيرة بدأت تختفي لم يبق منها الكثير، حتى في القصبة نفسها بدأت تتلاشى القليل من بقي متمسكا بها) للحفاظ على العادات والتقاليد من خلال تبادل الأمثال من التراث أو إعادة بعض الحرف اليدوية التي كانت تمثل جزء من حياتهن اليومية بالقصبة،و تبادل وصفات الحلويات و الأطعمة التقليدية، فهذه الجلسات البسيطة ليست إلا وسيلة للتخفيف

من الشعور بالوحدة و الحنين و تقوي الصلة و الترابط بينهم ، حيث التذكر هي عملية استحضار الذكريات و التي تمثل الذاكرة الجماعية التي تساعدهم على التكيف و الاستمرار في المجال الجديد.

2.2.3 - إحياء الأمسيات الرمضانية:

رغم مرور ثلاثون سنة على انتقال سكان القصبة القدماء إلى أحياء مختلفة من ضمنها " الثنية " و "البرج الكيفان"، إلا أن سكان الحيين استطاعوا الحفاظ على عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية و هذا دليل على قوة و عمق ارتباطهم بتراثهم الثقافي الأصيل و يظهر ذلك من خلال إحياء القدماء الأمسيات الرمضانية والسهرات التي تجمعهم، حيث يعتبر شهر رمضان الشهر الوحيد الذي تجسد فيه روح القصبة بقوة، فهذه الأمسيات تقام في أجواء مليئة بالود و المحبة والدفء فطريقة استغلال هذه السهرات تختلف بين الجنسين ، فبالنسبة للرجال لقاءاتهم غالبا ما تكون عفوية في ساحات العمارات أو في مقاهي الحي حيث حديثهم يكون حول الحنين إلى القصبة فيتبادلون الذكريات التي مرت عليهم و يناقشون الجديد بالقصبة إن كان أحدا منهم قد زارها ذلك اليوم أو خلال الأسبوع ، و تكون الجلسة كجلسات أيام زمان باحتساء الشاي و القهوة ، و هذا يزيد من قوة الترابط فيما بينهم.

و من جهة أخرى حتى الشباب يساهمون في خلق أجواء رمضانية بامتياز و ذلك من خلال تنظيم دورات رياضية بين الأحياء موعدها بعد الفطور و تكون في ملعب الحي، حيث أن هذه الدورات لا تقتصر على الترفيه فقط بل لها دور كبير في تقوية الروابط و العلاقات بين الأجيال المختلفة .

و في أسواق الحي و في بعض الأماكن المفتوحة يضفي الشباب طابع تقليدي نراه فقط في شهر رمضان و يتمثل في مزاوله بعض الأنشطة الموسمية مثل بيع الحشيش و الخبز التقليدي و الديول و المقطفة و الحلويات التقليدية الجافة و المعسلة و التمر و الزلابية بأنواعها هذا كله يعبر عن رمز من رموز التراث القديم و هذا يجلب السكان من مختلف الأحياء القريبة و المجاورة و يجعلها تأخذ صبغة السوق التقليدية، فهذه الأسواق تعبر عن استمرار الماضي في الحاضر و استمرار روح الأحياء التقليدية و هي دليل على أن التقاليد يمكنها أن تتكيف مع أي مكان رغم تغير الزمن.

إن انتقال سكان القصبة إلى بعض الأحياء بالجزائر جعلهم يحملون معهم جزء و لو بسيط من تراثهم القصباجي و موروثهم الحضري و هذا أضفى على المناطق المستضيئة (أحياء برج الكيفان و الثنية) هوية سكانها مزجت بين القديم و الحديث، فالسكان أعادوا تشكيل هذه الأحياء بما يتماشى مع عاداتهم و تقاليدهم لترسيخ وجودهم بالأحياء الجديدة و لتستمر هويتهم الجماعية و لا تعرف انقطاعا.

أما النساء فلقاءتهن تختلف حسب الأعمار ، فالكبيرات في السن تجلسن بالبيت و تحضرن أشهى الأكلات التقليدية و في السهرات تقمن بتحضير الشرابات المتكونة من ماء الزهر و القرفة و السكر و بعض الكعيكعات و الحلويات المعسلة مثل الصامصا و المقروط المعسل ، و يتبادلن الحديث مع أحفادهن و أبنائهن و يلقن بناتهن بعضا من الأمثال و البوقالات القديمة، أما العويقات كما يسمونهم أبناء القصة أي الشابات من النساء التي لم تتزوجن و حتى المتزوجات منهن فتجلسن في دائرة و يعقدن بشيء من لباسهن و تحتفظ كل واحدة بنيتها في قلبها دون ذكرها و تكون عن زوج أو أخ أو خطيب أو ابن...و يوضع إناء من الفخار به ماء في وسط الحاضرات و هو مغطى بمنديل حيث تضع الفتيات خواتمهن في الإناء و تلقى البوقالة من قبل الكبيرات في السن و صيغتها: " بسم الله ابديت و على النبي صليت يا ربي أعطينا الفال و لاقينا بأولاد الحلال..." و تقول بعدها الكلام الموزون ذو معان و دلالات و التي تحمل كلمات و عبارات شعرية جميلة فحواه يكون حول فارس الأحلام أو حول الفراق ... و تفسر على الحاضرات، و تلقي نوع من الفرح و السرور في قلوبهن مثال عن بوقالة: " دارنا في الجبل مقابلة مكة و فراشها حرير طبقة على طبقة و مصباح الفضة يشعل ما يطفى".

إن سرد البوقالات ليست للتسلية فقط بل هي فرصة لتبادل الحديث بطريقة شيقة فهي تقوي العلاقات بين الجيران و تعزز التضامن فيما بينهم و في نفس الوقت يعاد إحياء التراث الشعبي و تلقينه للأجيال القادمة حتى لا ينسى و يندثر فهذه اللحظات تبقى محفوظة في الذاكرة و تترسخ في الأجيال القادمة.

3.2.3 - أساطير و حكايات أيام زمان:

بين جدران القصة العتيقة و في غرفها و ساحاتها وسط الدار و في ليالي الشتاء و الصيف و سهرات رمضان كانت تروى حكايات الزمن البعيد، قصص خيالية و أسطورية لأبطال و ساحرات قصص ذات عناوين شعرية مثل حكاية " فاطمة المعكرة" و حكاية " خداج العمية " و حكاية " الشيخ الجايح" و غيرها من القصص و الحكايات التي طبعت تاريخ القصة العتيقة و عمل على بناء هوية سكانها.

من خلال البيانات الموضحة في الجدول فإن فئة استمرارية شبكة العلاقات بين السكان بالأحياء الجديدة مثلت بنسبة معبرة و ترجمتها خطابات المبحوثين من خلال استمرارية تداول الأساطير بالأحياء الجديدة بين العائلات و الجيران بهدف تلقينها للأجيال القادمة و التأكد من عدم اندثارها و استمرارها ، لأن لها طابع متميز يعمل على تقوية الروابط بين العائلات و يزيد من لم شملهم.

لقد تناول Guérin, M موضوع الأسطورة و تحدث عنها في مقال له بعنوان " Qu'est-ce qu'un mythe ? " حيث يتساءل فيه عن " ما هي الأسطورة؟ " و كان مضمونه أن الناس لما يحاولون فهم ما يدور حولهم في هذا العالم فهم يفسرونه بالارتكاز على الاشارات و الرموز و لكن تفسيراتهم هذه تكون في غالب الأحيان غير مكتملة، فالأسطورة هي عملية مستمرة للتفريق بين المعاني و محاولة فهم العالم و فهم الكون و هي تعبر عن أسئلتنا حول الوجود و تستعمل لغة رمزية كما تنير فضولنا لاكتشاف المجهول و بصفة عامة فالأسطورة ليست مجرد خرافة بل هي طريقة للتفسير تسعى لتقليل الفوضى وتقديم معاني من خلال التفسير و الرموز.

كانت و لا تزال الخرافات و الأساطير حاضرة في حياة الأفراد إلى يومنا هذا و هي وسيلة يعبر من خلالها الأشخاص عن الخيال و أشياء خرافية لا وجود لها حيث كانت تعطي تفسيراً لبعض الظواهر التي تحدث و أحيانا تتجاوزها لتسرد قصصا عن الأبطال و الساحرات و الأحداث الخارقة للعادة، و هي منذ الزمن البعيد تحكى شفويا و يتناقلها الأجيال فهي جزء من التراث القديم يتعلم منها الناس القيم الأخلاقية و ترسخها فيهم، و هي لا تزال إلى يومنا هذا تحتفظ بسحرها و بقدرتها في التأثير على مستمعيها.

إن الأساطير و الخرافات التي يرويها الأجداد تعيد الأفراد إلى جذورهم و تذكرهم بأصولهم و تربطهم بترائهم العميق و تعمل على بناء هويتهم بالاضافة إلى أنها تقوي الروابط و العلاقات من خلال لم الشمل و تجمع أفراد العائلة ، فهذا الجو الحميمي يخلق ذكريات متينة لا تنسى فهي بذلك تغذي الذاكرة الجماعية للأفراد و الجماعات.

4.2.3 - قصة " فاطمة المعكرة "

قصة " فاطمة المعكرة " من بين الحكايات الشعبية الجزائرية التي سردت بين جدران و أحضان القصبة العتيقة و التي انتقلت مع سكانها المرحلون إلى القصبات الفرعية الجديدة بأحياء أخرى من بينها " حي برج الكيفان " و حي " النثية"، فهذه القصة تحمل في طياتها عبرا قيمة .

فمضمون القصة يحكي عن أختين تعيشان في بيت واحد إحداهما ذات أخلاق محمودة وأعمال صالحة أما أختها "فاطمة" فهي معروفة بأفعالها المشينة..، كانت " فاطمة" تلقب ب "فاطمة المعكرة" من قبل الناس و ذلك بسبب تصرفاتها السيئة التي تسبب الضرر للغير .

في يوم من الأيام لما كانت فاطمة تحضر أحد الأطباق التقليدية المعروف بالجزائر و المسمى " بوزلوف" (الأكلة ترتكز على طهي رأس الخروف بعد تنظيفه بإضافة بعض التوابل و الخضر) مرت امرأة حامل بجانب منزلها واشتمت رائحة الأكلة فاشتتهتها و لما سمعت " فاطمة" بأن المرأة الحامل اشتتهت الأكلة و رغبت فيها أعطتها كل الطبق دون أن تنقص منه قليلا ، علمت أختها بما فعلت فاطمة ففرحت، في نفس الليلة توفيت " فاطمة " ، و في الصباح رأى أهلها ضوءا ينبعث من أسفل الباب و رائحة الطيب فوجدوها مغسلة و مكفنة .

و الحكمة أو الدرس من هذه القصة هو أنّ " أفعال الإنسان مهما كانت سيئة فإن عمل الخير قد يمحوها "

3.3. تعزيز الشعور بالانتماء للمجتمع الجديد:

الشعور بالانتماء هو الاحساس بالارتباط الاجتماعي و العاطفي العميق مع مجموعة من الأفراد في مجتمع معين، يتقاسمون نفس العادات و التقاليد و المصالح و هي عملية ديناميكية تتداخل فيها عدة عوامل منها الاجتماعية ، النفسية و الثقافية، فالانتماء لا يعبر عن الوجود المادي للفرد بل كذلك احساسه بالهوية الجماعية و رغبته في المحافظة على المصلحة العامة و تقبل الآخر بالدرجة الأولى قيمه و معتقده، و يظهر أن الأفراد قد تمكنوا حقيقة من التكيف و الاندماج في هذا المجتمع الجديد من خلال جوانب متعددة من ضمنها بناء الهوية الفردية، التواصل و بناء علاقات اجتماعية مع الغير،المساهمة في الأنشطة المجتمعية و التفاعل و إشراك الآخر في موروثهم الحضري و إظهار لهم جوهر عاداتهم و قيمهم و ذلك من خلال ممارساتهم اليومية ليكتشف الآخر مدى عمقها و أصالتها.

إن السكان المرحلون من القصبة العتيقة إلى الأحياء الجديدة يواجهون صعوبة التكيف مع المجال الجديد، التكيف ثم الاندماج على جميع الأصعدة،حيث يحاولون جعل المحيط الجديد يعبر عن ميولاتهم و عن هويتهم فيسعون بذلك إلى محاولة إمتلاك بعض المجالات لتصبح خاصة بهم و جزءا منهم، هذه العملية ليست مجرد تغيير مجالي بل هي في نفس الوقت انتاج و اختراع لهوية جديدة تتيح لهم التفاعل و نسج شبكة علاقات و روابط مع السكان المحليين بالأحياء الجديدة..

فمن خلال الجدول و على الرغم من أن النسبة 10.00% منخفضة مقارنة بنسب الفئات الأخرى إلا أننا نعتبرها مؤشرا هاما يشير بوضوح إلى محاولة سكان القسبة المرحلون تقوية انتمائهم إلى الأحياء الجديدة و يمكن تفسير هذا ببعض السلوكات التي يجب إلقاء الضوء عليها و البحث فيها لفهم آليات تكيف و اندماج السكان في الأحياء الجديدة.

سننطلق أولا لإيضاح الفرق بين التكيف و الاندماج ثم بعد ذلك سننطلق في تحليل من منظور سوسيولوجي للكيفيات و الطرق التي يتخذها السكان المرحلون للاندماج في المجال الجديد.

أيهما أولى بالأحياء الجديدة، التكيف أم الاندماج ؟

قبل الإجابة على هذا التساؤل سنحاول تقديم شرح للمفهومين، فالتكيف هو " العملية التي تقتضي تعديلا في أشكال العلاقات القائمة بين الأفراد و الجماعات بهدف التخفيف أو تجنب الخوف من التوترات و النزاعات سواء كانت العملية واعية أو غير واعية"¹ بمفهوم بسيط هو الخطوة الأولى التي يقوم بها الفرد لفهم المجال الجديد و التأقلم معه.

و لقد تناول Jouteau-Neves في مقال له بعنوان " التكيف " Adaptation " قائلا أن " الإنسان، كائن فريد ومميز يجب عليه أن يواجه باستمرار التغيرات الفردية، الاجتماعية، من ولادته حتى وفاته. "كل إنسان في حالة حركة في عالم أيضا دائم الحركة". التكيف، الضروري للبقاء، يتطلب أن يغير الشخص نفسه، يتطور وفقا للسياق الداخلي والخارجي باتجاه البحث عن توازن ديناميكي لا يكون أبدا ثابتا أو نهائيا . يمكن تتبع تاريخ مفهوم التكيف انطلاقا من أربع وجهات نظر:

➤ **التطورية:** مستوحاة من أعمال داروين في القرن التاسع عشر. التكيف هو الحفاظ على الحياة (الانتقاء الطبيعي) .

➤ **الإحصائية:** التكيف يشير إلى معيار كمي (متوسط تكرار الخصائص) .

➤ **الاجتماعية الثقافية:** يرتبط بمعيار نوعي (التوافق مع النماذج المثالية التي تعبر عنها المجتمعات).

➤ **النظامية :** (التكيف هو نتيجة مكونات داخلية وخارجية للإنسان) " ²

¹ Alain Birou, **Vocabulaire des sciences sociales**, éditions ouvrières, Paris, 1966, p7.

²Jouteau-Neves, Chantal : **Adaptation. Dans M. Formarier et L. Jovic Les concepts en sciences infirmières**, 2ème édition, 2012, pp. 48-50. Association de Recherche en Soins Infirmiers. <https://doi.org/10.3917/arsl.forma.2012.01.0048>.

فهذا الجزء من نص المقال يبرز لنا مفهوم " التكيف " و أنه عملية للبقاء و يتأثر بعدة عوامل خارجية و داخلية و هو غير ثابت، و يتخذ عدة أبعاد التطورية و الاحصائية و الاجتماعية الثقافية و أخيرا النظامية، فالتكيف هو الطريقة و المفتاح لتحقيق التوازن في مجتمع يتغير باستمرار.

أما الاندماج فيتمثل في تفاعل الفرد مع مجتمعه و مجاله و حيه لدرجة تجعله مقبولا من غيره و مرحبا به و يتبنى عادات ذلك المجتمع و قيمه، أما بالنسبة " لدوركايم " فمسألة " الاندماج الاجتماعي " هي مسألة إرادة العيش معا، و يقصد بذلك أن تماسك و استمرار المجتمع يعتمد على إرادة الأفراد في التفاعل مع بعضهم البعض و التعاون من أجل هدف واحد هو تحقيق حياة قائمة على العلاقات و القيم المشتركة.

1.3.3. التكيف:

سكان القصبة المرحلون إلى الأحياء الجديدة حاولوا التكيف بعد وصولهم مع المجال الجديد و ذلك من خلال التعامل مع عدة جوانب تسهل التكيف من بينها:

أولاً: حاولوا اقناع أنفسهم بتقبل المجال الجديد تقبلا داخليا لأنها بالنسبة لهم اعتبروها خطوة جد مهمة و أساسية تدفع فيهم احساس بنوع من الراحة النفسية و، ثم استيعاب بعد ذلك الاختلافات الموجودة بين الحي القديم و الحي الجديد، بعد ذلك تأتي مرحلة التكيف مع المحيط الجديد.

ثانياً: محاولاتهم التكيف مع الاختلافات الاجتماعية و الاختلافات في المحيط بين أحياء القصبة المتواجدة بوسط مدينة الجزائر و أحياء "برج الكيفان" المتواجدة بالضاحية و أحياء "الثنية" المتواجدة خارج الولاية .

ثالثاً: محاولاتهم التعرف على الأحياء الجديدة و كل ما يحيط بها و التعرف على الجيران، الأسواق، المدارس، المساجد..

رابعاً: محاولاتهم التكيف مع نمط الحياة الجديد حيث كانت الخدمات قريبة بحيهم القديم بالمركز مقارنة ببعد الخدمات و التي تتطلب قطع مسافات أكبر، بالإضافة لكون الحياة تعرف حركة و نشاط دائم و مستمر طيلة اليوم و اللقاءات المتكررة مقارنة بالأحياء الجديدة " برج الكيفان " و " الثنية " .

خامساً: محاولاتهم التكيف مع البنية التحتية المختلفة حيث كان السكان المرحلون من القصبة لا يحتاجون في تنقلاتهم اليومية إلى وسائل النقل لأن كل الخدمات و المرافق و المستشفيات و الأسواق قريبة من المركز بينما في الضاحية " برج الكيفان " يحتاج للتكيف مع استعمال وسائل النقل أما فيما يخص " الثنية " فوسائل التنقل قليلة بالإضافة لعدم توفر المرافق الضرورية .

2.3.3. الاندماج:

أما عن كيفية اندماج المرحلون إلى الأحياء الجديدة في مجالهم الجديد في الضاحية " برج الكيفان " و خارج الولاية " الشنية "

أولاً: الاندماج في المجال الجديد من خلال بناء علاقات و المشاركة في الأنشطة الاجتماعية و الثقافية و غيرها، بالإضافة إلى المشاركة في بعض المناسبات المهمة مع الجيران الذين ارتاحوا لهم.

ثانياً: عند وصول المرحلون إلى درجة تقبل الاندماج و لو جزئياً فهو يبدأ في الاحساس بالانتماء للحي الجديد و يحاول المشاركة الفعلية و لو محتشمة في تطوير الحي.

عند انتقال السكان المرحلون من القصبة إلى الأحياء الجديدة " برج الكيفان " و " الشنية " بدأوا أولاً بتقبل الأحياء داخليا ثم سعو بعد ذلك للتكيف مع التغيرات الاجتماعية المحيطة بهم و محاولة فهمها ثم بعد ذلك انتقلوا إلى الخطوة الثانية و المتمثلة في مرحلة الاندماج و يظهر ذلك من خلال التفاعل و ربط علاقات مع الآخرين و مع هذا المجال الجديد .

خلاصة الفصل

إعادة إسكان العائلات لا ينجر عنه دائما التخلي عن العادات الاجتماعية والثقافية للسكان الأصليين في مجالهم الجديد. عكس ذلك لوحظ في العديد من الحالات تشبث واستمرارية المرحليين في ممارساتهم التقليدية، و أحسن مثال سكان القصبة المرحلون، حيث تعتبر العادات الاجتماعية ضرورية في حياة الأفراد والمجتمعات و تلعب دورا أساسيا في تشكيل العلاقات بين الأفراد و تنظيم حياتهم، فهي مجموعة من السلوكيات والممارسات التي يمارسها الأفراد في حياتهم اليومية كالاحتفال بالمناسبات الدينية أو العائلية و أنماط اللباس و الطقوس المتبعة في الزواج و الأكلات التقليدية و هي تنبع من القيم والمعتقدات السائدة في ذلك المجتمع، فهاته العادات تورث من جيل إلى جيل وتعتبر جزء من هوية المجتمع وثقافته و تعمل على تقوية التماسك الاجتماعي بين أفرادها.

إن تمسك السكان القدماء بالعادات و التقاليد و الممارسات الاجتماعية التقليدية و محاولة تجسيدها بالأحياء الجديدة، دليل على محاولة هذه المجموعة تحقيق نوع من التوازن بين الاندماج في المجال الجديد و المحافظة على موروثهم الاجتماعي ، كما أن استمرار العادات الاجتماعية تمنح السكان القدماء إحساسا بالاستقرار و تعطي لحياتهم معنى، فهي تمثل بالنسبة لهم رابط معنوي يربطهم بماضيهم و بجذورهم في المجال الجديد، و هنا يمكننا القول أن إعادة إحياء العادات و التقاليد ليست مجرد سلوكيات و ممارسات عشوائية و إنما هي وسيلة يستعملها السكان القدماء للتعبير عن ذاتهم من أجل الاستمرار في تجسيد هويتهم الجماعية التي تميزهم عن غيرهم بالمجال الجديد، يمكننا القول إن إعادة إنتاج الممارسات الاجتماعية بالأحياء الجديدة هو ضرورة للحفاظ على الهوية الحضرية.

سكان القصبة المرحلون لم يعيدوا إنتاج الممارسات الاجتماعية فقط بالمجال الجديد بل اخترعوا تسمية جديدة تعكس هويتهم الأصلية، فأعطاء اسم غير رسمي " القصبة " على كل من الضفة الخضراء المسماة رسميا بـ " حي حميد و محمودي " و على أحياء الثنية المسماة " حي 20 أوت 1955 " هذا تعبيرا منهم عن رفضهم الانقطاع عن قصبة الأم ، و تغيير التسميات ما هو إلا تعبيرا منهم عن الاستمرارية و قوة العلاقة الموجودة بين المجال و الهوية ، فالتسميات التي نطلقها على بعض الأماكن ليست مجرد رموز و معان و مدلولات بل تتعداه لتعبر عن طريقة للحفاظ على الموروث الحضري من الاندثار و في نفس الوقت تأكيداً للهوية المشتركة و تعتبر كذلك وسيلة يعبر بها المرحلون عن انتماهم لتاريخ مجيد و ذاكرة جماعية .

كما حاولت المجموعة المرحلة إضفاء الطابع الرمزي على التسميات التي أطلقتها على الأحياء الجديدة و لهذا دلالات سوسيولوجية تتمثل في:

أولاً: استمرارية الهوية المجالية و ذلك من خلال الاستمرارية في استعمال نفس التسمية المكانية أو المجالية للأحياء الجديدة " القصبة " و هذا دليل على وجود علاقة قوية بين الهوية الاجتماعية و الفضاء المكاني الذي أشارت إليه S. Gravier و آخرون في مقال بعنوان " الأصول المكانية والانتماءات الاجتماعية " يحلل المقال العلاقة الموجودة بين المكان و الانتماءات الاجتماعية و كيف أن هذا المجال المكاني يساعد على تكوين الهويات الفردية و الهويات الجماعية، حيث يستعرض و يناقش الأصول المكانية كعنصر مهم للهوية و دور هذه الأصول في تحديد هوية الأفراد الاجتماعية و هنا في مضمون بحثنا سكان القصبة القدماء يحاولون اثبات وجودهم بالأحياء الجديدة من خلال أصولهم الجغرافية و المكان الذي نشأت فيه هذه المجموعة من السكان و المرتبطة بتجاربهم و ذكرياتهم فهي تمثل جذورهم العميقة المنغرس في أعماق التراث.

ثانياً: الصلة بين الانتماء الاجتماعي والانتماء المكاني حيث توجد علاقة وطيدة بين المفهومين فانتماء المرحلون لحي القصبة يعمل على تقوية احساسهم بهويتهم، و هو ما يسمى ببساطة " الهوية المكانية" حيث يكون الساكن متصل و مرتبط بتاريخه و موروثه المجالي أو المكاني.

ثالثاً: " الحي " كمصدر اجتماعي بالنسبة لسكان القصبة فهو يحمل رموز و معان لها علاقة بتاريخهم و ذكرياتهم فاستعمالهم لنفس التسمية القديمة في الأحياء الجديدة ما هي إلا طريقة لدعم مكانتهم الاجتماعية المعروفون بها و كذا تعزيز هويتهم الجماعية و استمراريته بهذه الأحياء.

إن المكان الذي نعيش فيه ليس عنصراً مادياً فقط و لكن له خلفيات أعمق مرتبطة بالتاريخ و العاطفة فالساكن قد يتعرض للحركة في مسيرته الحياتية و هذا سيؤثر على نظرته للمكان الذي عاش فيه إذ يصبح الحنين له أكثر قوة بعد رحيله، كما أن الارتباط بمكان ذا جذور تاريخية معروفة يمنح الساكن مكانة اجتماعية عالية و يضيف مزيداً من التقدير و الاحترام على صورته في الحي الجديد

الفصل الخامس

التحليل السوسيولوجي للفرضية الثالثة

1 - الارتباط العميق بالمروروث الاجتماعي

1.1 الحفاظ على شبكات العلاقات القديمة

2.1 التواصل بلغة الأم و الأمثال

3.1 التمسك بالأدوار الاجتماعية القديمة

4.1 رفض تبني أنماط الحياة الجديدة

2 - التعلق بالقصة و تأثيره على الانتماء للحي الجديد

1.2 إعادة تسمية الحي الجديد

2.2 رفض بناء هوية جديدة

3.2 محاولات الرجوع إلى القصة

4.2 الحنين إلى الحي القديم

3 - التعايش والتكيف الظاهري

1.3 التعامل الضروري مع الجيران الجدد دون تواصل عميق

2.3 استخدام المرافق الجديدة دون شعور بالانتماء

3.3 تقبل البناء العمودي مع الشعور بالغربة

4.3 المشاركة السطحية في الأنشطة الاجتماعية

خلاصة الفصل

الجدول رقم (08): يمثل مؤشرات تمسك السكان الأصليين بالقصبة العتيقة

المحاور	الفئات	التكرارات	النسبة
الارتباط العميق بالموروث الاجتماعي	التواصل بلغة الأم و الأمثال	41	%27.70
	رفض تبني أنماط الحياة الجديدة	24	%16.22
	الحفاظ على شبكات العلاقات القديمة	53	%35.81
	التمسك بالأدوار الاجتماعية القديمة	30	%20.27
التعلق بالقصبة و تأثيره على الانتماء للحي الجديد	الحنين إلى الحي القديم	22	%10.68
	إعادة تسمية الحي الجديد	74	%35.92
	رفض بناء هوية جديدة	68	%33.01
	محاولات الرجوع إلى القصبة	42	%20.39
التعايش والتكيف الظاهري	المشاركة السطحية في الأنشطة الاجتماعية	38	%19.39
	استخدام المرافق الجديدة دون شعور بالانتماء	51	%26.02
	تقبل البناء العمودي مع شعور بالغربة	47	%23.98
	التعامل الضروري مع الجيران الجدد دون تواصل عميق	60	%30.61
المجموع		550	%100

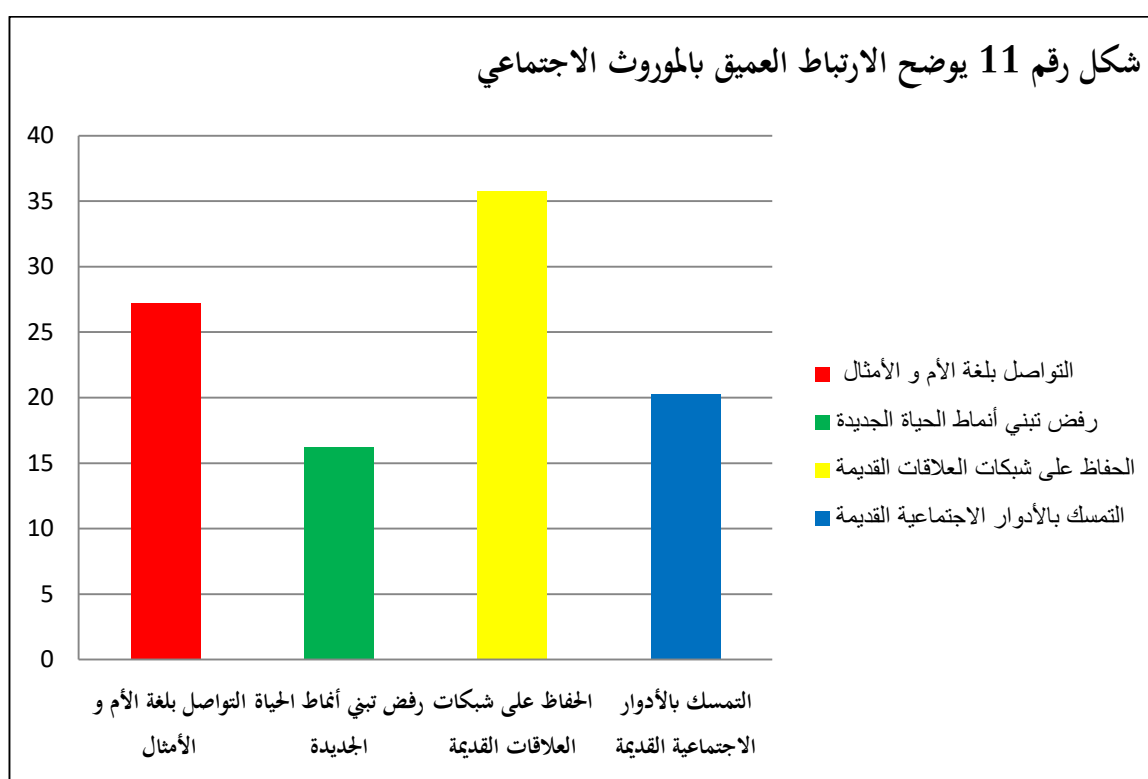
1. الارتباط العميق بالموروث الاجتماعي:

الموروث الاجتماعي هو مجموعة من القيم والممارسات والعادات والتقاليد التي تنقلها الأجيال عبر الزمن داخل المجتمع وتشكل جزءاً من هويتهم الثقافية والاجتماعية و يشمل الموروث الاجتماعي العديد من العناصر المادية¹ و المعنوية² والتي تعمل على تشكيل طريقة عيش الأفراد في مجتمعاتهم و تساهم في

¹ نقصد هنا بالعناصر المادية كل ما يمكن لمسه و رؤيته و يدخل ضمن تراث معين مثل البنايات ، المنازل التقليدية المساجد،القصور،الأضرحة،الحرف اليدوية،الزخارف،النقوش،المواقع التاريخية،الماكولات التقليدية و كذا الأسواق الشعبية و الأتعة المنعرجة الضيقة.

² نقصد بالعناصر المعنوية العناصر غير ملموسة مثل القيم، الطقوس و المعتقدات، الأمثال،الحكم ، الأساطير و الحكايات و الأغاني الشعبية ،اللهجة الخاصة بسكان القصبة .

بناء علاقاتهم مع بعضهم البعض، و يتكون الموروث الاجتماعي من القيم و اللغة و الفنون الشعبية و العادات و التقاليد و كذا المأكولات الشعبية و المعتقدات الدينية، فسان القصبة القدماء معروفون بتمسكهم القوي بشبكة العلاقات مع بعضهم البعض فهذه الروابط و العلاقات بين الجيران و العائلات هي التي تضفي معنى للحياة اليومية بالقصبة و تجعلها تستمر في المكان و الزمان، فالجدول رقم (3) يوضح الفئات المستخلصة من خطاب المبحوثين حول محور "الارتباط العميق بالموروث الاجتماعي" حيث حظيت فئة "الحفاظ على شبكات العلاقات القديمة" بالنسبة الأكبر من التكرارات و هذا يظهر مدى أهميتها في حياتهم اليومية.



1.1 الحفاظ على شبكات العلاقات القديمة:

إن انتقال سكان القصبة من أحيائهم العتيقة إلى أحياء جديدة تعتبر تجربة صعبة، فهذا التحول العميق من مجال مشبع بالعادات و القيم و الممارسات المختلفة إلى مجال لا يمد بصلة لحياة السكان القدماء التي تعودوا عليها لا من ناحية الموروث الاجتماعي و لا من ناحية الهندسة المعمارية العتيقة، نتج عنه نوع من الصراع الداخلي بين الماضي و الحاضر، و بين التشبث و التمسك بالهوية الحضرية الجماعية و بين التكيف و الاندماج مع المجال الجديد الذي قد يكون بعيد كل البعد عن جذورهم و عن طريقة عيشهم.

فمن خلال الإحصاءات المبينة أعلاه في الجدول تمثل فئة الحفاظ على شبكات العلاقات القديمة نسبة 35.81% و هي أكبر نسبة من بين التكرارات، حيث تشكل العلاقات الاجتماعية عند السكان القدماء بالقصبة عنصرا أساسيا في حياة سكانها فهي نسيج اجتماعي يرسخ و يقوي التعاون و التماسك من خلال توفير بيئة تسودها الثقة المتبادلة، فهذه العلاقات قائمة على التضامن و الاحترام المتبادل بينهم و التواصل المستمر ما يولد لدى هاته المجموعة من السكان الشعور بالمسؤولية اتجاه بعضهم و ذلك من خلال الوقوف جنبا لجنب في أوقات الشدة و في الأزمات، ان هذا النوع من العلاقات ينمي لدى السكان الإحساس بالانتماء و يقوي الهوية الجماعية.

فمن خلال مقابلة المبحوثين من ميداني البحث سواء الضفة الخضراء أو الثنية (القصبات الفرعية الجديدة)، اتضح لنا أن خطاباتهم تركز بشكل كبير على العلاقات الاجتماعية في كلامهم و هذا يدل على أهميتها في استمرارية الحياة و العيش فهي تمدهم بنوع من الأمان و الدعم النفسي، حيث يذكر عمي رشيد من الضفة الخضراء: "...القصبة زاهية بناسها و بالتربية و الحرمة ناسها مثقفين ...نتعاونو بيناتنا في كل الأمور اذا واحد خصتو دويرة باش ادير العرس نسلفلو اذا احتاج اللي يعاونو في الطياب كايين نسانا اعاونوهم اذا احتاج الدراهم نلمولو...أحنا كزمان كذكرك الحمد لله مازلنا نردو بالننا على بعضانا هنا كل هذا يجي مـ les bons relations de voisinage الجار راه خويا،بابا،وليدي ...نتعاونو نخطو اليد فاليد كايين الثقة بناتنا اللي ماتلقاهاش في هاذ الزمان" و يضيف آخر قائلا: "...العلاقات اللي راك تتكلم عليها الآن كان لازم تعيشها في القصبة باش تفهمها راه معناها ثقيليل ... نحتارموا بعضانا نتعاونو نتزاوروا في كل وقت مشي حتى يعرضنا و لا يمرض باش نروح عندو درك ما بقاتش كما بكري... " و تضيف مبحوثة أخرى: "الجيرا العايلة الثانية ولادي ينبه عليهم كيغلطو و ما نزعفش أخطرش أعلبالي في صالحهم و راهم كولادو ...كيخرجو مالمسيد و نكون غايبة اروح عند الجيران ياكل و يشرب و يبقى عندهم حتى نجيو أنا

كف كف اخلولي ولادهم نحرص عليهم كما اولادي و كما بناتي في هاذ الزمان وريلي اللي تثقي في فيه و تخليلو ولدك...بدراهمك و تخافي عليهم".

نستشف من هذا الخطاب أن العلاقات بالنسبة لسكان القسبة ليس كلاما يقال و فقط بل لها دلالات لابد من أن يعيشها الفرد حتى يفهمها لأنها مزيج من الأحاسيس العميقة و التفاعلات اليومية التي تربط السكان بعضهم ببعض و تعمل على بناء الروابط الحميمة و تعزيز التعاون، فالعلاقات بالنسبة لهاته المجموعة من السكان هي مصدر أساسي للدعم الاجتماعي في الأزمات و الأوقات الصعبة كما تسهم في تعزيز شعورهم بالانتماء والاتصال بالآخرين و ركيزتها الأساسية هي الثقة المتبادلة.

و سكان القسبة بالأحياء الجديدة لا يزالون متمسكين بالعلاقات القديمة و لا يزال البعض منهم يتبادل الزيارات و يساعد بعضهم البعض و بقيت شبكة العلاقات مستمرة في الزمان رغم تغير المكان، و هذا دليل على متانة و قوة العلاقات الاجتماعية التي ينسجها السكان فيما بينهم بالأحياء العتيقة بقسبة الأم و التي لا تزال قائمة و مستمرة بالقسبة الفرعية.

إن التفاعل بين سكان القسبة العتيقة عنصر أساسي في الحياة اليومية و يظهر من خلال المساعدات التي تقدم لبعضهم البعض، في أوقات الحاجة أو الأوقات الصعبة، فمن خلال كلام المبحوث فالمساعدات بين السكان لا حدود لها حيث تقديم يد العون يكون في السراء و الضراء و حتى أنها تصل لاعارة المنزل لمن يحتاجه لاقامة وليمة أو عرس، و هذا إن دل على شيء إنما يدل على الثقة المتبادلة بينهم، بالإضافة الى ذكر المبحوث أن حتى زوجاتهم يمكنهم المساعدة في التنظيف و طهي الطعام للجيران ان احتاجو للمساعدة في ذلك، و ما يجذب النظر هو إشارة المبحوثين إلى أن الجار يحرص ابنه في غيابه و يتركه عنده، فلما يترك الوالدين ابنهم أو ابنتهم عند الجيران فهذا دليل على الثقة العميقة بالجار و ثقته بقدرته على العناية به، و معرفتهم الحقيقية بنواياه الصادقة في طريقة معاملته طفلهم فهذه الثقة تتعلق بالنية الطيبة و المشاعر الصادقة نحو الجار، فهذا النوع من الثقة تبنى على مدار فترة طويلة من الزمن، و هذا يعزز الشعور بالأمان.

يقول Robert D. Putnam¹ روبرت د. بوتنام أن الثقة هي عنصر أساسي في رأس المال الاجتماعي فهي تعمل كعامل رئيسي في تسهيل التعاون بين أفراد المجتمع فكلما زاد مستوى الثقة بين الناس داخل المجتمع زادت احتمالية التعاون، حيث أن التعاون نفسه يعزز الثقة و العمل الجماعي.

¹ Thiébaud, Jean-Louis : Les travaux de Robert D. Putnam sur la confiance, le capital social, l'engagement civique et la politique comparée , Revue internationale de politique comparée, 2003/3 Vol. 10, 2003. p.341-355. CAIRN.INFO, shs.cairn.info/revue-internationale-de-politique-comparee-2003-3-page-341?lang=fr. (بالنصريف)

كما يشير Putnam أيضا إلى أن الثقة يمكن أن تأتي من مصدرين مترابطين: معايير التبادل المتبادلة والشبكات من المشاركة المدنية، فالمعايير مثل تلك التي تدعم الثقة الاجتماعية تتطور لأنها تقلل من تكاليف المعاملات وتساعد على تسهيل التعاون، أهم هذه المعايير هي التبادل المتبادل و هناك نوعان من التبادل المتبادل يطلق عليهما أحيانا المتوازن (أو المحدد) والعام (أو الموسع) حيث تُبنى الثقة على أساس مبدأ "المقابل" أو التبادل المتوازن مما يسهل التعاون بين الأفراد.

كما يمكن أن تأتي الثقة أيضا من مصدر ثان: الشبكات من المشاركة المدنية وهي الشبكات التي توفر فرص للتفاعل الاجتماعي حيث أن الشبكات الأفقية مقارنة بالشبكات الرأسية تشجع التفاعل المباشر و تكون أكثر فاعلية في تعزيز الثقة بينما الشبكات الرأسية تكون فيها العلاقات غير متساوية، و يظهر لنا Putnam أن الثقة ليست مجرد شعور فردي بل هي مكون أساسي من مكونات رأس المال الاجتماعي و عامل هام يساعد الأفراد على العمل بشكل جماعي (التعاون الجماعي) و بطريقة أكثر انسجاما مما ينعكس بطريقة ايجابية على كل المجتمع،

و في هذا السياق يمكن توظيف مفهوم الثقة الذي تطرق إليه بوتنام على سكان القصبة القدماء من خلال ربط المفهوم بطريقة تفاعل هاته المجموعة داخل حيهم بالقصبة العتيقة، ففي الأحياء العتيقة مثل القصبة تكون العلاقات بين السكان تتسم بالترابط القوي و الانسجام المتكامل حيث أن التعاون يبنى على قاعدة متينة ألى و هي الثقة المتبادلة و العلاقات المتينة ذات جذور عميقة بنيت على فترات طويلة من الزمن.

2.1 التواصل بلغة الأم و الأمثال :

تعتبر اللغة أداة يستعملها الأفراد (الأشخاص) للتواصل فيما بينهم و هي وسيلة لتبادل الآراء و الأفكار و نقل المعرفة و باستعمال اللغة أصبح الأفراد قادرين على التفاعل فيما بينهم و بناء علاقات اجتماعية، كما أن اللغة تحمل في طياتها قيم و تقاليد المجتمع و تعتبر أيضا أداة لبناء الهويات الفردية و الجماعية. من خلال الجدول أعلاه اذا ما قارنا فئة "التواصل بلغة الأم و الأمثال" مع الفئات الأخرى يتبين لنا أنها قد حصلت على تمثيل ملحوظ يتناسب مع أهميتها في خطاب المبحوثين و الممثلة بـ 27.70% فعند انتقال السكان من أحياء الى أحياء أخرى نتيجة الترحيل سواء أكان اجباريا أو اختياريا، تجد هاته المجموعة نفسها في مجال جديد يختلف عن مجالهم التقليدي العريق و تحس بأنها بحاجة لحماية هويتها الأصلية من التفتك و الاندثار، فيحاولون اعادة تشكيل الواقع الاجتماعي المحيط بهم و ذلك من خلال الاحتفاظ بلغتهم الأم

و لهجتهم الخاصة كوسيلة للتعبير عن ارتباطهم الوثيق بالأحياء القديمة و بثقافتهم التي تميزهم عن غيرهم، و في نفس الوقت هم يحاولون بذلك مقاومة الاندماج و الذوبان الكلي في الأحياء الجديدة و فرض أنفسهم في هذا المجال، إن الاستراتيجية التي اتخذتها مجموعة السكان القدماء كان نتيجة الصراع الداخلي بين التمسك و المحافظة على الارث الثقافي أو الاستسلام و الاندماج في هويات جديدة و في مجال جديد. لقد تطرق الكثير من علماء الاجتماع إلى أهمية اللغة في المجتمعات و اعتبروها وسيلة للتعبير عن الأفكار و الأحاسيس و أنها أداة للحفاظ على الموروث الحضري و الهوية الجماعية فلقد تطرق Patrick Charaudeau في مقالة بعنوان « Langue, discours et identité culturelle » " اللغة، الخطاب و الهوية الثقافية" الى العلاقة بين اللغة و طريقة استعمالها في الخطاب و كيفية مساهمة ذلك في تكوين الهوية الثقافية،

حيث أشار المقال الى أن اللغة ليست مجرد أداة للتواصل البسيط بين الأفراد بل هي أداة قوية تستخدم لبناء الهوية الثقافية و يتناول المقال ايضا كيفية تأثير اللغة في تحديد من نحن وكيف تعبر عن خلفياتنا الثقافية والاجتماعية، كما أشار الى أن اللغة تستعمل لنقل و تشكيل القيم و المعايير الاجتماعية، فبصفة عامة المقال يتناول اللغة باعتبارها ليست فقط أداة للتواصل بين الأفراد بل هي جزء من بناء الهوية الثقافية و الجماعية داخل المجتمعات.

إذا ما حاولنا توظيف أو إسقاط ماتطرق إليه Patrick Charaudeau في مقاله عن "اللغة، الخطاب و الهوية الثقافية" و محاولة النظر الى كيفية تأثير اللغة على هوية السكان الذين انتقلوا الى أحياء جديدة و كيف أنهم تمكنوا من الحفاظ على اللغة الأم و اللهجة القديمة بالمجال الجديد، فهذا تأكيداً منهم على أهمية إبراز أنفسهم في الأحياء الجديدة. إن هذا التوظيف يشمل جوانب متعددة و المتمثلة في:

أولاً : اعتبار اللغة كأداة لهوية جماعية فهي عنصر أساسي لبناء هوية السكان، فلما تنتقل المجموعة من مجال لآخر أو من منطقة لأخرى فهم يحملون معهم لغتهم القديمة باعتبارها جزء مهم من هويتهم، و هي دليل على انتمائهم لمجتمع معين حيث يتحدث السكان المبحوثين في خطاباتهم عن أهمية اللغة و أنها لعبت دور مهم في تسهيل عملية تقبل الحي الجديد فهم يتميزون عن غيرهم بلهجتهم القصبجية و لغتهم الخاصة المرتكزة على الأمثال و المقولات حيث أن جل كلام أبناء القصبية عبارة عن تعابير شعبية تحمل في أعماقها حكم و تجارب الاجيال الماضية و تظهر مدى فهم مستعمليها للعادات و التقاليد و القيم الاجتماعية. يقول أحد المبحوثين: "كجينا لهاذ

الحي كنفعدو نتكلمو بناتنا الناس اللي قاعدة بجنبنا يخزرو فينا و يحاولوا اتكلمو معنا و يقولولنا عندكم كلام زين و موزون..."

ثانيا : اعتبار الخطاب كأداة لتشكيل الهوية فالخطاب لا يعكس فقط لغة معينة بل يعكس كذلك طريقة التفكير والسلوكات التي تحدد ثقافة مجتمع ما، ان حفاظ السكان القدماء على اللغة و اللهجة القصبجية و استعمال الأمثال في كلامهم يعني المحافظة على أساليب التعبير و التفكير و كذا عادات الكلام حيث أن لكل مجتمع طقوس لغوية خاصة به، فالحفاظ على اللغة و اللهجة الخاصة بسكان القصبية في أحياء جديدة دليل على تمسكها بجذورها رغم تغير المجال و الظروف المحيطة بهم.

3.1 التمسك بالأدوار الاجتماعية القديمة:

يشير مصطلح الأدوار الاجتماعية إلى مجموعة السلوكات و المواقف و الأفعال و التوقعات و المعايير التي تنبأها السكان الأصليون بأحيائهم القديمة ، التي بنيت على مجموعة من العادات و التقاليد المتواجدة بها، حيث يصبح لكل فرد دور خاص يقوم به ضمن المجموعة، و هاته الأدوار تحدد مكانته ضمن شبكة العلاقات الاجتماعية و هي التي تعمل على توجيه سلوكه في حياته اليومية، فعند انتقال مجموعة السكان القدماء من الأحياء القديمة¹ إلى الأحياء الجديدة ظلوا متمسكين و محتفظين ببعض الأدوار الاجتماعية القديمة التي تبناها سابقا بأحيائهم بالقصبية، فاحتفاظهم بها دليل على رغبتهم في التمسك بهويتهم الحضرية و الثقافية و بذلك المحافظة على العلاقات الاجتماعية التي كانت تشكل جزء مهم في حياتهم بالقصبية، فهذه الأدوار توفر لدى هاته المجموعة نوع من الاستقرار الاجتماعي في الأحياء الجديدة التي تعتبر بالنسبة لهم بيئة مخالفة للبيئة التي اعتادوا عليها، لهذا فهذا يعتبر طريقة دفاعية تستعملها هاته المجموعة لحماية نفسها من التشتت و التفكك و بذلك العمل على استمرارية العلاقات داخل المجموعة و استمرار التواصل فيما بينهم في الأحياء الجديدة.

نلاحظ من خلال النسب أعلاه في الجدول أن "التمسك بالأدوار الاجتماعية القديمة" مثلت بنسبة 20.27% لما لها من أهمية في حياة سكان القصبية القدماء، فتقبل المجال الجديد و الإحساس بالأمان فيه يتطلب اتخاذ موقف يجعلهم يتكيفون مع هذا المجال بطريقة أو بأخرى، فكان التمسك بالأدوار من بين

¹ الأحياء القديمة في المعنى الذي استعملناه هنا لا نقصد به الأحياء المتهترئة و الرثة و لكن المقصود هنا الأحياء العريقة و الأصيلة و التقليدية، التي تحمل في أعماقها تاريخ طويل مشبع بهوية سكانها و هي أحياء تتميز ببنائاتها التقليدية و أزقتها الضيقة بالإضافة إلى عاداتها الاجتماعية التي تزيد من تماسك سكانها.

السلوكات التي اتخذتها هاته المجموعة المرحلة لتسهيل العيش بالأحياء الجديدة، هذا يجعلهم يشعرون بالاستمرارية و يخفف عنهم ذلك الإحساس بالانفصال عن القصبة الأم و الإحساس بالاغتراب.

إن مفهوم الدور قد تم تناوله في علم الاجتماع بشكل واسع و هذا ما أشارت إليه ¹ Corinne Laurier في فصل بعنوان الأدوار Les rôles في مقال لها، حيث ذكرت أن التعرف على الأدوار وكيفية تبنيها يمكن أن يساعد في تحسين فعالية الفرد في مجتمعه أو مكان عمله.

لقد ذكر أحد المبحوثين في خطابه قائلاً: "...بقينا هنا كما زمان نتعاونو بيناتنا كان عندنا جار كلما تستحاجو اجيك مسكين هو ماشي plombier مي يعرف بيريكولي قعد كف كف كجينا هنا نعطولو في التلفون اجينا...درك توفى ربي يرحمو كاين واحد آخر احفف لدراري مزالو هكذاك درك وليدو خلفو..." و يضيف آخر: "...اللي كانو يخدموا في الجمعيات مزالهوم و اللي كانوا يعاونو الزواولة مزالهم و اللي مستكلف ينظم القعدات بناتنا و نسمعوا للآلي و الشعبي و القسرة تاع زمان مزالنا كف كف".

نلاحظ من خلال حديث المبحوثين من الحيين أن بعض الأدوار التي كان يقوم بها بعض سكان القصبة في أحيائهم القديمة كالشخص المكلف بتصليح الأعطال و تقديم المساعدة و الدعم و كذا المسؤول على تنظيم الحفلات للمحافظة على التقاليد، بقيت مستمرة بعد الانتقال للأحياء الجديدة و مع مرور الزمن لازال من على قيد الحياة يحاولون الاستمرار و إن لم تكن بنفس الوتيرة فهناك من استخلفه أبنائه في بعض المهام، فالتمسك بالأدوار الاجتماعية القديمة مرتبط بعدة أسباب من ضمنها الاستمرار في ممارسة الأدوار القديمة و عدم زوالها، التمسك بالهوية الثقافية بهدف تعزيز الروابط مع الماضي، ففي الأحياء الجديدة يمكن أن يشعر السكان القدماء بالعزلة و الوحدة و البعد فباحفاظهم ببعض الأدوار يشكلون بذلك شبكة اجتماعية جديدة تجعلهم يشعرون بالأمان و التكيف مع المجال الجديد.

4.1 رفض تبني أنماط الحياة الجديدة :

يشير مفهوم أنماط الحياة و التي مفردها نمط إلى الطريقة التي يختارها الفرد ليعيش بها في مجتمعه، و تشمل هاته الأنماط العادات، القيم و المعتقدات، الأهداف و تتأثر الأنماط بمجموعة من العوامل الاجتماعية و الثقافية و كذا الشخصية، و من المهم فهم أنماط حياتنا لأن ذلك يساعدنا على أولا فهم

¹ Laurier, Corinne : **Chapitre 1. Les Rôles**, Manager avec l'analyse transactionnelle Osez votre style managérial ! Dunod, 2017. p.7-22. CAIRN.INFO, shs.cairn.info/manager-avec-l-analyse-transactionnelle--9782100758036-page-7?lang=fr.

أنفسنا،ثانيا فهم الآخرين و بناء علاقات متينة،ثالثا تحسين حياتنا من خلال تنظيم مناسبات،تحسين البيئة المحيطة و تقديم مساعدات...

من خلال النسب الموضحة في الجدول نلاحظ أن تكرارات فئة "رفض تبني أنماط الحياة الجديدة" تشير إلى 24 تكرار و النسبة الموافقة لها تتمثل في 16.22% و التي تتبين أنها ذات أهمية في موضوع البحث و في نفس الوقت نعتبرها ظاهرة معقدة تحتاج إلى التحليل و التعمق في دراستها، اذن ماهي أسباب رفض السكان القدماء للقصبة العتيقة أنماط الحياة في المجال الجديد؟ و ما هي العوامل المؤثرة في ذلك؟ و هل يمكن اعتبار هذا الرفض صدمة ثقافية كالتى تحدث عنها كل من Kalvero Oberg و Michael Winkelman في أبحاثهم.

إن انتقال سكان القصبة من الأحياء العتيقة إلى الأحياء الجديدة بميداني البحث،رافقه رفض و تردد في تبني أنماط الحياة الجديدة،و يمكن ربطه بعوامل متعددة و متداخلة و التي تشمل أولا الحنين إلى الماضي (هذا العنصر سنتطرق إليه بشكل مفصل و أعمق في المحور الثاني حول التعلق بالقصبة) حيث يحس السكان الأصليون للقصبة بحنينهم الشديد لحياتهم بالأحياء العتيقة بقصبة الأم، و يفقدون لعلاقات الجيرة القوية بين الجيران و التفاعلات الاجتماعية في الحياة اليومية و المتكررة على مدار اليوم و الشهر و السنة،و كذلك ينقصهم ذلك الشعور بالانتماء العميق للقصبة حيث لكل ركن و زاوية و جدار و شجرة و حتى عطر أزهار الياسمين في زنيقات القصبة يربطهم بذكريات الطفولة و الشباب، حيث يذكر عمي سعيد من الثنية قائلا: " كجينا هنا ما حملناش ما عرفناش واش صرا اليوم لأول كدخلنا الدمعة طاحتلي كنا في القصبة في حومتنا في دويرتنا مع ناسنا و جيرانا ريحة القصبة يعرفها غير اللي يسكن فيها عندها واحد الهيبة...رحلونا للثنية مافهمناش تحس Un changement brusque ."

من خلال خطاب المبحوث نفهم من دلالات العبارات التي استعملها في التعبير عن عدم قبوله لأنماط الحياة الجديدة أن كل عبارة لها دلالة تدل على عمق الارتباط العاطفي بالمجال القديم حيث لكل ركن و زاوية و حتى و لو كانت جامدة فهي تحمل ذكرى سعيدة بالقصبة العتيقة، إذ يشير قول المبحوث "كدخلنا ما عرفناش واصل صرا" دليل على إحساس المبحوث بالضياح بسبب التغيير المفاجئ.

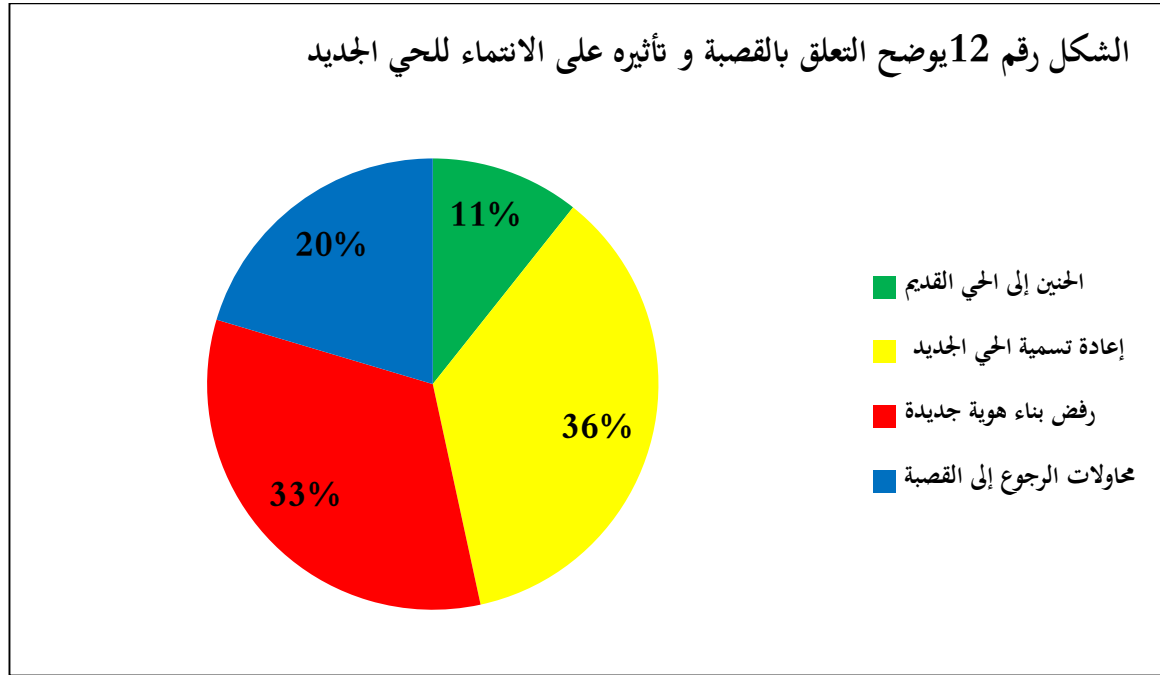
تدل هذه العبارة على عمق الارتباط العاطفي بالأماكن في الحي القديم، حيث يحمل كل ركن ذكرى خاصة و حتى الأشياء (فناء الدار و الدويرة، الزنيقات الضيقة و المنعرجة، الأسواق الشعبية، عطر أزهار الياسمين ...) و هذا يدل على إحساس المبحوث بالانتماء القوي لحيه القديم، أما في قوله " Un changement brusque " يدل على التغيير القوي و المفاجئ و إلى نوع من التغيير الجذري و كأنه

تم اقتلاعه من جذوره من المكان الذي نما به و تشبع بعباداته و تقاليده و قيمه و سقي بماء عاطفته و حنانه بيد جار كان يسهر عليه أثناء أنينه و أزماته و مصيبتة إلى مجال لا يملك فيه أي ذكريات أو عاطفة، مجال يحتاج فيه المرحلون إلى فترة طويلة حتى يتقبلوا أولاً فكرة الترحيل ثم ثانياً بعد ذلك التفكير ثم ثالثاً العمل على محاولة التأقلم و التكيف مع الأحياء الجديدة، و للمرحلون استراتيجيات دفاعية يتخذها في مثل هذه الظروف ستتضح شيئاً فشيئاً مع تقدم البحث.

فبشكل عام يمكن القول أن خطاب المبحوثين يدل على عمق حنينهم للماضي و فقدانهم للأمان الذي كان يعيشونه بالقصبة العتيقة، وهاته تعتبر " صدمة ثقافية " بالنسبة للمجموعات المرحلة الى القصبات الفرعية حيث واجه المرحلون صعوبة في تقبل المجال الجديد كونه بعيد على القصبة العتيقة، الهيكلة المعمارية مختلفة، تهئية الأحياء مختلفة...نحن نعلم أن العادات و التقاليد هي في مجملها نفسها في كل تراب الجزائر و لكن طريقة إحيائها و تجسيدها في الواقع يختلف تماماً، حيث كل مناسبة و لها طريقة إحيائها بالقصبة العتيقة بالإضافة الى إحياء الأعياد الوطنية و الدينية بإقامة حفلات مميزة بأزقتها و كذا طريقة الاستعداد لاستقبال رمضان و كل الإجراءات المتعامل بها بأحياء القصبة من تزيين الأحياء و تجيير السقيفات و الدويرات...الخ، كل هذا و ذاك جعل المجموعة المرحلة تجد صعوبة في التكيف مع المجال الجديد ما زاد من الشعور بالحنين إلى الماضي و الخوف من المستقبل.

2. التعلق بالقصبة و تأثيره على الانتماء للحي الجديد:

تعتبر الأماكن القديمة (المجال القديم) شواهد على تاريخنا و حضارتنا، فهي متجذرة في الزمن و تحمل في طياتها مجموعة من الذكريات الراسخة في الذاكرة الجماعية و التي تشكل هوية سكانها، إن تعلق سكان القصبة المرحلون بالمجال القديم كان له تأثيرا مباشرا على انتمائهم للمجال الجديد سواء بالثنية أو الضفة الخضراء، لقد عبر السكان المرحلون عن مدى تعلقهم بالقصبة من خلال فئات استخرجت من العبارات ذات التكرارات المرتفعة في خطاباتهم معنا، و المتمثلة في "إعادة تسمية الحي الجديد، رفض بناء هوية جديدة ، محاولات الرجوع إلى القصبة و الحنين إلى الحي القديم"، سنحاول التطرق من خلال التحليل السوسيولوجي لهذه الفئات الى الأسباب و العوامل الخفية وراء هذا التعلق بالقصبة العتيقة و مدى تأثيره على انتمائهم من عدمه بالمجال الجديد.



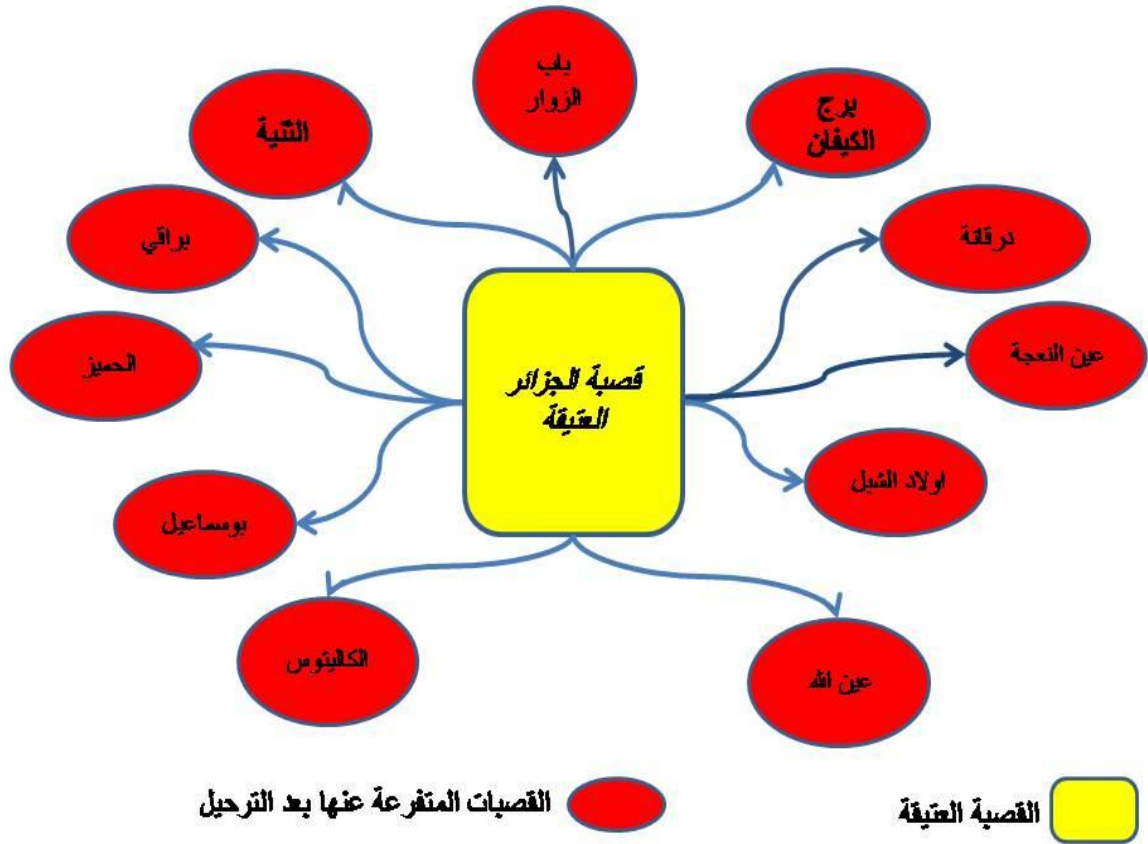
1.2- إعادة تسمية الحي الجديد

إن قوة ارتباط سكان القصبة بأحيائهم القديمة التي تمثل بالنسبة لهم ليس فقط اطار مادي الذي يشمل الساحات و الجدران و الأزقة و غيرها بل يتعدى ذلك الى اعتباره في نظرهم بناء اجتماعي يعبر عن مجموعة التفاعلات اليومية وجه لوجه بين السكان، فالحي القديم بالنسبة لهم يحمل معاني و قيم مشتركة و رموز و مشبع بالعادات و التقاليد العريقة، فلمكان يلعب دور جوهري في تشكيل هوية سكانه و يجعلهم

يتميزون بها عن غيرهم من خلال انتمائهم لهذا المكان (المجال)، ففوة ارتباطهم بأحيائهم القديمة جعلهم يطلقون تسمية غير رسمية "القصبة" على أحياء الضفة الخضراء و تسميتها الرسمية هي "حي 650 مسكن"، و أيضا تسمية القصبة (غير رسمية) على أحياء الثنية "حي 20 أوت" و هي التسمية الرسمية للحي، نلاحظ أن السكان القدماء حاولوا خلق قصبة جديدة فرعية لقصبة الأم حتى يتمكنوا من أن يتموقعوا في المجال الجديد و يتكيفوا مع محيطهم بطريقة أو بأخرى لأنه لا خيار لهم، لم يكتفوا بذلك فقط بل تعدتها لاعطاء نفس التسمية و هي غير رسمية على مختلف الأماكن التي رحلت اليه هذه المجموعات من السكان فلقد قموا باختراعها و فرضها دون اعتبار لأي جهة، و جعلوا لها دلالات و رموز خاصة يستدلون بها في المجال الجديد.

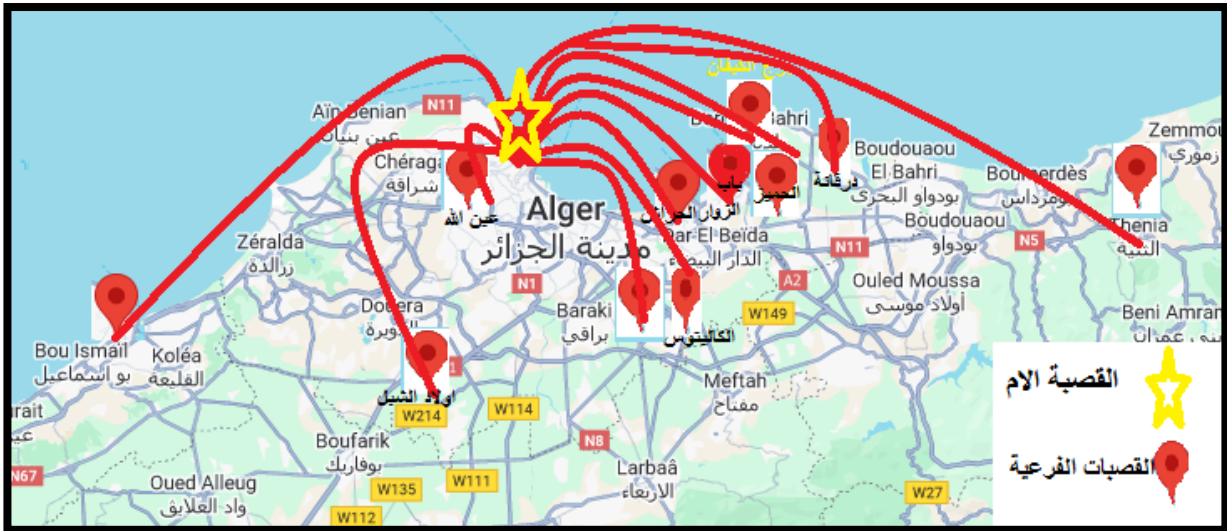
حيث يقول أحد المبحوثين: "كامل يعرفوا انو الحي وسموا القصبة روح وين حبيت كتحب تولي لهذا الحي قوللهم ادني للقصبة تاع برج الكيفان... الكل يعرفها بهذا التسمية و مايعرفهاش بتسميتها تاع الصح"، و يضيف آخر من قصبة الثنية: "روح لـ arret de bus تسمعهم اقولو القصبة القصبة هنا نعرفو بلي قاصد القصبة تاع الثنية ماشي القصبة تاع الجزائر المحروسة" هنا لابد من الإشارة إلى أن قصبة برج الكيفان ليست الوحيدة المتواجدة بالجزائر و إنما هناك قصبات فرعية كثيرة ولدت من قصبة الأم بالمدينة العتيقة مثل قصبة الثنية و قصبة باينام و قصبة الحراش و قصبة الحمير و قصبة عين الله و قصبة براقبي و قصبة عين النعجة و قصبة بوسماعيل. (المخطط أسفله يوضح القصبات النابعة من قصبة الأم).

خريطة ذهنية تبين القصبات المتفرعة عن القصبة الأم بالجزائر



خريطة رقم 05 تبين المخطط العنكبوتي اللامتوازن لمنطقة القصبة¹

¹المخطط العنكبوتي اللامتوازن: اطلقنا هذا المصطلح الجديد على توزيع سكان القصبة خلال عملية ترحيلهم بحيث المركز يمثل مدينة القصبة العتيقة و تنتشر توزيعاتهم بشكل غير متساوٍ إلى أحياء و مناطق أخرى، و يظهر هذا التوزيع الذي يشبه هيكل العنكبوت التفاوت في التوزيع الجغرافي للأشخاص المرحلين وأثره على حياتهم الاجتماعية و كذلك النفسية.



خريطة رقم 06 توضح للقصبات الفرعية المنبثقة من القصة العتيقة بالجزائر (من اعداد الباحث لعبادي طارق).

و يضيف مبحوث آخر من الثنية: "...حننا والفنا نقولو نروحو للقصة نجو للقصة ننتلقاو في القصة وكجينا هنا مانقدروش ما نقولوهاش كان لازم حل ...سمناها بالقصة...و لكن حتى الناس لي يسكنوا هنا وخدمهم اقولولنا صاحب القصة شغل اميزونا على الاخرين"، و يضيف "كان لازم نقعدوا مجتمعين كزمان و نخليو الجوار كما كان و الحرمة و التربية و الاحترام نقعدو كف كف متعاونين هذا يرد بالو على هذا"، فمن خلال الجدول أعلاه نلاحظ أن هذه الفئة مثلت بأعلى نسبة في الجدول و المينة بـ 35.92% و هذا دليل على الارتباط الوثيق و التمسك القوي بالمجال القديم، توجي خطابات المبحوثين باهتمامهم المتزايد بمجالهم القديم و بمدى تمسكهم و تشبثهم به و يعود ذلك إلى تركيزهم على جوانب عديدة في حديثهم و المتمثلة في القيم الثقافية للقصة فهي منبع القيم الأخلاقية (الصدق، التربية، الأخلاق، الاحترام...) و العادات و التقاليد و الإرث الثقافي فهذه الأماكن تحكي أساطير و حكايات لا تنتهي حول التراث الغني الذي تزخر به هذه الأماكن، و أنها فضاء لشبكة علاقات قوية مبنية على التعاون و التضامن و التأزر، كما أن اعطاء تسمية القصة على الحي الجديد بغية منهم من أن يبقوا متماسكين و أنه الحل لتسهيل عملية التكيف مع المجال الجديد.

- إن إعطاء تسمية للأحياء الجديدة من قبل مجموعة سكان القصة المرحلون إليها، يحمل في طياته معان و دلالات كثيرة، فمن رؤى سوسيولوجية يتجلى ذلك أولاً من بغية السكان بالبقاء مرتبطين بماضيهم الذي يعتبر هوية تفصلهم و تميزهم عن غيرهم، فالاسم في نظر المرحلون يعتبر رمزاً

يجمعهم بذكريات الماضي البعيد و تساهم في تقوية انتمائهم له و يحاولون بذلك الاستقرار بالمجال الجديد الذي يرونه مختلفا كل الاختلاف عن مجالهم و محيطهم القديم و العريق،

- ثانيا نقل التراث حيث تحاول هذه المجموعة من السكان اعادة استعمال الأسماء القديمة في مناطق و أحياء أخرى و ذلك بهدف الاحتفاظ على التراث القديم و اشارة منهم للأجيال القادمة بأصولهم التي انبتقوا منها و تجذروا فيها.

- ثالثا من خلال إعادة استعمال تسميات معروفة بالأحياء القديمة يتمكن المرحلون من التعامل مع الحاضر من خلال الارتباط بالماضي و هذا يخفف عنهم ذلك الشعور بالاغتراب و العزلة فهم يحاولون بذلك خلق جو حميمي فيما بينهم يشبه للذي عايشوه بالأحياء القديمة و هذا يشعرهم بنوع من الراحة النفسية لأن الكثير من المرحلون يظهر لديهم ذلك الإحساس بالحنين إلى الماضي و إلى الأحياء القديمة.

- رابعا محاولة استمرار الماضي في الحاضر من خلال إعادة انتاج مجال اجتماعي يعبر عن الهوية الجماعية للسكان المرحلون، فالاستمرارية هنا تظهر من خلال إحساس المرحلون بأنه على الرغم من تغير المجال الجغرافي إلا أن التسمية انتقلت معهم و لم تختفي، فيرسخ السكان صورة بأنهم لم ينقطعوا عما تركوه وراءهم و أنهم لم يتخلوا عن كل شيء بل لا يزالون بصلة وثيقة جدا بما هو موجود في مجالهم القديم و أقوى دليل اعطاء نفس التسمية القديمة و غير رسمية على الأحياء الجديدة عوضت التسمية الرسمية و فرضوها لقوة ذاكرتهم المشتركة و قوة هويتهم الجماعية و ثقل ما يحمله هذا الاسم من قوة دلالية و قوة رمزية عبر الزمن.

- خامسا تقوية العلاقات بين المرحلون حيث أن إطلاق نفس التسمية و فرضها يساهم في استمرارية العلاقات القديمة المتمثلة في الجيرة و التضامن و التآزر و التماسك و تقويتها في المجال الجديد و هذا يعطي الاحساس بالاستقرار و التوازن النفسي و الاجتماعي.

لقد عني موضوع "المكان و الهوية" باهتمام العديد من علماء الاجتماع حيث كتبوا و أجادوا في هذا الحقل الواسع و ساهموا في اثرائه، من بينهم Henri-Lefebvre و Antonio.Gramsci حيث تطرق "هنري لفرب" إلى "موضوع المكان كبناء اجتماعي وهوية" و يرى أن المكان لا يعتبر فقط اطارا ماديا و انما هو عبارة عن بناء اجتماعي يتكون من خلال التفاعلات الاجتماعية و التفاعلات الثقافية، كما يعتبر المكان في نظره بمثابة مرآة تعكس هوية الأفراد في المجتمع و هو يحمل في أعماقه تاريخ و قيم و عادات

و تقاليد ذلك المجتمع، كما أشار Lefebvre إلى أن المكان يعمل على بناء الهوية مع مرور الزمن، فالعلاقة التي تربط سكان القسبة بحيهم تتعدى كل التصورات و أحسن دليل هو نقل التسمية معهم بعد رحيلهم الى الأحياء الجديدة، فهذه التسمية "القسبة" تمثل رمز للهوية الجماعية و تحفظ التراث بشقيه المادي و المعنوي و تربط السكان بأجدادهم و تجعلهم يشعرون بالانتماء إلى ماض و مجتمع عريق.

فبصفة عامة ان السكان القدماء للقسبة العريقة من خلال نقل التسمية و فرضها على الأحياء الجديدة بالثنية و الضفة الخضراء يحاولون التأكد من استمرارية الحاضر للماضي و عدم حدوث انقطاع و تمزق بين الماضي و الحاضر و المستقبل، و تبقى القسبة حية عبر الأجيال من خلال الذاكرة و الهوية.

2.2- رفض بناء هوية جديدة:

إن مفهوم الهوية يستخدم بصفة شائعة و سهلة في الحياة اليومية و لكن في نفس الوقت يعرف صعوبة في تحديد مفهومه، حيث يختلف من عالم لآخر و من تخصص لآخر، ففي العلوم الاجتماعية عرّف Pierre.Bourdieu الهوية بأنها تتكوّن من خلال رأسمال الثقافي و الاجتماعي للفرد و التي تعتمد على العادات المكتسبة من المجتمع، أما Erik Erikson فيرى أنّ الهوية هي شعور الفرد باستمرار ذاته عبر الزمن ، فطبقا له فان هوية الفرد تتشكل عبر كفاح طويل في الزمن و الذي يبدأ من مرحلة المراهقة، حيث تركز على عنصرين أساسيين و هما أولا العلاقة مع المحيط و ثانيا الشعور بالاندماج، فكل العنصرين ذو أهمية كبيرة حيث الأول جد ضروري يتمكن من خلاله الفرد من تعريف نفسه للمجتمع الذي يحيط به، و يقصد هنا ليس تعريف نفسه بذكر اسمه بل يقصد هنا تموقعه في شبكة العلاقات الاجتماعية، أي ما نكون عليه و ما ننتمي إليه ضمن المجتمع الكلي.

كما أن كلمة الهوية تظهر في المعجم الفلسفي Lalande مع تعريف يعتمد على ثلاثة معاني للصفة « مماثل » والتي تحدد ثلاثة معاني للـ "هوية":

1. يكون الشيء مماثلا إذا كان فريدا رغم أنه يرى أو يفهم أو يُسمى بطرق مختلفة مثال على ذلك: النجم الذي يظهر في الصباح هو نفسه النجم الذي يظهر في المساء...
2. الفرد هو مماثل لذاته عندما يبقى هو نفسه عبر مختلف مراحل وجوده.

3. اثنين أو أكثر من مفاهيم التفكير، باعتبارها رقميا متميزة، يمكن أن تعتبر كمثلة تماما لنفس الخصائص و الصفات¹، يقصد هنا في هذه العبارة بأنه يمكن اعتبار شيئين أو أكثر مماثلين من الناحية الفكرية إذا كانا يشتركان في الخصائص و الصفات على الرغم من أنهما متميزين عن بعضهما بشكل مادي أو عددي.

إن معجم Lalande يعتمد على المعاني التي تحدد الهوية و ذكرها في ثلاثة مفاهيم، و إذا ما حاولنا إسقاطها على مجتمع البحث فالسكان القدماء المرحلون من القصة إلى أحياء جديدة و يرفضون التخلي عن هويتهم الأصلية كما أنهم ليسوا مستعدين لبناء هوية جديدة بالمجال الجديد و لقد مثلت بالجدول بنسبة 33.01 % ،

* أولا فيما يخص المفهوم الأول "يكون الشيء مماثلا إذا كان فريدا" فالهوية بالنسبة للمرحلون فريدة بالرغم من اختلاف المجال، فالسكان القدماء بعد التنقل يبقون يحتفظون بهويتهم الأصلية و يرون أنفسهم كما كانوا سابقا في مجالهم القديم رغم اختلاف المكان (المجال الجديد)، فبالنسبة لهم هويتهم الأصلية تبقى ثابتة لا تتغير رغم تغير المجال و كل ما يحيط به.

*ثانيا "الفرد هو مماثل لذاته عندما يبقى هو نفسه عبر مختلف مراحل وجوده"، المرحلون يستمرون عبر الزمن، حيث يعتبرون أنفسهم متماثلون و متشابهون مع ذاتهم الأصلية القديمة و يحافظون على عاداتهم و تقاليدهم كجزء من اثبات استمراريتهم عبر الزمن، ما يجعل هذه المجموعة تحس بأنها نفس المجموعة القديمة رغم التغيرات التي طرأت على المجال (أي التغيرات الجغرافية و التغيرات الاجتماعية) و التي مروا بها.

*ثالثا "يمكن اعتبار شيئين أو أكثر من الأشياء الفكرية مماثلين رغم تمييزهما عدديا² شرط امتلاك نفس الصفات"، فعلى الرغم من تغير المجال و المحيط و السكان في الأحياء الجديدة و المحيطة بالمرحليين، فهم يرون أن هويتهم الجماعية القديمة لم تتأثر بل بقيت كما هي بكل ما تحمله من صفات تميزهم ، و ذلك من خلال تمسكهم بالموروث الحضري و الحفاظ عليه، فهم يحاولون في المجال الجديد جعله مماثلا لمجالهم القديم حيث يظهر ذلك من خلال اعطاء تسميات مشابهة في الأحياء الجديدة للمتعارف عليها في الأحياء القديمة، كما لو كان امتدادا طبيعيا له متجاهلين بذلك

¹ Drouin-Hans, Anne-Marie : *Identité*, Le Télémaque, 2006/1 n° 29, 2006. p.17-26. CAIRN.INFO, nshs.cairn.info/revue-le-telemaque-2006-1-page-17?lang=fr.

² الاختلافات العددية تعني وجود تمييز مادي أو عددي بين الأشخاص و الأشياء لكنها تشترك في نفس الخصائص، مثلا يمكن لبعض الأشياء أن تكون ماديًا مستقلة لكنها في صفاتها تكون متشابهة.

كل الفروق المادية (المباني، الأزقة، الشوارع، الساحات...) و الثقافية (اللهجة المحلية، طريقة التعامل، القيم الاجتماعية...).

إن السكان المرحلون من القصبة يحاولون إعادة تهيئة المجال الجديد مع ما يتماشى و ذاكرتهم الجماعية حتى لا يشعرون بالاختلاف من ناحية المجال المحيط بهم فكانت إطلاق تسمية جديدة كبداية لمحاولة تقبل الأحياء الجديدة و بذلك يحسون بأن هويتهم لم تتأثر بالمكان فهم يحاولون المحافظة عليها من خلال التشبث بجذورهم القديمة و تجسيده في طريقة عيشهم و تمسكهم بلهجتهم المحلية و إعادة تسمية الأحياء بأكملها بالإضافة الى استعمال تسمية بعض الأماكن بنفس التسمية المتعارف بها بالقصبة حيث تقول أحد المبحوثات: "...مازالنا نقولوا لخيامة للكوزينة ، تبسي ما نقولوش طبصي النافخ للفرن، اللوسة نقولولها اللآختي و نقولو بابا سيديو بيت الصابون، السقيفة،بيت لقعاد، فنيجل قهوة..." إن السكان يحتفظون بهذه التسميات لمساعدة أنفسهم على التكيف بالمجال الجديد و الاحساس بالارتباط بماضيهم العريق و عدم الإحساس بالبعد و العزلة، فمن خلال خطابات المبحوثين نلاحظ أنه لا يوجد رفضا علانيا بعدم بناء هوية جديدة بالأحياء الجديدة و لكن ضمنى يظهر من خلال استمرارية التواصل مع الأحياء القديمة، إعادة إحياء العادات القديمة، استعمال نفس التسميات و أسماء الأماكن.

3.2- محاولات الرجوع إلى القصبة

تعتبر القصبة من المدن العتيقة التي تعرف بتراثها المعماري الأصيل و بمبانيها التقليدية و أزقتها المنعرجة الضيقة و أسواقها الشعبية و هي رمز للهوية و التراث الشعبي، فسكانها يرتبطون بها بعمق على عدة جوانب الاجتماعية منها و التاريخية و الثقافية.

فمن الناحية الاجتماعية تشكل القصبة بأكملها حي واحد في نظر سكانها فالكل متعارف باسمه و عنوانه و دويرته و عائلته، فالاحتكاكات اليومية و التفاعلات المتكررة في ساحات الدويرات و في أزقتها المتداخلة فيما بينها و المتشابكة حيث كل الطرق تؤدي إلى أي مكان تريده بالقصبة، هذه التفاعلات تزيد من التماسك و الترابط بين سكانها، هذا الترابط ليس فقط مع الأصدقاء و الجيران و الأقارب و إنما مع المكان مع كل حجرة موجودة بالقصبة مع الأشجار مع الزخارف المتعود عليها ساكنها منذ ولادته، كل هذا يجعل من الصعب على السكان مغادرة القصبة بسهولة، و في حالة المرحلون تجدهم يحاولون الرجوع إلى القصبة بشتى الطرق، منهم من ترك المنزل بالأحياء الجديدة و عاد للكراء بالقصبة مرة أخرى، و منهم من عاد و لكن ليس بمعنى السكن بها و لكن العمل فيها أي مزاوله عمله بها و عدم انقطاعه عنها، و يصبح

الحي الجديد مكان للنوم فقط و كأنه فندق على حد تعبير أحد سكان الضفة الخضراء: " كرحلونا ما قدرناش نوالفو كنا نوضو صباح نتلقاو و نروحو للقصة اللي يخدم و اللي عندو شغل و لي عندو كوارط اخرجهم و اللي عندو صحاب ازورهم المهم كنا نروحو مصبح حتى الليل و ندخلو للدار تقدر تقول un hôtel " .

أما من الناحية التاريخية تعتبر القصة قلب التاريخ و معالمها القديمة كالأسوار و المباني و الأبواب القديمة المزخرفة تعتبر جزء من الذاكرة الجماعية لسكانها و لا يمكنهم الانفصال عنها، فقبل أن يكون ارتباطا عاطفيا فهو قبل كل شيء ارتباطا حسيا بصريا فلكان علاقة عاطفية تربطهم مع المكان الذي عاشوا به حيث يقول أحد السكان: " حنا مربوطين بكل شي كاين بالقصة منهار زدنا و احنا نشوفوا الديور و الحيوط المزركشة و الالوان المتناسقة عينينا والفت تشوف زنيقات و تشوف البنيان اللي ما كاش كيفو نشوفو العيون في كل مكان من القصة انا عشت القصة قبل ما نعيش فيها هي une partie de moi قبل ما نكون أنا une partie d'elle " و هذا يعني أن الساكن يعطي أهمية كبيرة للقصة فهو يصرح أن المباني و الاسوار و الازقة و المعالم القديمة كانت موجودة قبل ميلاده و شهدت حياة الكثير من الأجيال التي سبقتة و هذا يجعلها جزء من ارثه الجماعي حيث ذكرياته الأولى مرتبطة بالقصة ما يجعلها جزء لا يتجزأ من وعيه الجمعي.

فمن خلال الجدول أعلاه نلاحظ أن فئة "محاولات الرجوع إلى القصة " مثلت بنسبة 20.39% و هي نسبة مهمة حيث تعبر عن رفض بعض السكان القدماء التغير الاجتماعي حيث يرفض بعضهم التكيف مع التحولات التي فرضها المجال الجديد، و يحاولون العودة إلى الأحياء القديمة بالقصة و هذا تأكيدا من قبل السكان على تمسكهم القوي بجذورهم القديمة، بالإضافة إلى أن الإحساس بالعزلة و البعد و عدم تمكن السكان من الاندماج كليا في الأحياء الجديدة ما يجعلهم يفكرون بالعودة إلى ذلك المكان الذي يشعر فيه بالأمان و القبول الاجتماعي، و كذلك إحساس السكان بقلّة التفاعلات الاجتماعية اليومية و الكثيفة كما كانت بالأحياء القديمة يدفعهم لمحاولة العودة للقصة حيث العلاقات الاجتماعية بين الجيران و الأصدقاء والعائلات لا تعرف حدود أي كثيفة طيلة اليوم و تتسم بالحميمية و التعاون و التآزر و المحبة، و ما يجدر الإشارة إليه كون السكان تربطهم بمنزلهم و دويراتهم و أحيائهم عاطفة قوية فهذا المكان العتيق يمثل ذكريات الطفولة و العلاقات الحميمة بين أفراد العائلة و بين الجيران مما يجعل الابتعاد عن القصة بمثابة الابتعاد عن الذات و فقدان جزء منها، إن الارتباط بالقصة العتيقة ليس مجرد ارتباط مكاني بل يتعدى ذلك لكونه ارتباطا اجتماعيا و رمزيا يمثل الهوية الجماعية لسكانها.

4.2- الحنين إلى الحي القديم:

الحنين هو إحساس داخلي قوي يرتبط بالعاطفة و نشعر به فقط في حالة فقدان شيء عزيز علينا و هو يجمع بين الحزن و الاشتياق و إحساس بألم يوخزنا، و نتمنى لو نستطيع استعادته مرة أخرى، و نستمر في العيش باسترجاع الذكريات و إعادة إحيائها في ذاكرتنا. " فالحنين هو ألم العودة، كلمة ابتكرت في القرن السابع عشر من الكلمات اليونانية -"nostos" - العودة - و "algos" - الألم وهو يجسد في الوقت ذاته المعاناة التي نشعر بها عند الابتعاد عن "chez-soi"، سواء كان حقيقيا أو خياليا، والحزن الذي نعيشه عند العودة إليه. إنه شغف ذو طابع مر و حلو، شعور يمزج بين الرغبة، الحنين، الذكريات، والفقدان¹. كما كتب Kelly Poracchia et Mohammed Ham عن موضوع الحنين في عدة مقالات لهما يطلانه من منظور نفسي من بين المقالات نذكر مقال بعنوان " عن تجسيد خيالي للشيء كوسيلة للانفصال عن الكآبة " و عنوانه الأصلي باللغة الفرنسية هو « D'une matérialisation imaginaire de l'objet pour se sé-parer de la mélancolie » حيث يتناولان طريقة نشأة الحنين كرد فعل على فقدان شيء يصبح في ذهن الفرد مثاليا يفوق قيمته أي يصبح شيئا ساميا، و هذا المقال يركز على أن الحنين يجعل الفرد يعيش نوع من الخلط و الالتباس بين ما فقدته حقيقة (الشيء الذي فقدته) و ما ماهو مثالي(الشيء الذي يتخيله) ما يجعله يحس بأن مافقده له وجود مادي و ملموس، و يظهر الكاتبان أن الحنين يساعد الفرد على مواجهة الكآبة و تجنب الوقوع فيها من خلال التركيز على الذكريات و الارتباط بالماضي، فهذا يمنحه شعورا بالأمان.

فمن خلال تحليل معطيات الجدول أعلاه نجد أن فئة " الحنين إلى الماضي " مثلت نسبتها ب 10.68% حيث يشعر سكان القصبة المرحلون بحنينهم لحيهم القديم و ذلك من خلال سردهم لميزات الحياة اليومية بأحياء القصبة،العلاقات و التفاعلات،الممارسات الاجتماعية المتنوعة سواء الدينية،الاجتماعية و الثقافية، فالحنين يظهر من خلال خطاباتهم حول التلاحم و التعاون في الماضي و الذي يظهر في تقديم المساعدة وقت الضيق و الحاجة و تبادل الزيارات في كل الأوقات و التي لا تقتصر فقط على المناسبات، بالإضافة إلى العلاقات الجوارية السائدة التي تظهر من خلال الاحترام و التربية الحسنة و التعاون و الحرمة.

¹ Origgi, Gloria : **Nostalgie** , Passions sociales, Presses Universitaires de France, 2019. p.415-418. CAIRN.INFO, shs.cairn.info/passions-sociales--9782130798811--page-415?lang=fr.

فهم يعيشون الحاضر من خلال ذلك الشعور بالحنين الذي يوقظ بداخلهم إحساسا قويا يجعل حياتهم تستمر في واقع لا يمد بصلة لواقعهم الأصلي، فهم يعيشون في أحيائهم الجديدة بأجسادهم و لكن في مخيلتهم اليومية يعيشون في الماضي البعيد فالشعور بالحنين و استرجاع الذكريات يعطي طاقة ايجابية في السكان القدماء تجعلهم يتكيفون جسديا لا نفسيا مع الأحياء الجديدة، حيث تذكر خالتي فطومة: "بكري كل واحد اعاون كنا فاملية وحدة عندي بنتي رضعتها لي جارتني اللي هي كما فميلي و ولادها ولادي و ككبروا ولاو خاوة" و تضيف أخرى: "اللي تسكن معاك و لا تقابلك في الدار من نفس الدويرة هي فميلتك ماشي جارتك نتعاونوا نترافدو نسيقو و نشحو على الماء و نتسالفو في العراس الحوايج ...يمانتا كامل فرح ايه على زمان ". من خلال هذا الحديث نلاحظ أن السكان في وصفهم للحياة السائدة بالقصبة يركزون على العلاقات الجوارية التي تعتبر ركيزة أساسية في حياتهم و التي تتميز بالقوة حيث يعيش السكان بالقرب من بعضهم، و الساحات الموجودة في وسط الدار تتيح اللقاءات اليومية التي تزيد من الروابط و تجعلها أكثر حميمية كما ذكرت المبحوثتان في كلامهما، و كذا تلاصق الدويرات و الأسطح فيما بينها ما يجعل النوافذ جد قريبة من بعضها البعض، بالإضافة إلى الدعم المتبادل بين الجيران حيث يساعد بعضهم بعضا في مختلف المناسبات و يوجد نوع من الشعور بالمسؤولية الجماعية اذ يرفع الجار أبناء جاره في غيابه و يطعمه من طعامه و تتعاون جميع النسوة في تنظيف الدويرة و تحضير الأكل و تجيير الجدران.

إن منازل القصبة أو كما تدعى بالنسبة لسكانها بـ "الدويرات" طريقة بنائها تختلف عن المنازل الحديثة فهي مبنية حول فناء الدار و المسمى بوسط الدار فهو ليس مجرد مساحة معمارية بل مجال يجمع الجيران فيما بينهم و الذين يعتبرون كالأُسرة الواحدة كما ذكرت المبحوثتان "اللي تسكن معاك في الدار فميلتك" فهو يستعمل لتناول الطعام و الطهي فيه في فصل الصيف و مزاولة النشاطات اليومية المنزلية تنظيف الأواني و للطرز و للعب الأطفال، و لاستقبال الضيوف و احتساء الشاي و القهوة، و يعرف وسط الدار حركة كبيرة في شهر رمضان حيث التجمعات و الولائم و الحفلات، فالتصميم الفريد من نوعه لمنازل القصبة جعل سكانها يعيشون في وسط يعزز العلاقات و التفاعل اليومي بين الجيران لمواجهة صعوبات الحياة بنوع من التضامن و التعاون.

الأحياء بالقصبة ليست مجرد مجال سكني بل تمثل هوية سكانها الأصليين فلما نتحدث عن وسط الدار و الأزقة المنعرجة الضيقة و الجوامع و المساجد القريبة، فنحن لا نتحدث عن تصميم معماري فقط بل يتعدى ذلك ليعبر عن رموز و عادات و تقاليد اجتماعية و عن ما يفوق ذلك و التي تعتبر ركيزة سكانها

و المتمثلة في علاقات الجوار القوية التي كانت تربط الجيران بعضهم ببعض، ان سكان القصبة يشعرون بنوع من "الحنين" إلى أحيائهم و دويراتهم لأنهم يعتبرونها جزء من هويتهم لأن هذه الأماكن المختلفة كوسط الدار و المساجد و الأزقة و الأسواق كلها ترتبط مباشرة بذاكراتهم و طفولتهم و المناسبات مع عائلاتهم كما ترتبط أيضا بتجاربهم الجماعية كالعادات و التقاليد و كل الأحداث التي جمعتهم و عاشوا معا مرها و حلوها، فالقصبة ليست مجرد مكان مادي يستعمل للعيش بل هي مكان ذو قيمة رمزية في الذاكرة الجماعية لسكانها الأصليين فهي تعكس هويتهم الفردية و الجماعية.

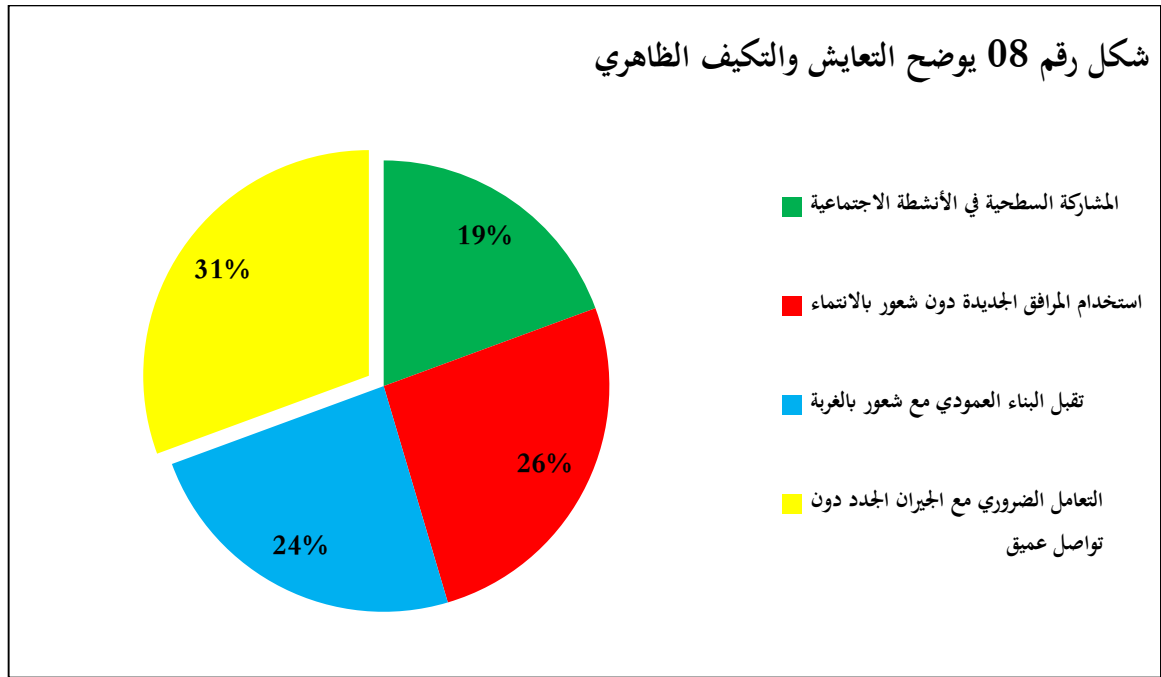
ان الشعور بالحنين للماضي (الحنين للمكان) هو شعور بالاغتراب في الأحياء الجديدة و هو تعبير قوي عن فقدان مكان عزيز حيث الحياة اليومية قائمة على التفاعلات و العلاقات القوية، ان هذا الارتباط المتزايد و الشديد بالزمن (الماضي) و بالمكان (القصبة) يؤدي إلى اعاقه التكيف مع المجال الجديد و يبقى السكان عالقين في ذاكرتهم الجماعية و في تصوراتهم للماضي المثالي، و لكن في نفس الوقت يمكن اعتبار الحنين كطريقة دفاعية يلجأ إليها السكان المرحلون تجنباً للوقوع في الكآبة و ذلك من خلال التركيز على الذكريات و الارتباط بالماضي ما يمنحهم شعوراً بالأمان في الحاضر.



صور رقم تمثل إحياء السكان المرحليين من القصبة اليوم العالمي للقصبة (الباحث) (2025/02/23)

3. التعايش والتكيف الظاهري:

يشير مفهوم التكيف الظاهري في موضوع بحثنا إلى تأقلم سطحي للفرد أو الجماعة مع أحياء جديدة دون قبول عميق للقيم و الممارسات الاجتماعية في تلك الأحياء، أي أنه لا يوجد ارتباط عاطفي حقيقي بالمكان أو بالأفراد و يبقى الساكن متمسكا بقيمه و مشاعره للأحياء القديمة، في هذا المحور حول " التعايش و التكيف الظاهري " تمكنا من خلال تحليل خطابات المبحوثين استخراج أربعة فئات تمثل هذا المحور و المتمثلة أولا في التعامل الضروري مع الجيران الجدد دون تواصل عميق بنسبة 30.61% ، استخدام المرافق الجديدة دون شعور بالانتماء بنسبة 26.02% ، تقبل البناء العمودي مع شعور بالغرابة بنسبة 23.98% ، المشاركة السطحية في الأنشطة الاجتماعية بنسبة 19.39% و سنحاول تحليل النتائج إحصائيا و من منظور سوسيولوجي.



1.3- التعامل الضروري مع الجيران الجدد دون تواصل عميق:

تعتبر العلاقات بين الجيران مؤشر مهم على ترابط المجتمع وتعاونونه و لقد حظي هذا الموضوع بدراسة من قبل العديد من علماء الاجتماع لما له من أهمية في تشكل و استمرار المجتمعات حيث يقول أرسطو أن " الإنسان بطبيعته حيوان اجتماعي " دليل على أن العلاقات الاجتماعية جد ضرورية في حياة الفرد، و

لكن شهدت هذه العلاقات تحولات ملحوظة و لا يمكن تجاهلها في السنوات الأخيرة حيث أصبح التعامل بين الجيران يتسم بالسطحية و قلة التفاعل مقارنة بالعلاقات السائدة في الماضي، و ذلك راجع لعدة أسباب منها الانتقال من أحياء بسيطة ذات طابع تقليدي إلى أحياء مكتظة، الاختلاف في التصميم المعماري أي الانتقال من التقليدي إلى الحديث الذي يعزز الفردانية، الاعتماد على التواصل الافتراضي، الاختلافات الثقافية قد تنتج نوع من الفراغ الاجتماعي العميق، الحنين إلى الماضي و التمسك به يجعل الفرد يعيش في مخيلته مع الماضي و يعيق عملية تكيفه مع الحاضر في الأحياء الجديدة.

نلاحظ من خلال النتائج المبينة في الجدول أعلاه أن أعلى نسبة بين الفئات و الممثلة بـ 30.61% هي فئة "التعامل الضروري مع الجيران الجدد دون تواصل عميق" إن التعامل مع الجيران الجدد يكون عند الضرورة فقط دون تواصل عميق و هذا يشير إلى أن الاتصال بين السكان (المرحلون و الجدد) موجود و لكنه محدود يقتصر على تلبية بعض الاحتياجات و المتطلبات الأساسية فقط مثل تبادل الخدمات الضرورية و استعمال بعض المرافق المشتركة كموقف السيارات.

إذا ما حاولنا تحليل هذا السلوك سوسيولوجيا يظهر وجود علاقات سطحية مبنية على المنفعة أو الضرورة بدلا من الروابط القوية ، و يرتبط هذا بالتحولات الثقافية التي قد تقلل من قيمة العلاقات الجوارية في الأحياء الجديدة مقارنة بالأحياء القديمة حيث كانت العلاقات أكثر قوة و أكثر عمقا، فالأحياء الجديدة تقتصر الى ذلك التصميم المعماري و الاجتماعي الذي يزيد من تعزيز العلاقات و التفاعلات بين السكان و الجيران كالأرقة المنعرجة الضيقة، وسط الدار، الأسواق القريبة... فطريقة تصميم البنايات في الأحياء الجديدة تجعل التواصل بين الجيران أقل مقارنة بالأحياء القديمة ما يجعل التعامل مقتصر على الضرورة فقط. يقول عمي العربي: "هنا رانا مخططين ماجمعوناش كما جابونا مالقصة حنا ولاد القصة ماعدناش فرق اللي جا م سيدي محمد شريف و لا من بيرجباح نتعارفو بناتنا كامل كل واحد وين خطوه و كاين اللي ولاو و كاين اللي باعو و راحو ما حملوش... بناتنا مع السكان هنا السلام عليكم... و اذا حاجة تجمعنا في batiment التريسياتي و لا الماء أو أي شي لازم نتكلمو عليه في الحي نتحدثو عليه... و لكن المعاملات profonde ماكانش" هنا في خطاب عمي العربي معنا يوضح لنا في مضمونه أن علاقته مع الجيران و سكان العمارة محدودة فهي تقتصر على التواصل من أجل بعض المشاكل المرتبطة بالعمارة كإصلاح الكهرباء و الماء، صيانة المصاعد و نظافة العمارة و ما يحيط بها، إن هذا السلوك يشير إلى أن سكان القصة المرحلون لا يشعرون بالانتماء الى الحي الجديد(قلنا هنا لا يشعرون و تحدثنا بصيغة الجمع لأن المبحوث تحدث

بنفس الصيغة و هذا ما لحظناه في كلام المبحوثين يستعملون نحن بدلا من أنا و الحديث يكون دائما بصيغة الجمع و كأنهم شخص واحد منسجمين و متفقين) و لا يرون أنفسهم جزءا من هذا الحي و هذا راجع لعدة أسباب منها الانتقال إلى الأحياء الجديدة بتصميم لا يمد بصلة للتصميم المعماري العتيق كان كصدمة قوية على المرحلون نتج نوع من الفجوة الاجتماعية خلقت هذا الانكماش على الذات، كما أن طبيعة البنايات القديمة العائلية تعزز الاجتماع و العلاقات بينما طبيعة البنايات الحديثة أي العمارات تعزز الفردية فما هو موجود داخل المنزل أي من باب البيت للداخل ملك السكان يحافظون عليه و يعتنون به و أما ما هو خارج بيتهم من عتبة المنزل إلى الخارج كدرج العمارة و المصاعد و محيط العمارة كل هذا لا يعتنون به و لا يحافظون عليه و إن وجدت فربما مجموعة صغيرة تتمسك ببعض الضروريات كالنظافة و الإصلاح و مع مرور الزمن تفشل و تتلاشى و تتعب لأنها تجد نفسها وحيدة تصارع حيا بأكمله. بينما في أحياء القصبة على حد تعبير سكانها فالحي هو المنزل الأول قبل الدار و الدويرة لأنه يعكس صورة سكانها إذا كان الحي نظيفا فهذا دليل على نظافة ساكنيها و إن كان جميلا فهو دليل على جمال ساكنيها و على تعاونهم و تقاهمهم حيث يقول أحد المبحوثين: « le quartier reflète l'image des habitants » و من بين الأسباب أيضا يمكن ذكر الحنين إلى الماضي العريق و التمسك به (وقد تطرقنا إليه بالتفصيل سابقا في محور خاص بالحنين) فالشعور بالحنين إلى الحي القديم و الى العلاقات القديمة و إلى القصبة التي تربطهم بها ذكريات و تجارب الطفولة و الشباب فالتمسك بها يجعلهم يعيشون في الماضي من خلال مخيلتهم و يصعب عليهم بناء علاقات و روابط مع الحي الجديد في الحاضر، لأنهم يقارنون دائما الماضي بالحاضر، العلاقات الجوارية العميقة بالعلاقات الجوارية السطحية، طغيان فكرة الجماعة بالفكرة الفردانية.

إن المقارنة بين الماضي البعيد و الحاضر المعاش لا يسمح للسكان المرحلون بالتكيف التام مع واقعهم في الحاضر إذ أن الارتباط بالماضي و التمسك به و التركيز المفرط عليه يجعلهم عالقين في ذكرياتهم الماضية، و يعيق بذلك عملية التكيف و كذا قدرتهم على تقبل الانتقال و التغيرات التي طرأت على حياتهم، بالإضافة إلى أن ارتكاز خطاباتهم على المقارنة بين الماضي الجميل و الحاضر الأليم قد يمنعهم من بناء علاقات جديدة و جيدة مع الحي الجديد كون نظرتهم للحاضر المعاش نظرة تشاؤم و حكم سلبي مقارنة بالماضي البعيد ما يزيد و يعمق الإحساس بالحنين و البعد و العزلة.

بصفة عامة يمكن القول أن شعور سكان القصبة المرحلون بأنهم غرباء بالأحياء الجديدة يمنعهم من بناء روابط و علاقات اجتماعية عميقة مع الجيران أولا و مع المكان ثانيا، و كذا الخوف من المجهول

يجعلهم يتأنون في الخوض في علاقات مع الغير فهم يفضلون نسج علاقات سطحية تقتصر على التعامل الضروري مع الجيران الجدد دون تواصل عميق خوفا من فقدان القيم التقليدية القديمة.

2.3- استخدام المرافق الجديدة دون شعور بالانتماء :

يشير مصطلح المرافق إلى مجموعة الأماكن العامة و الخدمات التي تقوم الدولة بإنشائها لتسهيل حياة الأفراد و تستعمل من قبلهم تلبية لاحتياجاتهم اليومية و لتحقيق الراحة و تظهر أهميتها في أنها تساهم في بناء مجتمع متماسك و مترابط و متعاون، و المرافق أنواع أساسية كالكهرباء، المياه و النقل، و مرافق اجتماعية مثل المستشفيات، المستوصفات، المدارس و مرافق تجارية كالأسواق و الدكاكين... بالإضافة إلى الحدائق و المساحات الخضراء و المنتزهات للاسترخاء.

تعتبر إشكالية استخدام المرافق بالأحياء الجديدة من قبل المرحلون دون شعور بالانتماء ظاهرة مهمة و معقدة في نفس الوقت، فالمرافق العامة نشئت بغرض الاستفادة منها من قبل جميع ساكني تلك الأحياء و لكن استعمالها من قبل بعض المجموعات المرحلة دون الشعور بالانتماء إليها إشكالية في حد ذاتها لأن الإحساس بالانتماء هو ما يجعل الأفراد يحافظون عليها و يعملون على تحسينها و تطويرها لتصبح انعكاسا لهم و يحسون فيها بالراحة و الاسترخاء، و السؤال المطروح هو هل يمكن المشاركة في شيء دون الشعور بالانتماء إليه؟ و ما أسباب هذا الشعور بعدم الانتماء؟

من خلال النسب المبينة في تكرارات خطابات المبحوثين تشير إلى أن أربعة أشخاص من عشرة يستعملون المرافق بالأحياء الجديدة كالمساحات الخضراء و الأسواق...، دون الإحساس بالانتماء و الارتباط الاجتماعي و العاطفي فالعلاقة بكل ما يشمل الحي الجديد و ما يحيط به علاقة سطحية إذ يستعمل المرحلون تلك المرافق دون الشعور بأنها أصبحت جزء من حياتهم اليومية، أي استعمالها يقتصر على تلبية الحاجيات الوظيفية فقط كالجلوس في الحدائق المجاورة للحي دون الاهتمام ببناء علاقات مع الجيران و استعمال مرفق السيارات بالحي دون الإحساس بالمسؤولية بتنظيمه و نظافته و بأنه أصبح جزءا من حياته اليومية. حيث تشير النسبة المعبرة عن هذه الفئة إلى 26.02% و من منظور سوسيولوجي هذا التكيف المادي و الوظيفي دون تكيف عاطفي يظهر أن السكان المرحلون يشعرون بأنهم غرباء بهذه الأحياء فهي تختلف عن النمط المعيشي الذي تعودوا عليه و المحيط الاجتماعي الذي عاشوا فيه، و أن كل ما هو

موجود بالأحياء الجديدة (كالمرفق العامة مثلا) لا يعكس صورتهم الأصلية و بذلك لا تمثل هويتهم الاجتماعية و الحضرية. حيث يذكر عمي عثمان: "...نستعملو le parking à côté و نقعد مينداك في le jardin و لكن مانهدر مع حد راني كبير مانقدرش نروح للقصة كما يديرو المصاغر mais حد حدي...شوف وردة ماكيننا الحشيش ويبس في القصة محال تكون الحالة هكا ككنا فيها ريحة الياسمين و الما في كل عيون كل حومة تقريبا تلقى فيها عين الحيوط مقيين نجبروا في كل مواسم و في كل les événements et les occasions " و يضيف آخر " الجيران في حد ذاتهم ماشي متقاهمين كل واحد 241 ي نجا كل واحد و عقليتيو ...حننا موحال نخلو حومتنا هكذا...حننا قلال هنا يد وحدة ماتسفق... " يربط السكان الجدد خطاباتهم بالماضي فلا يمكن أن تثير سؤالا إلا و كانت الإجابة مقارنة الحاضر (الحي الجديد) بالماضي الجميل الخالي من العيوب الماضي الهادئ حيث العلاقات قوية و التفاهم أساس الجيرة، فالسكان يرجعون سبب استعمالهم لبعض المرافق دون الإحساس بالانتماء راجع لأسباب منها "الضرورة" كقول عمي عثمان أنه كبير السن و لا يمكنه الانتقال للقصة لقضاء وقته بها، إذن هناك أسباب متعلقة بالسن أي أن سن بعض السكان الجدد المرحلون كبير ما يجعل ذهابه و إيابه للقصة أمر مستصعب فكان الحل الجلوس بالحدائق القريبة من الحي، و لكن دون تعلقه عاطفيا بذلك المكان و يظهر ذلك من خلال كلامه عن جمال حدائق القصة و أزهار الياسمين في كل دار و دويرة و التي تزيد من جمال و بهاء الأزقة. و السبب الآخر كونهم "أقلية" مقارنة بالسكان الآخرون ما يجعلهم لا يملكون السلطة بهذه الأحياء و لا يسمع صوتهم (يد وحدة ما تصفقس. خطاب أحد المبحوثين)، لذلك يستغلون بعض المرافق الضرورية عمليا فقط كاستخدام الدكاكين و الأسواق لشراء الأغراض و المساحات الخضراء لقضاء وقت للراحة موقف السيارات لركن السيارة...الخ

إن سكان القصة القدماء و المرحلون إلى أحياء جديدة" بالضفة الخضراء أو الثنية " لا يشعرون بالانتماء إلى الأحياء الجديدة عند استخدامهم للمرافق العامة و هذا راجع لعدة أسباب منها أولا أن " المجال الجديد غريب " عنهم من ناحية أنه لا يعكس نمطهم المعيشي الذي تعودوا عليه بالأحياء القديمة، ما يجعل التعامل مع هذا المجال لتلبية الضروريات فقط، ثانيا "الحنين إلى الماضي " و ذكرياته يعيق عملية الشعور بالانتماء للأحياء الجديدة، ثالثا "المقارنة المستمرة بين الماضي و الحاضر " يخلق حاجزا عميقا لا يسمح بالسكان القدماء الانتقال إلى الطرف الآخر من الحاجز أي إلى محاولة التعايش و التكيف مع الأحياء الجديدة و عيش الحاضر بكل ما يملكه عوض التمسك بذكريات الماضي، رابعا "الاختلاف الثقافي حيث "

أن سكان القصبة القدماء معروفون بتمسكهم القوي بالقيم و العادات و الممارسات الثقافية و الاجتماعية و يولون لها أهمية كبيرة و يتجلى ذلك من خلال الاحتفال بكل المناسبات الدينية و الاجتماعية و الثقافية بالإضافة فهي تمثل جزء من هويتهم الجماعية، بينما نجد في الأحياء الجديدة عدم الاهتمام المتزايد بإحياء العادات و القيم و الاحتفال بكل مناسبة و عدم وجود شيء يجمع جميع السكان فيما بينهم، فعلى سبيل المثال في شهر رمضان يبدأ سكان القصبة بالتحضير له أسابيع قبل حلوله كتجيير الجدران و غسل الزنيقات و صنع ماء الزهر حيث يقول أحد المبحوثين: " رمضان عندو ماليه ما شي هادو اللي نهار كامل ادربو علخبة و على شكاره حليب حنا لمرأة هي لدير كلشي قبل رمضان بيامات تبدا تحضر في الطوماطيش تقورها ديرها في بلارة و تزيدلها الزيت باش ما تقراضش المقطفة ايديروها في الدار الديول النسا اللي يحضروهم الشربات تخدم في الدار ...درك كلش يشريوه ما فهمنا والو...".

إن عدم تقبل السكان المرحلون من القصبة فكرة الانتقال إلى المجال الجديد حال دون تمكنهم من تقبل المكان و التكيف معه و بذلك العيش و التعامل بطريقة سطحية بكل ما هو موجود بهذه الأحياء لأنهم مقتنعون في أعماقهم بأنها ليست مجالهم الخاص بهم و أن الارتباط بذكريات القصبة العتيقة و أيامها الملجأ الوحيد لهم للهروب من الواقع المعاش.

3.3- تقبل البناء العمودي مع الشعور بالغربة :

الشعور بالغربة هو احساس داخلي عميق يشعر به الفرد نتيجة انفصاله و بعده عن مكان عيشه و عائلته و الأشخاص الذين يعرفهم فهو يولد بسبب إحساس الفرد بعدم انتمائه لذلك المكان و يجد صعوبة في التكيف و التواصل، فالعوامل المؤثرة في ذلك متعددة و مختلفة من فرد لآخر منها الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية، إذا ما حاولنا ربط هذه العوامل مع عينة بحثنا و المتمثلة في مجموعة السكان القدماء المرحلون نجد أن العوامل الاجتماعية محصورة في غياب شبكة العلاقات و التفاعلات المتكررة في الحياة اليومية و التي ينتجها التصميم الفريد من نوعه للعمارة القديمة بالقصبة كوسط الدار، الشرفات ذات الواجهة الداخلية و الأسطح المتلاصقة و الأسواق القريبة و الأزقة الضيقة المنعرجة، أي علاقة مكانية مجالية قوية قبل أن تكون علاقة جوارية عائلية، أما فيما يخص العوامل الثقافية فهي كل ما جعل ساكن القصبة مرتاحا داخليا و يجسد موروثه الحضري المتنوع على أرض الواقع من خلال الاحتفال بالمناسبات المختلفة و

الممارسات الاجتماعية كالتحضيرات الخاصة بشهر رمضان الكريم كتجيير الأزقة و الجدران و تعطيرها و تحضير الديول و المقطفة و الشربات المعروفة بها سكان القصبة و التي تقدم في الزواج و في صيام الطفل لأول مرة و استعدادات الحمام للعروس و سهرات الآلي بالنسبة للرجال و سهرات التجمعات النسائية بين الجيران و العائلات في وسط الدار و الأسطح لإقامة البوقلات و مناقشة الأمثال الشعبية المتعارف بها سكان القصبة، بالإضافة لضحكات الأطفال المتعالية من سماع الأساطير و الحكايات التي انبثقت من قصور و جدران القصبة، كل هذا و ذلك يجعل مجموعة السكان القدماء تصطدم بالمجال الجديد و يجعلها تتغلق على نفسها و تشكل نوع من القوقعة، تعيش من خلال مخيلتها مع أجواء الماضي السعيد للقصبة و جسديا موجودة في أحيائها الجديدة و تقتصر على إلقاء التحية و المعاملات الضرورية اليومية التي تفرضها التجمعات السكنية و البنايات العمودية، حيث يقول أحد المبحوثين : "كاين فرق بين البناية في القصبة و هنا القصبة بنايتها مسطحة نقصد رايحة دويرة قدام ختها متلاصقين و متقاربين و هذا زاد التعاملات مع الجيران و نتلاقوا في كل وقت في الدار و في الزنيقات و في السوق أما LES BATIMENTS جايين أفقيين أي عمودي الغاشي كاين و العلاقات إيجاب ربي و كل العقلیات تلقاهم هنا مختلفين ..."

من خلال الإحصائيات التي أسفرتها نتائج البحث وجدنا أن مجموعة السكان المرحلون إلى الأحياء الجديدة يتقبلون البنايات العمودية و لكن يرافقها إحساس بالاغتراب و البعد و الانفصال، حيث تشير نسب فئات التحليل إلى أن نسبة 23.98% من المبحوثين يشعرون بالغربة في مجالهم الجديد رغم أنهم تقبلوها للعيش فيها.

فالسكان المرحلون يفقدون لهويتهم المكانية المرتبطة بسكانهم بالمجال القديم بالقصبة،و التي كانت تحمل في طياتها ذكريات عملت على تكوين هويتهم، فانتهالهم إلى الأحياء الجديدة (أي إلى البنايات العمودية) يعني بالنسبة لهم فقدان لهويتهم.حيث يقول أحد المبحوثين: " كرحلونا on avait pas le choix قعدنا في هذ الحي الواحد اقول الحق البيوت كبار و كاين لتساع و لكن تحس بأنك غريب و براني على هذ المكان... هما كرحلونا مزقونا من أصولنا كما النخلة روح أنت و نحيها مجزورها مالحصرا و غرسها في الجبل في البرد تبدا شوي شوي تذبال و تموت نفس الشي قلعونا م les racines و حطونا هنا واش راكم تستناو رانا غير نتكمشوا و نذبلو بشويا" و تضيف مبحوثة قائلة: " ماولفناش المعيشة تاع les batiments حنا نحبو اللما و الغاشي و الجيران و القسرة و الفنا الدار و وسط الدار هنا ما قدرناش نوالفو راهم سنيين و سنيين جازوا و مازالنا نعانيو اذا ولادنا والفو حنا رانا نتألمو واحد ماسامع بنا...قعدت

القصبة حرقه في القلب لوكان عاودو خدمو الدويرات و خلونا فيها تقعد لماليها ما يدخلوهاش براوية يخربوها و يكسروها...".

إن طريقة الحياة بالعمارة تختلف عن طريقة الحياة بالدار و الدويرات بالقصبة حيث يشجع نمط البناية التقليدية على الاحتكاك و التفاعل اليومي و يشجع علاقات الجيرة فالتغيير الجذري بين التصميمين يؤدي إلى صدمة المرحلون يليها شعور بالغربة و الانفصال و العزلة، يقول سي أرزقي: "ماقدرناش نعيشو هنا الوقت اللي حتم علينا وين نروحو الحمد لله على كل حال حنا عشنا في القصبة و نقعدو تابعين للقصبة...ننتمو ليها هي اللي ردتنا و عاشت كل صغيرة و كبيرة لكان يهدرو الجدران لكان راهم يحكيو على يامات زمان" شعور المرحلون بالغربة لأنهم لا يريدون الانتماء إلى هذه الأحياء الجديدة بل يريدون البقاء منتمون لحيهم القديم بالقصبة.

"ماذا يعني أن تنتمي إلى مكان ما، أن تعلن أنك من منطقة، من بلدية، من حي؟ يؤكد Luc (1997) Gwiazdzinski، الشعور بالانتماء مسألة أساسية في التفكير حول الأقاليم: "التفكير في الشعور بالانتماء يعني طرح السؤالين التاليين : إلى أي مجال، إلى أي إقليم أنتمي، من أين أتيت؟ و ما الذي يولد هذا الشعور بالانتماء؟" ¹ يشير مضمون ما قاله G.Luc إلى إظهار مفهوم الانتماء إلى مكان معين سواء أكان صغيرا كالحى الذي نقضي فيه معظم وقتنا و نعيش فيه حياتنا أو كبيرا كالمدينة التي تظمني و تعبر عن وجودي، إذا قلت لك أنني ابن القصبة فهذا له معنى قوي أنني من مدينة قديمة عريقة يتخيل لك مباشرة ذلك التاريخ العظيم الذي أنتمي إليه و أفخر به، و إذا أخبرتك أنني من زنيقة سيدي محمد شريف أو بير جباح فهذا يعني أنني أمثل قلب الحى أمثل سكان تلك الزنيقة بالتربية الحسنة و الكرم و الحرمة و احترام الكبير و الصغير و التآزر و التراحم و التعاون...الخ و هي سمة أساسية في كل زنيقات القصبة من القصبة العليا إلى القصبة السفلى، كما طرح أيضا الكاتب تساؤلات حول ما الذي يجعلنا نحس بالانتماء إلى مكان معين؟ و ما الذي يساهم في تشكيل هذا الإحساس؟ فالسؤال حول الانتماء يعتبر سؤالاً جوهرياً قصد فهم هويتنا و العلاقة التي تجمعنا بالمكان الذي نعيش فيه، فالانتماء إلى شيء ما إلى مجال معين يعني أنني موجود و هذا الانتماء يوفر لي العديد من المزايا، من بينها أنني أملك هوية فهو يساعدنا على بناء هوية و معرفة من نكون و من أين أتينا و ما هي جذورنا، كما يضمن لي الإحساس بالأمان فانتماي لمكان معين و معرفتي الحقيقية به يجعلني أحس بنوع من الأمان بين جدرانه، كما يساهم في تقوية شبكة العلاقات

¹ Guérin-Pace, France : **Sentiment d'appartenance et territoires identitaires** , L'Espace géographique, 2006/4 Tome 35, 2006. p.298-308. CAIRN.INFO, shs.cairn.info/revue-espace-geographique-2006-4-page-298?lang=fr.

التي أتكى عليها و تدعمني في حياتي اليومية و يبعث فيا الحافز الذي يدفعني للمشاركة في تطوير حيي و بناء مجتمع متماسك.

4.3- المشاركة السطحية في الأنشطة الاجتماعية :

يشير مفهوم الأنشطة الاجتماعية إلى الأعمال و الممارسات التي يقوم بها الفرد داخل الجماعة التي ينتمي إليها و إلى المجتمع ككل، و بالمشاركة فيها يتمكن الفرد من نسج علاقات مع غيره و تبادل الأفكار معهم فهي تشمل عدة مجالات متنوعة و هي أنواع منها التطوعية، الدينية، التعليمية، الاجتماعية والثقافية، و تتمثل أهميتها في أنها تسهم في تقوية العلاقات و الروابط بين الأفراد و العائلات، إنشاء علاقات صداقة، الحد من الشعور بالبعد، دعم الثقة بالنفس...الخ

إن مشاركة السكان المرحلون من القصة في الأعمال و الأنشطة الاجتماعية بشكل سطحي و ظاهري في المجال الجديد عبر عنه بنسبة 19.39% في تكرارات خطاباتهم حول التعايش و التكيف الظاهري و الذي يجيب على الفرضية الثالثة حول مؤشرات تمسك السكان الأصليين بالقصة العتيقة، فسلوك المجموعة هذا له أبعاد متعددة و عوامل متداخلة منها أولا الاجتماعية، ثانيا الثقافية و ثالثا النفسية، حيث أن التمسك القوي بالمجال القديم جعل المشاركة في الأحياء الجديدة تكون بشكل سطحي، حيث تطرق Erving Goffman إلى ما يسمى Interaction order أي العروض الاجتماعية حيث العلاقات تكون بطريقة مؤقتة و شكلية دون الارتكاز على روابط عميقة، كما تحدث أيضا عن التفاعلات الاجتماعية التي يرى أنها مسرحية يقوم الأفراد فيها ببعض الأدوار المحددة.

هنا يمكن القول أن المرحلون إلى الأحياء الجديدة يمكن أن يلجأوا إلى أداء بعض الأدوار السطحية و عدم التعمق في المعاملات و المشاركات اليومية كبدائية فقط قصد تعلم القوانين و القواعد المعمول بها في المجال الجديد، فالتفاعل الاجتماعي يمكن اعتباره مسرحا يقوم فيه المرحلون بتأدية أدوار معينة و المشاركة فيها بناء على ما هو محيط بهم و المعمول به في المجال الجديد ففي إطار هذا المفهوم العرض الذاتي يقوم السكان بعرض أنفسهم على أساس ما هو موجود في هذا المجال أي اعطاء الانطباع الذي يريده المحيطين بهم رؤيته دون التعمق أكثر إلى درجة نسج شبكة علاقات قوية أو التعمق في التفاعلات و المشاركة، ففي هذه المرحلة كبدائية المرحلون مضطرون للمشاركة السطحية في بعض الأنشطة الاجتماعية

و ذلك بأداء بعض الأدوار السطحية من أجل التعبير على وجودهم و جعل الآخر يراه و أنه يشغل جزء من المجال الجديد، يقول عمي كريم: " malgré ما عجبناش الحال هنا و لكن لازم نقعدو ما كاش وين نروحو... S'il y a un problème dans l'immeuble, comme une fuite d'eau, coupure d'électricité, des problèmes de propreté de l'immeuble. لكن نقولك ممبعد نقعدو نقسرو و نجيبوا كف كف نهار و يجي عندي و نروح عندو هذي non impossible " نتعاملوا مع الجيران هنا بالملزوم الواحد ما يزيد ما ينقص " .

إن دلالات خطاب المبحوثين توحى إلى رغبتهم في فرض وجودهم و أنهم يستغلون فضاء من هذا الحي، و في نفس الوقت رغبتهم في وضع حدود لعلاقتهم مع جيرانهم إذ يقتصر التعاون في حل بعض مشاكل المبنى التي تعني الجميع (كانهقطاع الكهرباء، النظافة...) دون الاستمرار و الدخول في علاقات عميقة لدرجة جعلها صداقة، هذا السلوك المعبر عنه من قبل المبحوثين راجع لعدة أسباب من ضمنها أن السكان المرحلون متعودون على نمط الحياة بالمساكن القديمة ذو الطابع الحميمي فتقارب المساكن و الدويرات بالإضافة إلى وجود مساحات تسمح بتجمع العائلات و الجيران تؤدي إلى جعل شبكة العلاقات أكثر قوة و أكثر عمقا و انسجاما، بينما المساكن الجديدة (البنايات العمودية) يطغى عليها الطابع السطحي و المحدودية في التعاملات و العلاقات و غالبا ما تسودها الفردانية، و تقتصر على التفاعلات الضرورية كاللقاء التحية و السلام و حل المشاكل الداخلية للمبنى أو المحيطة به، بالإضافة إلى أن هذا النمط من المباني يضم أحيانا مزيج من السكان ذوي خلفيات اجتماعية مختلفة ما يجعل التوافق و مرور الرسالة و الحوار أمر صعب.

فبصفة عامة يمكن القول أن السكنات القديمة تعزز الشعور بالحميمية و تزيد من التعمق في العلاقات و التفاعلات بين السكان بينما تصميم السكنات العمودية يعزز الخصوصية ما يزيد من إحساس الساكن بالوحدة و العزلة.

فظاهرة المشاركة السطحية في الأنشطة الاجتماعية مسألة مهمة تحتاج إلى التحليل و توجيه النظر إليها لأن الوحيد الذي يعاني في هذه الحالة هم السكان الأصليون للقصبة العتيقة و المرحلون إلى أحياء جديدة، دون الأخذ بعين الاعتبار لا التصميم المعماري لا التقارب المجالي لا الذاكرة الجماعية لسكانها و لا الهوية الحضرية التي يتميز بها سكان القصبة عن غيرهم من السكان ، و هي سمة خاصة فقط بمن يعيش بالمدن العريقة، فكم من قصبة موجودة بالجزائر العاصمة حتى لا تليها الحكومات المعنية الاهتمام

اللازم؟ لما نقول الاهتمام لا يكون فقط بترميم جدران القسبة كمبنى و مجال و تجريدها من سكانها، فمن الذي يعطي تلك السمة الحضريّة و يجعلها حيا عريقا؟ بالطبع الساكن هو من يضيف تلك الحيويّة لأحيائها من خلال اللهجة المعروفة بها و الأمثال المتداولة و الحكايات و الأساطير القديمة و إحياء العادات و التقاليد و القيم الموروثة و المتوارثة من خلال الاحتفالات و كذا من خلال تجسيدها على أرض الواقع، و من خلال الحايك الذي لا تزال بعض النساء القلة فقط من ترتديه و تزيدنها جمالا و أصالة و تميزا و يمنحها إحساس بالفخر و الانتماء إلى حي عريق.

إذا كان المرحلون ينتمون بقوة إلى القسبة و لا يزالون في ذاكرتهم الجماعية مستمرون في هذا الانتماء، فكيف لفرد أن ينتمي نفسيا و اجتماعيا إلى مجالين متناقضين في نفس الوقت؟ فكان الحل لدى هذه المجموعة من السكان التعامل سطحيا مع المجال الجديد و المشاركة ظاهريا فيه و البقاء وفيما متمسكا بالحي القديم عبر الذاكرة المثالية الذي يجسده الحنين.

خلاصة الفصل

تعتبر الأماكن القديمة (المجال القديم) شواهد على تاريخنا و حضارتنا، فهي متجذرة في الزمن و تحمل في طياتها مجموعة من التجارب و المواقف الراسخة في الذاكرة الجماعية و التي تشكل هوية سكانها، إن تعلق سكان القسبة المرحلون بالمجال القديم و انغراسهم القوي فيه عرقل عملية الاندماج الاجتماعي القوي بالمجال الجديد سواء " بالثنية أو الضفة الخضراء " ، و لقد عبروا عن ذلك من خلال عدة فئات و المتمثلة في "إعادة تسمية الحي الجديد، رفض بناء هوية جديدة ، محاولات الرجوع إلى القسبة و الحنين إلى الحي القديم" تعبيرا منهم عن تمسكهم الشديد بهويتهم الحضريّة.

فلقد عني موضوع "المكان و الهوية" باهتمام العديد من علماء الاجتماع حيث كتبوا و أجادوا في هذا الحقل الواسع و ساهموا في إثرائه، من بينهم Henri Lefebvre و Antonio Gramsci حيث تطرق "هنري لفرب" إلى "موضوع المكان كبناء اجتماعي وهوية" و يرى أن المكان لا يعتبر فقط إطارا ماديا و انما هو عبارة عن بناء اجتماعي يتكون من خلال التفاعلات الاجتماعية و التفاعلات الثقافية، كما يعتبر المكان في نظره بمثابة مرآة تعكس هوية الأفراد في المجتمع و هو يحمل في أعماقه تاريخ و قيم و عادات و تقاليد ذلك المجتمع، كما أشار Lefebvre إلى أن المكان يعمل على بناء الهوية مع مرور الزمن،

فالعلاقة التي تربط سكان القصبة بحيهم تتعدى كل التصورات و أحسن دليل هو نقل التسمية معهم بعد رحيلهم الى الأحياء الجديدة، فهذه التسمية "القصبة" تمثل رمز للهوية الجماعية و تحفظ التراث بشقيه المادي و المعنوي و تربط السكان بأجدادهم و تجعلهم يشعرون بالانتماء إلى ماض و مجتمع عريق.

إن المقارنة بين الماضي البعيد و الحاضر المعاش لا يسمح للسكان المرحلون بالتكيف التام مع واقعهم في الحاضر إذ أن الارتباط بالماضي و التمسك به و التركيز المفرط عليه يجعلهم عالقين في ذكرياتهم الماضية، و يعيق بذلك عملية التكيف و كذا قدرتهم على تقبل الانتقال و التغيرات التي طرأت على حياتهم، بالإضافة إلى احساسهم بالغربة بالأحياء الجديدة يمنعه من بناء روابط و علاقات اجتماعية عميقة مع الجيران أولاً و مع المكان ثانياً، و كذا الخوف من المجهول يجعلهم ينسجون علاقات سطحية مع الغير.

يواجه المرحلون صعوبة التكيف مع المجال الجديد، التكيف ثم الاندماج على جميع الأصعدة،حيث يحاولون جعل المحيط الجديد يعبر عن ميولاتهم و عن هويتهم فيسعون بذلك إلى محاولة إمتلاك بعض المجالات لتصبح خاصة بهم و جزءا منهم، هذه العملية ليست مجرد تغيير مجالي بل هي في نفس الوقت انتاج و اختراع لهوية جديدة تتيح لهم التفاعل و نسج شبكة علاقات و روابط مع السكان المحليين بالأحياء الجديدة..

تكيف أم اندماج،أيهما أولى بالأحياء الجديدة؟

التكيف أولاً: حاول المرحلون التكيف بعد وصولهم مع المجال الجديد و ذلك من خلال:

- محاولة اقناع أنفسهم بتقبل المجال الجديد تقبلاً داخلياً لأنها خطوة مهمة للاحساس بالراحة ثم استيعاب بعد ذلك الاختلافات الموجودة بين المجالين.
- التعرف على الأحياء الجديدة و كل ما يحيط بها و التعرف على الجيران، الأسواق، المدارس، المساجد..
- محاولة التكيف مع نمط الحياة الجديد حيث كانت الخدمات قريبة بحيهم القديم بالمركز مقارنة ببعد الخدمات بالحي الجديد.

➤ محاولة التكيف مع البنية التحتية المختلفة فالمرحلون من القصة لا يحتاجون في تنقلاتهم اليومية إلى وسائل النقل لأن كل الخدمات و المرافق و المستشفيات و الأسواق قريبة من المركز بينما في الأحياء الجديدة " الثنية و برج الكيفان " فوسائل النقل قليلة و بعيدة.

الاندماج ثانيا: بعد التكيف تلتها مباشرة مرحلة الاندماج السطحي و كان كالتالي:

- الاندماج من خلال بناء علاقات مع بعض الجيران و لو سطحية .
- المشاركة في بعض الأنشطة الاجتماعية و الثقافية و غيرها.
- استخدام بعض المرافق المتواجدة بالحي.

بعد انتقال السكان المرحلون من القصة إلى الأحياء الجديدة " برج الكيفان " و " الثنية " بدأوا أولا بتقبل الأحياء داخليا ثم سعو بعد ذلك للتكيف مع التغيرات الاجتماعية المحيطة بهم و محاولة فهمها ثم بعد ذلك انتقلوا إلى الخطوة الثانية و المتمثلة في مرحلة الاندماج و يظهر ذلك من خلال التفاعل و ربط علاقات مع الآخرين و لو سطحية و مع المجال الجديد .

في الأخير يمكن القول أنه على الرغم من الانغراس القوي لسكان القصة و تمسكهم بحيهم القديم لم يعرقل تماما عملية الاندماج الاجتماعي بالمجال الجديد، فهناك من السكان من تمكنوا من الاندماج و لو سطحيًا من خلال المشاركة في بعض الأنشطة و الخدمات و لو ظاهريًا بالإضافة إلى استعمال بعض المرافق المتواجدة بالحي الجديد.

الاستنتاج العام

الترحيل الإجباري للسكان يعتبر من أعقد التجارب التي قد تواجه الأفراد والمجتمعات إذ يعبر عن ظاهرة معقدة لها أبعاد مختلفة و تحديات نفسية، اجتماعية، و... عميقة فمن خلال تحليل نتائج دراستنا لهذه الظاهرة، يمكننا فهم كيفية تأثير الترحيل الإجباري على العلاقات الاجتماعية أولاً و على الهوية الجماعية ثانياً و على عملية التكيف و الاندماج ثالثاً ، سنستعرض أهم النتائج المتوصل إليها و كذا الجوانب المختلفة لعملية الترحيل الإجباري لسكان القصبة الى أحياء جديدة لا تمد بصلة للمجال القديم و اكتشاف مدى تمسك السكان بالمووروث الحضري من خلال اتخاذ استراتيجيات دفاعية للحفاظ على هويتهم الخاصة.

1. أثر الترحيل الإجباري على العلاقات الاجتماعية

إن ركيزة العلاقات الاجتماعية في أي مجتمع يمكن أن تنطلق من التفاعل الاجتماعي الذي يعتبر عملية أساسية في بناء الهويات داخل الأحياء و الجماعات، حيث يعمل التفاعل الاجتماعي على اكتساب الفرد للقيم و المعايير الاجتماعية و ترسيخها فمثلاً يرى G.Herbert Mead الذي يعتبر من مؤسسي مدرسة التفاعلية الرمزية و الذي تحدث عن الدور الذي يلعبه التفاعل الاجتماعي في تكوين هوية الذاتية للأفراد حيث يرى في تحليله أن الفرد ينمي ذاته من خلال التفاعل الاجتماعي مع الآخرين، و من هنا نلاحظ أن النظام الاجتماعي يبنى من خلال التفاعلات اليومية بين الأفراد في الأحياء فهو لا يفرض من الخارج كما أن الأفراد يمكنهم إعادة إنتاج النظام في كل مرة يتفاعلون فيه. "يتطور مفهوم التفاعل حول فكرة أن الأفراد هم الذين يخلقون النظام الاجتماعي من خلال تفاعلاتهم اليومية، وليس التفاعلات التي يحكمها نظام خارجي يفرض نفسه على المشاركين ومن هنا يتطور الاهتمام بملاحظة الممارسات الاجتماعية بطريقة المعتادة"¹.

العلاقات الاجتماعية متأصلة و راسخة بعمق في الأحياء القديمة بحيث تعتبر المساعدات و الإعانات التي يقدمها الأقارب والجيران و الأصدقاء جزءاً مهماً من رأس المال الاجتماعي و لكن مع ترحيل السكان القدماء من أحيائهم العريقة ظهرت بعض الصعوبات في الحفاظ على هاته العلاقات ، و يعود ذلك الى أن

¹ Traverso, Véronique : **Interaction** , Les concepts en sciences infirmières 2ème édition, Association de Recherche en Soins Infirmiers, 2012. p.208-209. CAIRN.INFO, stm.cairn.info/concepts-en-sciences-infirmieres-2eme-edition--9782953331134-page-208?lang=fr.

الاحياء الجديدة تفتقر الى المساحات التي تسمح بالتفاعل و الاحتكاك اليومي بين الجيران و الأقارب و العائلات فهاته الاحياء لا تعكس هويتهم و تاريخهم العريق ما يؤدي الى ضعف و نقص التفاعل بين السكان.

و يمكن أيضا تفسير هذا الضعف و الانخفاض في التفاعل الاجتماعي للسكان الأصليين للقصبة من خلال العلاقة القوية الموجودة بين الهوية و الماضي فالمجموعات المرحلة تجد صعوبة في التفاعل كونها تشعر بأن المجال الجديد لا يعكس هويته و قيمه المتجذرة و المتأصلة في الماضي ولكن مع مرور الزمن يمكن لهاته المجموعة التكيف تدريجيا و ذلك عبر إيجاد توازن بين ماضيهم و الحاضر المعاش و يحاولون بذلك اختراع عناصر جديدة تساعد على بناء هوية عامة و أكثر ملاءمة مما يساعدهم على بناء روابط اجتماعية جديدة في المجال الجديد دون التخلي عن هويتهم الأصلية.

2. خلق توازن بين الحفاظ على العادات و الاندماج بالأحياء الجديدة

إعادة إسكان العائلات لا ينجر عنه دائما التخلي عن العادات الاجتماعية والثقافية للسكان الأصليين في م مجالهم الجديد عكس ذلك لوحظ في العديد من الحالات تشبث واستمرارية المرحليين في ممارساتهم التقليدية و أحسن مثال سكان القصبة المرحلون، حيث تعتبر العادات الاجتماعية ضرورية في حياة الأفراد والمجتمعات و تلعب دورا أساسيا في تشكيل العلاقات بين الأفراد و تنظيم حياتهم، فهي مجموعة من السلوكيات والممارسات التي يمارسها الأفراد في حياتهم اليومية كالاحتفال بالمناسبات الدينية أو العائلية و طريقة اللباس و الطقوس المتبعة في الزواج و الأكلات التقليدية و هي تنبع من القيم والمعتقدات السائدة في ذلك المجتمع فهاته العادات تورث من جيل إلى جيل وتعتبر جزء من هوية المجتمع وثقافته و تعمل على تقوية التماسك الاجتماعي بين أفراد.

إن تمسك السكان القدماء بالعادات و التقاليد و الممارسات الاجتماعية التقليدية و محاولة تجسيدها بالأحياء الجديدة، دليل على محاولة هذه المجموعة تحقيق نوع من التوازن بين الاندماج في المجال الجديد و المحافظة على موروثهم الاجتماعي ، كما أن استمرار العادات الاجتماعية تمنح السكان القدماء إحساسا بالاستقرار و تعطي لحياتهم معنى، فهي تمثل بالنسبة لهم رابط معنوي يربطهم بماضيهم و بجذورهم في المجال الجديد، و هنا يمكننا القول أن إعادة إحياء العادات و التقاليد ليست مجرد سلوكيات و ممارسات عشوائية و انما هي وسيلة يستعملها السكان القدماء للتعبير عن ذاتهم من أجل الاستمرار في تجسيد هويتهم

الجماعية التي تميزهم عن غيرهم بالمجال الجديد، يمكننا القول إن إعادة إنتاج الممارسات الاجتماعية بالأحياء الجديدة هو ضرورة للحفاظ على الهوية الحضرية.

أحد الجوانب اللافتة في ظاهرة الترحيل الإلزامي محل بحثنا هو تمسك المرحلين بعاداتهم وتقاليدهم القديمة على الرغم من انتقالهم إلى أحياء مختلفة تماما عن أحيائهم الأصلية إلا أن هذه المجموعة من السكان لم يتخلوا عن ممارساتهم الثقافية التي تشكل جزء لا يتجزأ من هويتهم الحضرية و لكن نجد عكس ذلك فلقد حاولو تطبيق هذه العادات و التقاليد و القيم في الأحياء الجديدة ما جعلهم يحسون بنوع من الاستقرار النفسي والاجتماعي.

3. نقل التسمية و انتاج قصبات وهمية

ان السكان المرحلون لم يكتفوا بنقل العادات و التقاليد و إعادة احيائها في الأحياء الجديدة (و لو جزءا منها) بل سعوا أيضا إلى تعديل المجال الجديد ليتناسب مع هويتهم و يظهر ذلك من خلال تغيير تسمية الاحياء الجديدة إلى أسماء تبرز ثقافتهم الأصلية ، حيث تم إطلاق اسم غير رسمي " القصبة " على كل من الضفة الخضراء المسماة رسميا بـ " حي حميد و محمودي " و على أحياء الثنية المسماة " حي 20 أوت 1955" هذا تعبيراً منهم عن رفضهم الانقطاع عن قصبة الأم ، و تغيير التسميات ما هو إلا تعبيراً منهم عن الاستمرارية و قوة العلاقة الموجودة بين المجال و الهوية ، فالتسميات التي نطلقها على بعض الأماكن ليست مجرد رموز و معان و مدلولات بل تتعداه لتعبر عن طريقة للحفاظ على الموروث الحضري من الاندثار و في نفس الوقت تأكيداً للهوية المشتركة و تعتبر كذلك وسيلة يعبر بها المرحلون عن انتمائهم لتاريخ مجيد و ذاكرة جماعية .

كما حاولت أيضا المجموعة المرحلة إضفاء الطابع الرمزي على التسميات التي أطلقتها على الأحياء الجديدة و لهذا دلالات سوسيولوجية تتمثل في:

أولاً: استمرارية الهوية المجالية و ذلك من خلال الاستمرارية في استعمال نفس التسمية المكانية أو المجالية للأحياء الجديدة " القصبة " و هذا دليل على وجود علاقة قوية بين الهوية الاجتماعية و الفضاء المكاني الذي أشارت إليه S. Gravereau و آخرون في مقال بعنوان " الأصول المكانية والانتماءات الاجتماعية " يحلل المقال العلاقة الموجودة بين المكان و الانتماءات الاجتماعية و كيف أن هذا المجال المكاني يساعد على تكوين الهويات الفردية و الهويات الجماعية،

حيث يستعرض و يناقش الأصول المكانية كعنصر مهم للهوية و دور هذه الأصول في تحديد هوية الأفراد الاجتماعية و هنا في مضمون بحثنا سكان القصبة القدماء يحاولون اثبات وجودهم بالأحياء الجديدة من خلال أصولهم الجغرافية و المكان الذي نشأت فيه هذه المجموعة من السكان و المرتبطة بتجاربههم و ذكرياتهم فهي تمثل جذورهم العميقة المنغرسه في أعماق التراث.

ثانيا: الصلة بين الانتماء الاجتماعي والانتماء المكاني حيث توجد علاقة وطيدة بين المفهومين فانتفاء المرحلون لحي القصبة يعمل على تقوية احساسهم بهويتهم، و هو ما يسمى ببساطة " الهوية المكانية" حيث يكون الساكن متصل و مرتبط بتاريخه و موروته المجالي أو المكاني.

ثالثا: " الحي " كمصدر اجتماعي بالنسبة لسكان القصبة فهو يحمل رموز و معان لها علاقة بتاريخهم و ذكرياتهم فاستعمالهم لنفس التسمية القديمة في الأحياء الجديدة ما هي إلا طريقة لدعم مكانتهم الاجتماعية المعروفون بها و كذا تعزيز هويتهم الجماعية و استمراريتها بهذه الأحياء.

إن المكان الذي نعيش فيه ليس عنصرا ماديا فقط و لكن له خلفيات أعمق مرتبطة بالتاريخ و العاطفة فالساكن قد يتعرض للحركة في مسيرته الحياتية و هذا سيؤثر على نظرته للمكان الذي عاش فيه إذ يصبح الحنين له أكثر قوة بعد رحيله، كما أن الارتباط بمكان ذا جذور تاريخية معروفة يمنح الساكن مكانة اجتماعية عالية و يضفي مزيدا من التقدير و الاحترام على صورته في الحي الجديد

4. التعلق بالماضي البعيد و صعوبات التكيف

رغم الجهود المبذولة من قبل السكان المرحلون من القصبة لإعادة بناء الهوية الاجتماعية و الثقافية لكن يبقى التعلق بالماضي البعيد عائقا أساسيا أمام التكيف الكامل لهذه المجموعة حيث يميل السكان المرحلون إلى الاحتفاظ بذكرياتهم بالأحياء القديمة من خلال الحنين القوي و المستمر إليها و هذا يخلق لديهم احساسا بالغربة في الأحياء الجديدة ، فهذا التعلق بالماضي يعيق عملية بناء علاقات اجتماعية متينة مع السكان بالأحياء الجديدة سواء " الثنية أو برج الكيفان " حيث هذه العلاقات تقتصر في غالب الوقت على المشاركة السطحية و الظاهرية في بعض الأنشطة الاجتماعية الضرورية.

زيادة على ذلك فان هذا الاختلاف الكبير بين المجال القديم و المجال الجديد يزيد من صعوبة التكيف في الأحياء الجديدة ففي " القصبة العتيقة" التصميم المعماري يعتمد في تهيئته على ترك مساحات للتفاعل و الالتقاء مثل " الأسطح، وسط الدار ، الزينقات الضيقة، الأسواق..." ما يزيد من تفاعل السكان و الجيران

و العائلات فيما بينهم فيخلق جو عائلي تضامني و متعاون، بينما البنايات ذات الطابع العمودي لا تركز على التفاعل الاجتماعي أو خلق مساحات شاسعة للالتقاء بل يكمن هدفها الأساسي في تحقيق وظائف عملية مثل "الإيواء" و ذلك بأقل مساحة ممكنة و هذا التصميم ينقص من التفاعلات بين السكان و الجيران و يضعف فرص الالتقاء الكثيفة مما يجعل العلاقات تتسم بالسطحية و أحيانا محدودة مقارنة بالأحياء ذات طابع معماري تقليدي و الذي يشجع اللقاءات و التواصل المستمر و اليومي بين الجيران و العائلات.

5. استراتيجية السكان للتكيف التدريجي

رغم كل الصعوبات و العقبات إلا أن قدرة السكان المرحلين من القصة على التكيف التدريجي بالأحياء الجديدة تظهر من خلال تطبيق استراتيجيات مختلفة و المتمثلة في "إعادة تسمية الحي الجديد، رفض بناء هوية جديدة ، محاولات الرجوع إلى القصة و الحنين إلى الحي القديم" تعبيرا منهم عن تمسكهم الشديد بهويتهم الحضرية.

يواجه المرحلون صعوبة التكيف مع المجال الجديد، التكيف ثم الاندماج على جميع الأصعدة، حيث يحاولون جعل المحيط الجديد يعبر عن ميولاتهم و عن هويتهم فيسعون بذلك إلى محاولة إمتلاك بعض المجالات لتصبح خاصة بهم و جزءا منهم، هذه العملية ليست مجرد تغيير مجالي بل هي في نفس الوقت انتاج و اختراع لهوية جديدة تتيح لهم التفاعل و نسج شبكة علاقات و روابط مع السكان المحليين بالأحياء الجديدة،.

تكيف أم اندماج، أيهما أولى بالأحياء الجديدة؟

التكيف أولا: حاول المرحلون التكيف بعد وصولهم مع المجال الجديد و ذلك من خلال

➤ محاولة اقناع أنفسهم بتقبل المجال الجديد تقبلا داخليا لأنها خطوة مهمة للاحساس بالراحة ثم

استيعاب بعد ذلك الاختلافات الموجودة بين المجالين.

➤ التعرف على الأحياء الجديدة و كل ما يحيط بها و التعرف على

الجيران، الأسواق، المدارس، المساجد..

➤ محاولة التكيف مع نمط الحياة الجديد حيث كانت الخدمات قريبة بجيهم القديم بالمركز مقارنة ببعد الخدمات بالحي الجديد.

➤ محاولة التكيف مع البنية التحتية المختلفة فالمرحلون من القصة لا يحتاجون في تنقلاتهم اليومية إلى وسائل النقل لأن كل الخدمات و المرافق و المستشفيات و الأسواق قريبة من المركز بينما في الأحياء الجديدة" الثانية و برج الكيفان " فوسائل النقل قليلة و بعيدة.

الاندماج ثانيا: بعد التكيف تلتها مباشرة مرحلة الاندماج السطحي و كان كالتالي:

➤ الاندماج من خلال بناء علاقات مع بعض الجيران و لو سطحية .

➤ المشاركة في بعض الأنشطة الاجتماعية و الثقافية و غيرها.

➤ استخدام بعض المرافق المتواجدة بالحي.

بعد انتقال السكان المرحلون من القصة إلى الأحياء الجديدة " برج الكيفان " و " الثانية " بدأوا أولا بتقبل الأحياء داخليا ثم سعو بعد ذلك للتكيف مع التغيرات الاجتماعية المحيطة بهم و محاولة فهمها ثم بعد ذلك انتقلوا إلى الخطوة الثانية و المتمثلة في مرحلة الاندماج و يظهر ذلك من خلال التفاعل و ربط علاقات مع الآخرين و لو سطحية و مع المجال الجديد .

في الأخير يمكن القول أنه على الرغم من الانغراس القوي لسكان القصة و تمسكهم بجيهم القديم لم يعرقل تماما عملية الاندماج الاجتماعي بالمجال الجديد، فهناك من السكان من تمكنوا من الاندماج و لو سطحيًا من خلال المشاركة في بعض الأنشطة و الخدمات و لو ظاهريًا بالإضافة إلى استعمال بعض المرافق المتواجدة بالحي الجديد.

من خلال دراسة ظاهرة الترحيل الاجباري للسكان القدماء بالقصة الى أحياء جديدة من مناطق مختلفة تظهر لنا مدى قوة الهوية الحضرية ، الثقافية و الاجتماعية لهذه المجموعة من السكان في مواجهة التغيرات العميقة رغم العوائق الكبيرة التي يواجهها إلا أنهم يظهرون امكانات مميزة على التكيف مع المجال الجديد مع الحفاظ على موروثهم الحضاري ان هذه التجربة تقدم درسا مهما حول أهمية توفير محيط محفز يأخذ بعين الاعتبار السمات المميزة للمجموعة المرحلة مما يسهل عملية اندماجهم و خلق مجتمعات يسودها التنوع و الانسجام مع الحفاظ على الهوية الجماعية، كما أن إعادة تسمية الأحياء و بعض المناطق له دور جوهري في تنمية احساس الفرد و الجماعة بالانتماء و بقوة الهوية فهي تعطي نوع من الشعور يجعل

المجال الجديد يظهر و كأنه مألوف لدى المجموعة و يساهم بذلك في تقوية العلاقات و الروابط و يسهل عملية اندماج الفرد في هذه الأحياء (في هذا المجال الجديد).

الخاتمة

تكشف هذه الدراسة عن التأثير العميق لعملية الترحيل الاجباري على النسيج الاجتماعي و الهوية الجماعية لسكان " القصبة " العتيقة ، فالانتقال إلى أحياء جديدة تفتقر إلى البنى الاجتماعية و الخصائص المعمارية التقليدية أدى الى اضعاف الاحتكاك و التفاعل اليومي بين الجيران، حيث واجه السكان المرحلون تحديات كبيرة في الحفاظ على رأس مالهم الاجتماعي في الاحياء الجديدة و هذا راجع لتمسكهم بموروثهم الحضاري من جهة و للارتباط الوثيق بين هويتهم و ماضيهم حيث أن الفضاءات الجديدة لم تعكس قيمهم و تراثهم مما أثر على قدرتهم على الاندماج و التفاعل في البداية عند وصولهم.

إن ركيزة العلاقات الاجتماعية في أي مجتمع يمكن أن تنطلق من التفاعل الاجتماعي الذي يعتبر عملية أساسية في بناء الهويات داخل الأحياء و الجماعات، حيث يعمل التفاعل الاجتماعي على اكتساب الفرد للقيم و المعايير الاجتماعية و ترسيخها

العلاقات الاجتماعية متأصلة و راسخة بعمق في الأحياء القديمة بحيث تعتبر المساعدات و الإعانات التي يقدمها الأقارب والجيران و الأصدقاء جزءا مهما من رأس المال الاجتماعي و لكن مع ترحيل السكان القدماء من أحيائهم العريقة ظهرت بعض الصعوبات في الحفاظ على هاته العلاقات ، و يعود ذلك الى أن الاحياء الجديدة تفتقر الى المساحات التي تسمح بالتفاعل و الاحتكاك اليومي بين الجيران و الأقارب و العائلات فهاته الاحياء لا تعكس هويتهم و تاريخهم العريق ما يؤدي الى ضعف و نقص التفاعل بين السكان.

إن تمسك السكان القدماء بالعادات و التقاليد و الممارسات الاجتماعية التقليدية و محاولة تجسيدها بالأحياء الجديدة، دليل على محاولة هذه المجموعة تحقيق نوع من التوازن بين الاندماج في المجال الجديد و المحافظة على موروثهم الاجتماعي ، كما أن استمرار العادات الاجتماعية تمنح السكان القدماء إحساسا بالاستقرار و تعطي لحياتهم معنى فهي تمثل بالنسبة لهم رابط معنوي يربطهم بماضيهم و بجذورهم في المجال الجديد، و هنا يمكننا القول أن إعادة إحياء العادات و التقاليد ليست مجرد سلوكات و ممارسات عشوائية و انما هي وسيلة يستعملها السكان القدماء للتعبير عن ذاتهم من أجل الاستمرار في تجسيد هويتهم الجماعية التي تميزهم عن غيرهم بالمجال الجديد

ان السكان المرحلون لم يكتفوا بنقل العادات و التقاليد و إعادة احيائها في الأحياء الجديدة (و لو جزءا منها) بل سعوا أيضا إلى تعديل المجال الجديد ليتناسب مع هويتهم و يظهر ذلك من خلال تغيير تسمية الاحياء الجديدة إلى أسماء تبرز ثقافتهم الأصلية ، حيث تم إطلاق اسم غير رسمي " القصبة " على كل أحياء " الضفة الخضراء " و على "أحياء الثنية " و هذا تعبيراً منهم عن رفضهم الانقطاع عن قصبة الأم ، و تغيير التسميات ما هو إلا تعبيراً منهم عن الاستمرارية و قوة العلاقة الموجودة بين المجال و الهوية ، فالتسميات التي نطلقها على بعض الأماكن ليست مجرد رموز و معان و مدلولات بل تتعداه لتعبر عن طريقة للحفاظ على الموروث الحضري من الاندثار و في نفس الوقت تأكيداً للهوية المشتركة و تعتبر كذلك وسيلة يعبر بها المرحلون عن انتمائهم لتاريخ مجيد و ذاكرة جماعية .

في الختام تبرز هذه الدراسة أهمية البعد الاجتماعي و الثقافي في عمليات الترحيل الاجباري و كذا في عملية التكيف إن قدرة السكان المرحلين على استثمار موروثهم الاجتماعي و الثقافي في إعادة بناء مجالات جديدة و إعادة تشكيل علاقاتهم الاجتماعية و حتى منح أماكن جديدة تسميات مستوحاة من ذاكرتهم تمثل دليلاً على صمودهم و نجاحهم على التغلب على المعوقات التي فرضها عليهم الترحيل الاجباري و تؤكد النتائج على ضرورة أخذ هذه الأبعاد بعين الاعتبار في أي سياسات أو تدخلات تتعلق بإعادة إسكان السكان و ترحيلهم الى أحياء و مناطق جديدة لضمان تكيفهم و اندماجهم بشكل أفضل و أكثر توازناً.

المراجع

قائمة المراجع باللغة العربية :

- الكتب

1. إبراهيم منصور محمد الياسين: إستحياء التراث في الشعر عصر الطوائف والمرابطين، عالم الكتب الحديث، أردن، ط3، 2006م.
2. ابراهيم نبيلة: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة، مصر، القاهرة.
3. أوسريز منور. أبوعافية رشيد: أسس منهجية البحث العلمي، المكتبة الجزائرية، بودواو، الجزائر، 2010.
4. برديانق نيقولاى: العزلة و المجتمع، ترجمة فؤاد كامل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982.
5. بوخوش عمار، محمد محمود: مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.
6. بومخلوف محمد: التوطين الصناعي وقضايا المعاصرة الفكرية و التنظيمية و العمرانية والتنمية، شركة دار الأمة، الطبعة الأولى، 2001.
7. زكي أحمد كمال: الأساطير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985.
8. زكي أحمد كمال: الأساطير، دراسة حضارية مقارنة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط2، 2000.
9. السويدي محمد: مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990.
10. السيد عبد العاطي السيد: علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري، الجزء الأول، دار المعرفة الجامعية، 2003.
11. شيلز ادوارد: التراث تأصيل و تحليل من منظور علم الاجتماع، ترجمة أحمد الجوهري وآخرون، مطبوعات مركز البحوث و الدراسات الاجتماعية، القاهرة، 2004.
12. عبد العزيز بن عثمان التويجري: التراث و الهوية، مطبعة الايسيسكو الرباط، المملكة المغربية، 1432هـ/2011م ط26.
13. العروي عبد الله : ثقافتنا في ضوء التاريخ، المركز الثقافي العربي، المغرب، بيروت، ط2، 1988.

14. غيث محمد عاطف: علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988.
15. الفصير عبد القادر: الهجرة من الريف إلى المدن، دراسة ميدانية اجتماعية عن الهجرة من الريف إلى المدن في المغرب، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1992.
16. محسن عبد الباسط: علم النفس الصناعي، مكتبة غريب، دار النشر القاهرة، 1989.
17. مسلم محمد: الهوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغربي الثاني بفرنسا، دار قرطبة، الجزائر، 1429هـ - 2009م.
18. هيرمان هيسه: الحكايات الخرافية، ترجمة أسامة أسبر، دارنينا، سوريا، دمشق، 2000.
19. يعلى فاروق : مقال حول مسألة السكن و الاندماج الاجتماعي للأسر النازحة في الوسط الحضري، جامعة سطيف 02، مجلة الدراسات و البحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد الخامس، فيفري 2014.

- الرسائل الجامعية

20. مرزوق سميرة : التمسك بالهوية و الروابط العائلية عند سكان القصبة القدماء ، رسالة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع الحضري ، جامعة الجزائر 2 - أبو القاسم سعد الله ، 2015-2016.
21. قرار كريم: أثار عمليات الترحيل على الاندماج الاجتماعي ، رسالة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة الجزائر 2 ، 2002-2003.
22. محمود وحيد محمود صيدم: إحياء القيمة المعمارية التراثية في العمارة المحلية المعاصرة - حالة دراسية - مدينة غزة - دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الهندسة المعمارية، الجامعة الإسلامية غزة، فلسطين/ 1434هـ - 2013م.

- المعاجم

23. صليبا جميل: المعجم الفلسفي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1 ، ج2 ، 1971.

24. منشيل: دنكن معجم العلوم الاجتماعية، ترجمة ، إحسان محمد الحسن، الطبعة الأولى، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر 1981 .

- مراجع أخرى

25. الدليل الإحصائي لولاية الجزائر لسنة 2020
26. الاحصاء العام للسكان و الاسكان 2008
27. احصائيات مكتب التهيئة والتعمير لبلدية برج الكيفان 2023
28. إحصائيات مكتب التهيئة و التعمير لبلدية الثنية (أكتوبر 2022)
29. مخطط الخريطة الإقليمية لفرص الاستثمار في بلديات ولاية بومرداس (Rappotr C.T.O.I wilaya de boumerdes fin 2022
30. المخطط التوجيهي للتهيئة و التعمير لبلدية الثنية 2022
31. مخطط شغل الاراضي pos 25 لبلدية برج الكيفان 2022
32. قسبة الجزائر: القطاعات المحفوظة بالارقام ، الوكالة الوطنية للقطاعات المحفوظة، 2017.

- مقابلات شفوية

33. صفار زيتون مدني ، أستاذ التعليم العالي بجامعة الجزائر 2 . مقابلة شفوية حول موضوع "اشكالية الاندماج في الاحياء الجديدة" بمخبر لزادات (مخبر التحليل السوسيوي- أنثربولوجي لتنمية الأقاليم). 2018/05/14.
34. العربي اشبودن، أستاذ التعليم العالي بجامعة الجزائر 2 . مقابلة شفوية حول موضوع " الحنين في المدينة القديمة" بمخبر لزادات (مخبر التحليل السوسيوي- أنثربولوجي لتنمية الأقاليم). 2018/04/02.
35. محمد بن مدور مختص في التاريخ. مقابلة شفوية دار عزيزة، الديوان الوطني لتسيير و استغلال الممتلكات الثقافية المحمية 2017/03/17 .

- المراجع باللغة الأجنبية

36. Alain Birou, Vocabulaire des sciences sociales ,éditions ouvrières, Paris, 1966.
37. Assmann, J: Collective Memory and Cultural Identity, New German Critique ,1995.
38. Béghain, Patrice : *Patrimoine, politique et société*. Sous la direction de Béghain Patrice. Presses de Sciences Po (P.F.N.S.P.), 2012, pp. 5-9. Chambart De Lawe : La fin des villes, Calnan, Levy, Paris, 1982.
39. Cailly, Laurent. et al. La France, une géographie urbaine. Paris, Armand Colin. « Collection U » 2010.
40. Coleman, J. S : Social Capital in the Creation of Human Capital. American Journal of Sociology, 1988.
41. Dib, Fatiha :Les prénoms arabes, Paris, Edition L'HARMATTAN, 1995.
42. Djaffar Lesbet : La casbah d'Alger ,Vide social et gestion urbaine , Alger ,OPU,1985.
43. Formarier, M. Traverso, V et al. Les concepts en sciences infirmières : 2ème édition. Toulouse, Association de Recherche en Soins Infirmiers. « Hors collection », 2012.
44. guion paule: la casbah d'Alger , Éditions publisud, 1999.
45. Halbwachs, M :On Collective Memory. University of Chicago Press, 1992.
46. Humain-Lamoure, Anne-Lise. et al. Introduction à la géographie urbaine. Paris, Armand Colin. « Cursus » 2017.

47. J.remy-l.voyé : la ville vers une nouvelle définition ?Edition L'HARMATTAN , Paris, 1992.
48. Jean-Marc Stébé, Herve Marchal : *La sociologie urbaine*,Paris, Presses universitaires de France, coll. Que sais-je ?, 2007.
49. Jouteau-Neves C , Formarier M et al : Les concepts en sciences infirmières , 2ème édition. Toulouse, Association de Recherche en Soins Infirmiers. « Hors collection » 2012.
50. Juan, Salvador. Méthodes de recherche en sciences sociohumaines : Exploration critique des techniques. Paris cedex 14, Presses Universitaires de France. « Le Sociologue », 1999.
51. Laurier, Corinne : Manager avec l'analyse transactionnelle , Osez votre style managérial ! Paris, Dunod. « Management / Leadership » 2017.
52. Mucchielli Alex : L'identité, Paris, Presses Universitaires de France.
53. Nadi Assari : *Alger des origines à la régence turque*, Alger ,Éditions Alpha, 2007.
54. Origgi, Gloria : Passions sociales. Paris cedex 14, Presses Universitaires de France. « Hors collection » 2019.
55. Peretz, Henri : Les méthodes en sociologie ,L'observation. Paris, La Découverte. « Repères », 2004.
56. Pirotte Gautier : Citoyens, démocratie participative et espaces publics, La notion de société civile, La Découverte,2007.
57. Poulot, Dominique : Histoire, mémoire, patrimoine , *Une histoire du patrimoine en Occident, XVIII^e–XX^e siècle. Du monument aux valeurs*, sous la direction de Poulot Dominique. Presses Universitaires de France, 2006.

58. Riegl Alois : Le culte moderne des monuments son essence et sa genèse, Edition du seuil, Mai 1984, Mars2013 pour les annexes.
59. Saïd Belguidoum : La ville en question – analyse des dynamiques urbaines en Algérie. Penser la ville – approches comparatives, Oct 2008, Khenchela, Algérie, 2009.
60. Simonsen Michèle : Le Conte populaire. ,Paris cedex 14, Presses Universitaires de France, « Littératures modernes », 1984. URL : <https://www-cairn-info.www.snd11.arn.dz/le-conte-populaire--9782130384786-page-9.htm>
61. Stébé, Jean-Marc. et al. La sociologie urbaine. Paris cedex 14, Presses Universitaires de France. « Que sais-je ? », 2016.
62. T. Shuval : *La ville d'Alger vers la fin du XVIIIe siècle* (1), CNRS Éditions, 2002.<https://doi.org/10.4000/books.editions-cnrs.3692>.

- مقالات بالغة الأجنبية

63. Abdelkader Lakjaà : Les périphéries oranaises , urbanité en émergence et refondation du lien social , Les cahiers d'EMAM, 1 8/2009.
64. Bert Claudie : Les contes de fées , *Sciences Humaines*, 2002/6 (N°128), p. 31-31. URL : <https://www-cairn-info.www.snd11.arn.dz/magazine-sciences-humaines-2002-6-page-31.htm>, consulté le 16/01/2019 à 09h :45m.
65. Billaudot, Bernard. « Le territoire et son patrimoine », Géographie, économie, société, vol. Vol. 7, no. 1, 2005, pp. 83-107.
66. Boulé-Croisan Annick : La fonction thérapeutique du conte , *Le Coq-héron*, 2005/2 (n° 181), p. 128-136. DOI :

- 10.3917/cohe.181.0128. URL : <https://www.cairn.info/revue-le-coq-heron-2005-2-page-128.htm>, consulté le 16/01/2019 à 09 :33m.
67. Coëffé, Vincent, et Jean-René Morice : *L'Information géographique*, vol. 81, no. 2, 2017, pp. 8-11.
 68. Costa, James : Identité, Langage et société, 2021/HS1 Hors série, 2021. p.165-169. CAIRN.INFO, shs.cairn.info/revue-langage-et-societe-2021-HS1-page-165?lang=fr.
 69. Cusson.M, Alexandre Morin : Déviance, Intégration spatiale , L'espace géographique 3/2002(tome31), Université Laval. Québec, 2008, p77.78.
 70. Dhaouadi, Mahmoud : Un autre regard sur la culture , un point de vue islamique , *Revue internationale des sciences sociales*, vol. 193-194, no. 3, 2007, pp. 523-538.
 71. Drouin-Hans, Anne-Marie : Identité , *Le Télémaque*, vol. 29, no. 1, 2006, pp. 17-26.
 72. Foucher-Dufoix : Le nom sans la chose Enjeux toponymiques autour des « 4 000 » à La Courneuve. Histoire urbaine, n° 56(3), 89-108. <https://doi.org/10.3917/rhu.056.0089>.
 73. Garnier, Jean-Pierre, et María A. Castrillo Romón : Éditorial , *Espaces et sociétés*, vol. 152-153, no. 1, 2013, pp. 7-17.
 74. Geneviève Grégoire Labrecque : Rédaction de la fiche , Formation de base en interculturel, Sherpa,UQAM ,2014.
 75. Guérin-Pace, France : Sentiment d'appartenance et territoires identitaires , *L'Espace géographique*, 2006/4 Tome 35, 2006. p.298-

308. CAIRN.INFO, shs.cairn.info/revue-espace-geographique-2006-4-page-298?lang=fr.
76. Guest, A. M., & Wierzbicki, S. K : Social Ties at the Neighborhood Level , Two Decades of GSS Evidence". Urban Affairs Review, 35(1), 1999,p95.
77. Guy Di Méo. Le rapport identité/espace. Eléments conceptuels et épistémologiques. 2008. fhalshs00281929f .
78. Héritier, Stéphane. « Le patrimoine comme chronogénèse. Réflexions sur l'espace et le temps ». Annales de géographie, 2013/1 n° 689, 2013. p.3-23. CAIRN.INFO, shs.cairn.info/revue-annales-de-geographie-2013-1-page-3?lang=fr.
79. ICHEBOUDENE Larbi : Vivre la ville, la question des repères. Contribution à propos d'Alger, crasce ,2010.
80. Imen Ben Jemia : L'identité en projets , ville, architecture et patrimoine , Les Cahiers de la recherche architecturale et urbaine [En ligne], 30/31 | 2014, mis en ligne le 14 septembre 2017, consulté le 15 février 2018. URL : <http://journals.openedition.org/crau/412> ; DOI : 10.4000/crau.412
81. Jean-Marie Marconot : La fin des villes, la durée des quartiers.. Natures Sciences Sociétés, 2003, 11, pp.266-275. (halshs-00851482)
82. Jourdain, Anne, et Sidonie Naulin : Héritage et transmission dans la sociologie de Pierre Bourdieu , Idées économiques et sociales, vol. 166, no. 4, 2011, pp. 6-14.
83. Larivée Serge, Sénéchal Carole : La psychanalyse des contes de fées, quelle histoire , Bulletin de psychologie, 2011/4 (Numéro 514),

- p. 359–368. DOI : 10.3917/bupsy.514.0359. URL : <https://www.cairn.info/revue-bulletin-de-psychologie-2011-4-page-359.htm> consulté le 16/01/2019 à 09 :16m.
84. Laurent et Vincent Géronimi : Transmettre un patrimoine : seuils et soutenabilité, *Techniques Financières et Développement* vol 118, no. 1 (2015) ,51–64.
85. Le Squère, R : Analyse des perceptions, usages et fonctions des toponymes actuels des territoires ruraux et urbains de Bretagne. Cahiers de sociolinguistique, n° 11(1), 2006, 81–99. <https://doi.org/10.3917/csl.0601.0081>
86. Lochon, Christian : L' État islamique et le patrimoine architectural arabe civil et religieux , *Les Cahiers de l'Orient*, vol. 124, no. 4, 2016, pp. 103–126.
87. Mathis Stock : Construire l'identité par la pratique des lieux. De Biase A. & Alessandro Cr. " Chez nous ". Territoires et identités dans les mondes contemporains, Editions de la Villette, pp.142–159, 2006. [ffhalshs-00716568f](https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-00716568f)
88. Membrado, Monique : Les formes du voisinage à la vieillesse, *Empan*, 2003/4 no52, 2003. p.100–106. CAIRN.INFO, shs.cairn.info/revue-empan-2003-4-page-100?lang=fr.
89. [Monique Pinçon-Charlot](#): Grafmeyer Yves, *Sociologie urbaine*. [Compte rendu] [Revue française de sociologie](#) Année 1994 Volume 35 [Numéro 4](#) pp. 699–700. www.persee.fr/doc/rfsoc_0035-2969_1994_num_35_4_4372
90. Monzani, Stefano : Pratiques du conte , revue de la littérature , *La psychiatrie de l'enfant*, vol. vol. 48, no. 2, 2005, pp. 593–634.

91. Morisset, Lucie K : Le patrimoine et ses limites , *Hermès, La Revue*, vol. 63, no. 2, 2012, pp. 57-62.
92. Olivier Martin, « Analyse quantitative », *Sociologie* [En ligne], Les 100 mots de la sociologie, mis en ligne le 06 janvier 2021, consulté le 09 avril 2020. URL : <http://journals.openedition.org/sociologie/1204>
93. Ouardia YERMECHE : Onomastique et patrimoine immatériel en Algérie, *Les Cahiers du CRASC* , 2018.
94. Paulus Fabien, Pumain Denise : Répartition de la croissance dans le système des villes françaises, *Revue d'Économie Régionale & Urbaine* 1/2002 (février), p. 35-48
URL : www.cairn.info/revue-d-economie-regionale-et-urbaine-2002-1-page-35.htm.
95. Pomian, Krzysztof : Patrimoine et identité nationale , *Le Débat*, vol. 159, no. 2, 2010, pp. 45-56.
96. Raynal Serge, Ferguson Louis B : L'intégration , du multiculturel à l'intraculturel , *Humanisme et Entreprise*, 2008/2 (n° 287), p. 77-95.
DOI : 10.3917/hume.287.0077. URL : <http://www.cairn.info/revue-humanisme-et-entreprise-2008-2-page-77.htm>
97. Retailé, Denis : Patrimoine , *L'Information géographique*, vol. vol. 70, no. 2, 2006, pp. 1-1.
98. Rhein Catherine : Intégration sociale, intégration spatiale , *L'Espace géographique*, 2002/3 (tome 31), p. 193-207. DOI : 10.3917/eg.313.0193. URL : <http://www.cairn.info/www.snd11.arn.dz/revue-espace-geographique-2002-3-page-193.htm>

99. Robic Marie-Claire : La ville, objet ou problème ? La géographie urbaine en France (1890-1960) , *Sociétés contemporaines*, 2003/1 (n° 49-50), p. 107-138. DOI : 10.3917/soco.049.0107. URL : <https://www.cairn.info/revue-societes-contemporaines-2003-1-page-107.htm>, consulté le 16/01/2019 à 12h :02m.
100. Schaffar Alexandra : Quelle est la nature de la croissance urbaine indienne ?., *Revue d'économie du développement* 2/2010 (Vol. 18) , p. 101-120 « URL : www.cairn.info/revue-d-economie-du-developpement-2010-2-page-101.htm. DOI : [10.3917/edd.242.0101](https://doi.org/10.3917/edd.242.0101).
101. Scouarnec Aline : L'observation des métiers , définition, méthodologie et "actionnabilité" en GRH. », *Management & Avenir* 1/2004 (n° 1), p. 23-42 URL : www.cairn.info/revue-management-et-avenir-2004-1-page-23.htm.
102. Shin Ji-Eun : Une approche écosophique de l'espace urbain , *Sociétés* 1/2013(n°119),p19-28 URL : www.cairn.info/revue-societes-2013-1-page-19.htm.
103. Stébé Jean-Marc, Marchal Hervé : Appréhender, penser et définir la ville , dans : Jean-Marc Stébé éd., *La sociologie urbaine*. Paris cedex 14, Presses Universitaires de France, « Que sais-je ? », 2010, p. 3-16. URL : <https://www.cairn.info/la-sociologie-urbaine--9782130578017-page-3.htm>, consulté le 16/01/2019 à 11h :55m.
104. Thiébault, Jean-Louis : Les travaux de Robert D. Putnam sur la confiance, le capital social, l'engagement civique et la politique comparée , *Revue internationale de politique comparée*, 2003/3 Vol.

- 10, 2003. p.341–355. CAIRN.INFO, shs.cairn.info/revue-internationale-de-politique-comparee-2003-3-page-341?lang=fr.
105. Valantin Jean-Michel : Les pirates somaliens et nous : histoire d'une adaptation sociale à des inégalités environnementales imposées , *Annales des Mines – Responsabilité et environnement*, 2015/3 (N° 79), p. 36–39. URL : <http://www.cairn.info/www.sndl1.arn.dz/revue-responsabilite-et-environnement-2015-3-page-36.htm>
106. Vallon, Serge : Qu'est-ce qu'une famille ? Fonctions et représentations familiales. VST – Vie sociale et traitements, 2006/1 no 89, 154–161. <https://doi.org/10.3917/vst.089.0154>.
107. Vernières, Michel : Le patrimoine : une ressource pour le développement , *Techniques Financières et Développement*, vol. 118, no. 1, 2015, pp. 7–20.
108. Veschambre, Vincent : Patrimoine , un objet révélateur des évolutions de la géographie et de sa place dans les sciences sociales , *Annales de géographie*, vol. 656, no. 4, 2007, pp. 361–381.
109. Vidal-Beneyto, J : La construction de la mémoire collective Du franquisme à la démocratie , *Diogène*, 2003, n° 201(1), 17–28. <https://doi.org/10.3917/dio.201.0017>.
110. Vinsonneau Geneviève : Le développement des notions de culture et d'identité , un itinéraire ambigu , *Carrefours de l'éducation* 2/2002 (n° 14), p. 2–20. cairn.info

- مذكرات باللغة الأجنبية

111. Benarbia Islem : L'évaluation de la valeur esthétique des monuments historiques, cas de la grande mosquée Nédroma, Mémoire de Magistère en Architecture, Université Abou-Bekr Belkaid, Tlemcen, Juillet, 2012.
112. Khattabi , Lahcene: La reconquête d'un centre ancien ,le cas de la Médina de Nédroma, Mémoire Pour l'obtention du Diplôme de Magister en Architecture, Soutenu le : 14 Juin 2010. Département d'Architecture, Université Abou Bakr Belkaïd – Tlemcen.
113. Martel, Andréanne : Le patrimoine commun de l'humanité : solution possible à l'anthropocentrisme en droit international de l'environnement?, Mémoire. Montréal (Québec, Canada), Université du Québec à Montréal, Maîtrise en droit international, 2012.
114. Sebih Reda: Langues et mise en mots de l'identité spatio-linguistique, cas de la Casbah d'Alger ,thèse de doctorat en sciences du langage, Université d'Alger 2, 2012-2013.

- وثائق متنوعة : قواميس ، مواقع الانترنت

115. www.amitie-entre-les-peuples.org
116. www.toupie.org
117. www.ankawa.com
118. www.isesco.org
119. <https://halshs.archives-ouvertes.fr>
120. www.vitamedz.com
121. www.wikipedia.org

- قائمة الجداول

الرقم	عنوان الجدول	الصفحة
01	توزيع المبحوثين حسب جنس رب الأسرة	123
02	توزيع المبحوثين حسب الفئات العمرية	124
03	توزيع المبحوثين حسب الأقدمية في	125
04	توزيع المبحوثين حسب المستوى التعليم	126
05	توزيع المبحوثين حسب نوع الأسرة	127
06	تأثير الترحيل الإجباري دون مراعاة للنسيج العمراني على السكان المرحلون	152
07	محاولة المرحلون اختراع تسميات بالمجال الجديد كوسيلة لإثبات وجودهم	178
08	مؤشرات تمسك السكان الأصليين بالقصبة العتيقة	216

- قائمة الخرائط

الرقم	العنوان	الصفحة
01	تبين موقع بلدية الثنية	110
02	تبين موقع بلدية برج الكيفان	116
03	تبين موقع حي القصبة بالنسبة لبلدية الثنية	119
04	تبين حدود بلدية القصبة	132
05	تبين المخطط العنكبوتي اللامتوازن لمنطقة القصبة	228
06	توضح للقصبات الفرعية المنبثقة من القصبة العتيقة بالجزائر	229

- قائمة المنحنيات البيانية

الرقم	العنوان	الصفحة
01	رسم بياني يوضح جنس رب الاسرة	123
02	رسم بياني يوضح الفئات العمرية للمبحوثين	124
03	رسم بياني يوضح الاقدمية في حي القديم	125
04	رسم بياني يوضح المستوى التعليمي للمبحوثين	126
05	رسم بياني يوضح نوع اسر المبحوثين	127
06	شكل يوضح آثار الترحيل على العلاقات الاجتماعية	153
07	شكل يوضح تأثير النسيج العمراني على التلاحم الاجتماعي	161
08	شكل يوضح إعادة إنتاج الممارسات الاجتماعية	179
09	شكل يوضح استخدام التسمية كأداة للهوية الثقافية	189
10	شكل يوضح تعزيز الهوية الجماعية في الحي الجديد	201
11	شكل يوضح الارتباط العميق بالموروث الاجتماعي	217
12	الشكل يوضح التعلق بالقصبة و تأثيره على الانتماء للحي الجديد	226
13	شكل يوضح التعايش والتكيف الظاهري	238

قائمة الصور

الصفحة	العنوان	رقم الصورة
112	صورة رقم 01 لمحطة القطار بالثنية 112	01
120-116	صور من 02 - 05 تبين موقع و النمط المعماري لحي القصبة بالثنية	05-02
122-121-120	تبين موقع و النمط المعماري لحي القصبة ببرج الكيفان	10-06
من 133 الى 167	تبين النمط المعماري بالقصبة العتيقة	25 - 11
147	لتجمع بعض سكان المرحليين من منطقة سوق الجمعة بالقصبة للاحتفال باليوم الوطني للقصبة	26
171	تبين أماكن الالتقاء في حي القصبة ببرج الكيفان	-34-33 35
174	توضح سيارات النقل غير الرسمي من حي القصبة ببرج الكيفان مباشرة نحو القصبة العتيقة	36
من 191 الى 199	تبين تغيير التسميات بالحيين (الثنية و برج الكيفان)	46-42-37 47-
195	تبين أماكن التواصل بين السكان القدماء للقصبة في كلى الحيين الثنية و برج الكيفان	44-43
198	تبين اظهار التسمية بصورة كبيرة على حائط مدخل الحي ببرج الكيفان	45

الملاحق



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الاجتماعية
قسم علم الاجتماع
دليل مقابلة



مقدم في إطار التحضير لإعداد أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في علم الاجتماع الحضري حول:

" الموروث الحضري و صراع التسميات في القصبات الجديدة "

دراسة ميدانية للسكان المرحلين من القصبة نحو الثنية و برج الكيفان

إعداد الطالب: لعبادي طارق

أهلا و سهلا بكم، نشكركم على تخصيص وقتكم للمساهمة في هذه المقابلة التي تجرى في إطار بحث علمي يهدف إلى دراسة الموروث الحضري وصراع التسميات في القصبات الجديدة مع التركيز على آثار الترحيل الاجباري على السكان الأصليين للمنطقة.
نود إعلامكم بأن جميع المعلومات التي تقدمونها ستستخدم لأغراض بحثية وعلمية فقط و نقدر كثيراً تعاونكم الذي سيساهم في إنجاح هذا البحث العلمي .

اسئلة موجّهة إلى السكان القدماء المرحلين

رقم التحقيق :	تاريخ التحقيق:
---------------	----------------

الأسئلة السوسيوديمغرافية

1.الجنس : ... 2.السن:..... 3.مكان الميلاد:.....

4. الاقدمية في الحي القديم : أقل من 20 سنة ☐ (20-40) ☐ أكثر من 40 سنة ☐

5. المستوى التعليمي

لا يقرأ و لا يكتب ☐ :ابتدائي ☐ متوسط ☐ ثانوي ☐ جامعي. ☐

6..نوع الاسرة : نووية ☐ نووية متعددة ☐ عدة انوية ☐ دون نواة ☐

- ❖ ما هي الوظيفة أو المهنة التي تمارسها حاليًا؟
- ❖ أين كنت تقيم قبل الانتقال إلى هذا الحي ؟
- ❖ ما هي الأسباب الرئيسية التي أدت إلى انتقالك؟

الاسئلة المتعلقة بتبعات الترحيل الاجباري و تأثير النسيج العمراني عل العلاقات الاجتماعية في الحي الجديد .

- ❖ كيف أثر الترحيل الاجباري على علاقتك مع الجيرانك جديد؟ وهل هناك اختلاف في مستوى التفاعل بينكم مقارنة بالحي القديم؟
- ❖ هل تجد أن التصميم المعماري يؤثر في التفاعل الاجتماعي بين السكان؟ ما هي الجوانب المعمارية التي تؤثر بشكل أكبر على ذلك؟
- ❖ هل اختلاف الفضاءات العامة (كالحدائق أو المرافق المشتركة) في الحي يؤثر على تفاعلاتك مع جيرانك؟
- ❖ هل شعرت بتدهور الروابط الأسرية بعد الانتقال إلى الحي الجديد؟
- ❖ كيف يؤثر التصميم الهندسي للحي مثل (المسافات بين المنازل أو ترتيب المباني) على شعورك بالانتماء إلى المجتمع؟ هل تشعر بالانفصال أو العزلة مقارنة بالحي القديم؟
- ❖ هل تلاحظ أي نقص في التشارك بين سكان الحي؟ وإذا كان ذلك صحيحًا، ما هي الأسباب التي تعتقد أنها ساهمت في اضعاف التعاون ؟
- ❖ هل أثرت لترحيل أثير سلبي على الشعور بالأمان والتماسك الاجتماعي في الحي الجديد؟
- ❖ هل التعديل في النسيج العمراني للحي أثر في تحسين الشعور بالانتماء ؟

اسئلة خاصة بالممارسات الاجتماعية و انتاج تسميات لطبع الهوية الثقافية للسكان في الحي الجديد

- ❖ هل استمرت بعض العادات الاجتماعية أو الثقافية التي كانت سائدة في القصبة بعد الانتقال إلى الحي الجديد؟
- ❖ هل هناك محاولات للحفاظ على الروابط والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد من الأحياء القديمة؟

- ❖ هل تلاحظ أن السكان في الحي الجديد يحاولون إحياء بعض العادات الثقافية التي كانت تمارس في الحي القديم؟ إذا كان الأمر كذلك، كيف يتم ذلك؟
- ❖ هل تجد أن الحفاظ على العادات الاجتماعية والثقافية في الحي الجديد يساعد في تعزيز التماسك الاجتماعي بين السكان؟
- ❖ هل قمت بتغيير تسمية حيكم في المنطقة الجديدة إلى الاسم القديم الذي كان يُطلق عليه في منطقتكم الأصلية؟ وما الأسباب التي دفعتكم إلى هذا التغيير؟
- ❖ ما مدى أهمية التسمية القديمة بالنسبة لكم؟ هل تعتقدون أن الاسم الجديد يؤثر على هوية المكان؟
- ❖ هل تعتقدون أن التسمية القديمة تساهم في الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع المحلي؟ وإذا كانت الإجابة نعم، كيف؟
- ❖ هل تُعدّ التسمية القديمة من وجهة نظركم جزءًا من الذاكرة الجماعية للمجتمع؟ وكيف يمكن أن تساهم هذه التسمية في تعزيز روح الانتماء والارتباط بالماضي؟
- ❖ هل لاحظتم وجود مقاومة من قبل الأفراد أو السلطات في المجتمع الجديد للتسمية القديمة؟
- ❖ كيف يعمل سكان الحي الجديد على تعزيز الهوية الجماعية بينهم بعد الترحيل؟ وهل هناك محاولات للحفاظ على التراث المحلي؟
- ❖ هل تشعر أن الهوية الثقافية التي جلبتها معك من الحي القديم لا تزال حاضرة في حياتك اليومية بالحي الجديد؟ وكيف يتم نقل هذه الهوية للأجيال الشابة؟

أسئلة خاصة بالتعلق بالقصبة و. تأثيره على الاندماج و التكيف في الحي الجديد .

- ❖ هل ما زلت تستخدم اللغة القصباجية أو بعض التعبيرات المحلية التي كانت شائعة في الحي القديم؟ كيف يؤثر ذلك على تفاعلك مع جيرانك في الحي الجديد؟
- ❖ هل تشعر أحيانًا بأنك لا تستطيع الانفتاح على الجديد أو التفاعل مع أسلوب الحياة المختلف؟
- ❖ هل كنت تفكر في العودة إلى الحي القديم بعد الترحيل؟ لماذا؟ وهل تجد صعوبة في التكيف مع المكان الجديد؟
- ❖ هل تشعر بالحنين للقصبة؟ كيف يؤثر هذا الشعور على حياتك اليومية في الحي؟
- ❖ هل تشعر أن الترحيل أثر على إنتمائك للحي؟ هل تجد نفسك عالقًا بين الماضي والمستقبل؟

- ❖ هل هناك نوع من الغربة أو فقدان المكان في هذا المجتمع الجديد؟
- ❖ هل تجد صعوبة في بناء علاقات جديدة مع الجيران في الحي الجديد؟
- ❖ هل تعتبر أن الحياة في الحي أثرت في نوعية حياتك؟
- ❖ هل توجد ممارسات أو طقوس معينة كنت تمارسها في منطقتك القديمة، ولا تستطيع ممارستها في المنطقة الجديدة؟ إذا كان الجواب نعم، ما هي تلك الطقوس؟
- ❖ هل تشعر أن هناك دعمًا من المجتمع المحلي للمحافظة على التراث والعادات المحلية؟

❖ شكرا جزيلا